جامعة طنطا
كلية الآداب
قسم الفلسفة
الدراسات العليا

رسالة مقدمه لنيل درجة الماجستير في الفلسفة

بعنوان

الإنسان والحضارة بين جارودي ودانييل

إعداد

محمد احمد يوسف خضر

إشراف

د/ إبراهيم طلبة عبد الخالق

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد
كلية الآداب ـ جامعة طنطا

١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م



ـــامعة طنطا
ـــلية الآداب
ـــم الفلسفة
راسات العليا

رسالة مقدمه لنيل درجة الماجستير في الفلسفة

بعنوان

الإنسان والحضارة
بين
جارودي ودانييل

إعداد

محمد أحمد يوسف خضر

إشراف

د/ إبراهيم طلبة عبد الخالق

أستاذ الفلسفة الحديثة والمعاصرة المساعد
كلية الآداب ــ جامعة طنطا



١٤٢٩ هـــ ــ ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِـنْ لَـدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (*) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ . ﴿آل عمران / ٨-٩﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إني أجد أنه من دواعي شكر نعمة الله تعالى عليَّ أن أشكر كل من قدم لي يد المعونة بعده تبارك وتعالى . لذا أتقدم بالشكر والإهداء إلى أستاذي الدكتور/ إبراهيم طلبة عبد الخالق ، لسعة صدره ومعاونته لي بالوقت والنصح والإرشاد ، ولتوجيهاته الغالية تشجيعاً وتحفيزاً ، فلله ثم له الفضل والمنة .

كما أتقدم بالشكر والتقدير والإهداء أيضاً إلى والدي ووالدتي وأهلي ، وإلى أساتذتي أعضاء هيئة التدريس في قسمنا العامر ، وكذلك الزملاء الأعزاء ، لهم مني جميعاً أسمى آيات الشكر والتقدير ، وكذلك كل من ساهم في إتمام هذا العمل ، وأرجو من الله تعالى أن يكافئهم عني خير الجزاء .

مقدمه :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره ونثني عليه الخير كله ، فهو أهله والقادر عليه ، فهو العالم العليم ، القادر القدير ، الجبار ذو القوة ذو البطش الشديد ، مؤلف القلوب الرحمن الرحيم ، الذي أعد النار لمن عصاه ولو كان شريفاً قرشياً ، والجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً . والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ، سيدنا "محمد" عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، ثم أما بعد :ـــ

فهذا البحث يتناول بالدراسة والتحليل الإنسان والحضارة بين "روجيه جارودي ونورمان دانييل" . ويرتبط هذا الموضوع ارتباطاً وثيقاً بحياتنا المعاصرة ، ويتعلق بالإنسان الغربي وعلاقته بالإنسان المسلم . ومن المؤكد أن الإنسان هو العضو المؤثر والفعال في حركه التاريخ ، ولذا فهو القوة الضاربة التي تقوم على أكتافها الحضارة ، فإذا كانت العلاقة بين الأنا والآخر علاقة صدام ، فمن المؤكد أن الحضارة الناتجة عن ذلك ستكون مهددة بالزوال في أي لحظة ، من جراء الحروب التي قد تشتعل نيرانها عند أول محك بينهما ؛ أما إذا كانت العلاقة بينهما علاقة حوار وتآلف وتآزر ـــ لأن كلاً منهما يمثل حضارة مختلفة ولكنهما في النهاية أبناء أب واحد هو سيدنا "آدم" عليه السلام ، وقد ساهم الجميع في بناء الحضارة الحالية لتصبح بالشكل الذي هي عليه من تقدم ورقي ـــ فستكون الحياة أكثر أمناً واستقراراً ورقياً وتقدم ، إذا شاء الله تعالى ذلك.

والحضارة هي وليدة الفكر الإنساني كما أن الفكر بدوره من ثمار الحضارة ، والفيلسوف سواء اتفقنا معه أو اختلفنا فهو أقدر أن يعبر عن روح حضارته بكل ما فيها من إيجابيات وما فيها من سلبيات وتناقضات . والحق أن دراسة موضوع الإنسان والحضارة تعد من الدراسات المهمة التي تعمق وعي الإنسان بذاته وبقدراته وإمكانياته وتزوده بالتوجيهات البناءة وتعكس واقعه واغترابه في نسق العلاقات الاجتماعية والسياسية والثقافية السائدة في مجتمعه ، كما تساهم في البحث عن مخرج للأزمة التي يتعرض لها عبر التاريخ ، ومن الموقن به أنه لا مخرج ولا مستقبل للإنسانية إلا إذا وعت أزمتها الراهنة وذلك بدراسة أبعادها المختلفة وتعبئة الجهود الروحية لمواجهتها .

ويمكن القول أن موضوع هذه الدراسة له دلاله كبيرة وأهمية بالغة عندما نتناوله لدى اثنين من المستشرقين الغربيين ، أحدهما يمثل الاستشراق الفرنسي وهو "روجيه جارودي" والآخر يمثل الاستشراق الإنجليزي وهو "نورمان دانييل" ، ولقد ركزت على هذين التيارين لما لهذين

الدولتين (فرنسا وإنجلترا) من تأثير ونفوز مباشر على الدول الإسلامية منذ القدم وحتى الآن ، أي منذ الاستعمار العسكري المباشر وحتى مرحلة الاستعمار الفكري والتبعية الثقافية والاقتصادية التي تمر بها حالياً ، ونظراً لأنهما كان لهما السبق وتصيب الأسد في استيطان قارة أمريكا ، ولا يقال "اكتشاف أمريكا" لأن معنى الاكتشاف أنها لم تكن معروفة للبشر جميعاً ، ولا يوجد بها أي إنسان وهذا يدل على مدى التحقير من الأوروبيين للهنود الحمر وحضاراتهم المختلفة ومنها "الأنكا" و"المايا" التي أبادها المرتزقة الأوروبيون بهمجية وبربرية عندما احتلوا هذه الأرض بإسلوب ينم عن الوحشية والشراسة ، وكأنهم هم فقط البشر الذين يحق لهم العيش ، أما باقي الأمم والشعوب فلا ، لأنهم ليسوا سوى عبيد وخدم عندهم . وما ترتب بعد ذلك على هذا من تبعية للولايات المتحدة الأمريكية بعدما آلت إليها التركة ، بعد انزواء نجم فرنسا وانجلترا بعد الحرب العالمية الثانية ، وبعد ذلك تفردها وتنكيلها بالعالم بعد تفكيكها للإتحاد السوفيتي.

أما "روجيه جارودي"(♥) فقد اعتبر الاستشراق فكرة شنيعة ولذا فقد قرر أن يكون مستغرباً أي أن يعمل على رؤية الغرب من خلال مجهر (أي كما يفحص العلماء المختصون الحشرات وكما ينظر المستشرقون للبلاد الأخرى)(1). كما نشر مجموعة من المؤلفات تبرز قناعته الفكرية والواقعية برفض مقولة واحديه الحضارات الغربية "المعجزة اليونانية"(2) ، كما أكد على أهمية

(♥)- ولد "جارودي" عام ١٩١٣م لأبوين ملحدين ، ونشأ في بيئة عمالية بسيطة ، إلا أنه اعتنق البروتستانتية سنة ١٩٢٧م ، ثم انضم إلى الحزب الشيوعي الفرنسي ١٩٣٣م ، وفي هذه الفترة انكب على قراءة كل مؤلفات "كارل ماركس". و في عام ١٩٣٧م انتخب عضوا في المكتب الفدرالي في فدرالية تاون الشيوعية . وفي سنة ١٩٤٠م اعتقل بسبب نشاطاته السياسية وأفكاره المناوئة للحكومة ، ولبث في المعتقل مدة عامين بولاية الجلفة الجزائرية ، ويعتبر هذا أول لقاء له بروح الإسلام عندما رفض جنود الحراسة وهم مسلمون جزائريون إطلاق النار عليه وعلى مجموعته التي قامت بالتظاهر والاعتصام تضامنا مع قدامى المتطوعين في الفرقة الدولية الإسبانية . ثم حصل على الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون عام ١٩٥٣م ، وفي عام ١٩٥٤م حصل على الدكتوراه في العلوم من موسكو. ثم انتخب عضوا في مجلس الشيوخ في عام ١٩٧٠، ثم أسس مركز الدراسات والبحوث الماركسية وبقي مديرا له لمدة عشر سنوات. وفي عام ١٩٤٤م التقى الشيخ البشير الإبراهيمي ودارت بينهما محادثات تركت فيه أثرا كبيرا ، ولذا نشر "جارودي" في هذه الفترة دراسة مهمة بعنوان :"إسهام الحضارة العربية التاريخي في الحضارة العالمية"، تلاها بمجموعة من المقالات النقدية للاستعمار والإمبريالية مما جلب له المتاعب والمضايقات . وفي عام ١٩٨٢م أعلن اعتناقه للإسلام لقوله أنه تكونت لديه قناعة بأن الإسلام ليس مجرد دين يختلف عن بقية الأديان فحسب ، بل إنه دين الله ، دين الفطرة التي خلق الله الناس عليها .

نقلاً عن محمد عثمان الخشت : "روجيه جارودي" لماذا أسلمت ؟ نصف قرن من البحث عن الحقيقة ، مكتبة القرآن ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م ، صـ صـ١١-١٦ بتصرف .

(1)- روجيه جارودي : كيف نصنع المستقبل ، ترجمة د. منى طلبة ، د. أنور عبد المنيث ، دار الشروق ، ط٣ ، ١٤٢٣- ٢٠٠٢ ، صـ ٢٤ .

(2)- نفس المصدر صـ ٥٦ .

الكيانات الحضارية على اختلافها ومقدراً للخصوصية التي تميز ذاتية كل حضارة من خلال ما تنطوي عليه من إسهامات دينية وعلمية وثقافية ، ولم يكتفي برفض مقولة "واحديــه ومركزيــة الغرب" من خلال كشف الصور والوقائع والأحداث الدالة على ذلك من خلال الدراسة المقارنــة للحضارات ، وإنما تجاوز ذلك كله لكشف كثير من منحنيات المسار الغربي حيث اعتبر الغرب مجرد "عرض حضاري يعبر عن أزمة حضارة" (١).

وأما "نورمان دانييل" فهو مستشرق نصراني ولد عام ١٩٢١م ، وتوفي عــام ١٩٩٢م ، وهو صاحب شهرة واسعة في مؤسسة الاستشراق ، وهو تلميذ المستشرق "مــونتجمري واط" ، وقد قام بنشر مجموعة من الكتب الضخمة منها "الإسلام وإمبراطورية أوربا" و "العرب وأوربا في العصر الوسيط" ، ولكن على رأسها كتاباً ضخماً بعنوان "الإسلام والغرب صناعة الصورة" والذي اتفق الكتاب على اختلاف مشاربهم على أنه أهم كتاب تحدث عن العلاقات بين المسلمين والنصارى طيلة العصور الوسطى ، وقد ظهر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٦٠م ، ثم في عام ١٩٦٢م ، وكان آخر طبعاته في عام ١٩٦٦م . وقدم لنا الكتاب المذكور لائحة متكاملــة عــن أقوال النصارى في الإسلام والمسلمين ، وقد صُدم "دانييل"ــ حسب زعمه ــ بسبب عدائية هذه الأقوال وطابعها المتحيز وغير المنصف ، وأراد تصحيح الوضع ، وإقامة حوار بين النصارى والمسلمين بدلا من القطيعة والعداء ، ولكن بما انه كان نصرانياً كاثوليكياً فإن الحوار لديه كان هدفه تحويل المسلمين إلى نصارى!! (٢).

بالإضافة لذلك بين "دانييل" في هذا الكتاب تطور علاقة الغرب بالآخر المسلم ، وتحــدث عن الصورة الغربية الكالحة السواد عن الإسلام والمسلمين(٣) ، وعن ظروف ودوافــع ونتــائج ذلك ، وبين أن الصورة الغربية النمطية عن الإسلام والمسلمين ، كان لهــا ولا يــزال الــدور الخطير في توتر العلاقات المزمن بين الإسلام والغرب(٤).

---

(١)- روجيه جارودي : ما يعد به الإسلام ، ترجمة قصي أتاسي ، محمد البجاوي ، مشيل واكيم ، محمد ياسر شرف ، دار الوثبــة ، ط ٢ ، ١٣٨٣ ، صـــ ٣٢ .

(٢)- جون ف. تولان : الإسلام في مخيلة الأوروبيين في القرون الوسطى ، مطبوعات جامعة كولومبيا، نيويورك ، ٢٠٠٢، صــــ٣ بتصرف.

(3)-Norman Daniel : **Islam and The West "The Making Of an Image"** , Edinburgh University ,Press , 1966 ,P. 2.

(4)- Ibid : P. 9.

كما بين عدم التزام الغرب بالموضوعية في حواره مع الإسلام[1] ، وابتعاده عن المنهج السليم في قراءة إسهامات الحضارة الإسلامية على البشرية جمعاء ، وحاول أن يوضح كيف استفاد الغرب من حضارة الإسلام[2] . وهذا ما يبدوا للوهلة الأولى لقارئ فكر "دانييل" أما المدقق فيه فلا يجد إلا تحاملاً ونقمة وحقداً دفيناً على الإسلام وأهله وحضارته وأمجاده وآماله في المستقبل . وهذه الرسالة العلمية تقدم نتائج وتحليلات وتوصيات فكرية ، من خلال ما توفر لها من المصادر والمراجع والبحوث والدراسات العربية ، والإفرنجية ، وهي تميط اللثام عن الأهداف الخبيثة لهذا المستشرق المتعصب ، بل وتكشف عن الكثير من أخطائه ومغالطاته المتعمدة ، وخروجه عن منهج البحث العلمي .

ومن خلال هذه الثنائية يسعى الباحث إلى قراءة موقف المفكر "جارودي" وكذا تحليل وتقييم جهد المفكر "دانييل" . فما قدمه المفكران في هذا الصدد يستحق أن تقدم دراسة عنه في ضوء مواقفهما تجاه هذه القضايا التي أثارت الخلاف بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية ، ومعرفة الاقتراحات المقدمة لتجاوز هذا الواقع الأليم المتمثل في الصراع الدائم بين الغرب والإسلام ، وذلك من أجل التطلع إلى حوار حقيقي بين الجانبين ، فالحوار يمثل ضرورة إنسانية وطوق نجاة للبشرية جمعاء .

ويحاول الباحث في دراسته الإجابة على التساؤلات الآتية:ـ

١- ما هي حقيقة العلاقة بين الغرب والآخر في أعمال "جارودي ودانييل" ؟

٢- هل الحضارة الغربية هي حضارة مركزية بالفعل ؟ بمعنى هل هي الحضارة التي تتمحور حولها الحضارات الأخرى ؟ وهو ما موقف "جارودي ودانييل" منها ؟

٣- هل علاقة الحوار أم علاقة الصدام مع الآخر هي التي تؤدي إلى التقدم والإزدهار وبناء الحضارة ؟

٤- هل الحوار بين الغرب والآخر يمكن أن ينجز بدون تقدير واعتراف بهذا الآخر من خلال سياسة الإلغاء والإقصاء التي يقوم بها الغرب ؟

٥- ما هي الآليات التي يستخدمها الغرب لتفتيت الآخر في رأي "جارودي ودانييل" ؟

---

(1)- Norman Daniel : **Islam Europe and Empire** , Edinburgh University Press , 1966 , p. 4 .

(2)- Norman Daniel :**The Arabs and Mediaeval Europe**, Longman , London and New York, 1966, p xi .

وسوف يستخدم الباحث في دراسته لهذه القضايا المنهج التحليلي النقدي المقارن .

وتتضمن الرسالة خمسة فصول ، تسبقها مقدمه وتعقبها الخاتمة كما يلي :ـ

المقدمة :ـ

وتتضمن أهمية البحث وإشكالية المنهج المستخدم في دراسته .

الفصل الأول : نظريات تفسير نشوء الحضارات .

ويتضمن هذا الفصل مبحثان :

ـ **المبحث الأول** : تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً .

ـ **المبحث الثاني** : أهم نظريات تفسير نشوء الحضارة ، ومنها نظرية "التعاقب الدوري" لدى "ابن خلدون والفارابي وشبنجلر"، ونظرية العناية الإلهية لدى "سان أوغسطين" ، ونظرية التحدي والاستجابة لدى "أرنولد توينبي".

الفصل الثاني : النزعة الإنسانية بين "جارودي ودانييل".

ويتضمن هذا الفصل ثلاثة مباحث :

ـ **المبحث الأول** : تعريف النزعة الإنسانية وخصائصها .

ـ **المبحث الثاني** : ملامح النزعة الإنسانية لدى "جارودي" في ضوء مفهوم الوجود والدين وحرية السوق وحقوق وواجبات الإنسان .

ـ **المبحث الثالث** : ملامح النزعة الإنسانية لدى "دانييل" في ضوء منهجه الإنساني مع الآخر وصورة المسلمين لدى الغرب وتحويلهم عن دينهم إن أمكن ، الأمر الذي يمثل مخالفة صريحة لأراء الإنسانيين .

الفصل الثالث : طبيعة علاقة الغرب مع الآخر في أعمال "جارودي ودانييل".

ويتضمن هذا الفصل مبحثان :

ـ **المبحث الأول** : رؤية "جارودي" لهذه العلاقة من خلال تحليله لإسطورة شعب الله المختار ، وعرضه لبعض مظاهر الهيمنة والغطرسة الغربية وعدائها للإسلام ومن أهمها العولمة والجات.

ـ **المبحث الثاني** : رؤية "دانييل" لتلك العلاقة في ضوء طبيعة فهم النصارى للعقيدة الإسلامية ، وطبيعة القرآن ، وقوانين الزواج والطلاق ، والحروب الصليبية ، والجهاد .

الفصل الرابع : نقد "جارودي ودانييل" للحضارة الغربية .

ويتضمن هذا الفصل مبحثان :

ـ **المبحث الأول** : انتقادات "جارودي" للحضارة الغربية والمتمثلة في عدائها للمسلمين ومساندتهم لليهود ، وكذا عرضه لمظاهر اضمحلال الغرب عموماً والولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً ، والمتمثلة في المساعدات المالية للدول النامية ، وتشجيع الغرب لفكرة القومية العربية ، الأمر المساند للصهيونية العالمية . ثم أهم الأخطاء التي وقع فيها "جارودي" ومنها إنكاره لخروج اليهود من مصر قديماً ، وعدم أحقية المسلمين لتملك القدس ، ورفضه لتطبيق حد السرقة ، وقوله بعدم صلاحية الشريعة الإسلامية لكل الشعوب والأزمان ، والقول بصلب المسيح عليه السلام ، وسياسة المركز الحضاري بقرطبة .

ـ **المبحث الثاني** : يعرض فيه الباحث لنقد "دانييل" للحضارة الغربية من خلال أيدلوجية الغرب تجاه الإسلام ، وما يطلق عليه حوار الأديان ، والحملة الفرنسية على مصر ، ورعب الغرب من الخلافة الإسلامية .

الفصل الخامس: أسس الحوار الحضاري بين الغرب والإسلام .

ويتضمن هذا الفصل مبحثان :

ـ **المبحث الأول :** أسس الحوار الحضاري لدى "جارودي" والمتمثلة في انتقاده لما يطلق عليه "المركزية الأوربية" من خلال عرضه لإسهامات الحضارات الأخرى واستفادة الغرب منها. ومن هذه الحضارات السومرية والفرعونية والهنود الحمر والحضارة الإسلامية . وكذا موقفه من إنكار الغرب لإسهامات الآخر والنتائج المترتبة على ذلك ، وأهم مبادئ الحوار الحضاري ، ثم إعلانه اعتناق الإسلام .

ـ **المبحث الثاني :** وفيه عرض لموقف "دانييل"من أسس الحوار مع الإسلام من خلال تأكيده على علاقات التبادل العلمي والتجاري بين الغرب والإسلام ، من خلال أسبانيا وصقلية وحتى أثناء الحروب الصليبية ، الأمر المؤكد لفضل الإسلام على الغرب وأن خلاص البشرية يكون بالتعاون لا بالتنافر .

الخاتمة: وتشتمل على أهم نتائج البحث :

الفصل الأول
نظريات تفسير
نشوء الحضارات

تمهيد:

تعددت نظريات تفسير نشوء الحضارات ، لتعدد المهتمين بهـا واخـتلاف أيـدلوجياتهم ، وظروفهم وبيئاتهم ، كما اختلف الباحثون حول مدلول لفظ "الحضارة" . ولتوضيح ذلك سـيركز الباحث في هذا الفصل على أولاً : تعريف الحضارة لغة واصطلاحاً . ثانياً: اسـتعراض أهـم النظريات التي حاولت تفسير نشوء الحضارة ، ومنها ١- نظرية "التعاقب الدوري للحضارات" والتي نادى بها "أفلاطون" و"ابن خلدون" و"شبنجلر" . ٢- نظرية "العناية الإلهية" والتي نادى بها القديس"سان أوغسطين" . ٣- نظرية التحدي والاستجابة والتي نادى بها "أرنولد توينبي".

أولاً : تعريف الحضارة :

هناك خلاف كبير بين الفلاسفة وعلماء الاجتماع حول المقصود بلفظ الحضارة Culture ، بل لقد كان الخلط بين هذا المصطلح ومصطلح آخر هو المدنية Civilization مصدراً للكثيـر من الآراء المتعارضة والمواقف المتباينة . حيث اتجه البعض إلى ربط الحـضارة بالمظـاهر الثقافية والمعنوية وحدها ، كالدين والفلسفة والفن ، مع قصر المدنية علـى الظـواهر الماديـة والتجريبية ، كالعلم والتكنولوجيا . واتجه البعض الآخر إلى عكس هذا الرأي تمامـاً ، فجعـل الحضارة قاصرة على النواحي المادية وحدها ، بينما خص المدنية بالظواهر الثقافية المعنوية . وحاول فريق ثالث التوفيق بين هذين الرأيين المتعارضين ، فجعل اللفظين حـضارة ومدنيـة مترادفين أو متداخلين . وهذا هو الرأي الشائع في يومنا هذا (١).

١- الحضارة لغةً :

"الحضارة" تعني الإقامة في الحضر بخلاف البداوة (٢). ونجد في مادة "حضر" أن الحضور: نقيض المغيب والغيبة ، وحضر يحضر حضوراً أو حِضَارةً ... والحـضر خـلاف البـدو ، والحاضر خلاف البادي .... والحاضر المقيم في المدن والقرى ، والبادي المقيم في الباديـة . والحضر والحضرة والحاضرة : خلاف البادية ، وهي المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار ، والباديـة يمكـن أن يكـون

---

(١)- د. مجدي الجزيري : شهادة على عصر "من برديائيف إلى جورباتشوف" ، دار الوفـاء لـدنيا الطباعـة والنـشر ، ٢٠٠١ ، صـ٢٥٣.

(٢)- جميل صليبا : المعجم الفلسفي ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، بدون تاريخ ، صـ ٤٧٥ .

اشتقاق اسمها من بدا يبدوا أي يبرز، ولكنة اسم لزم ذلك الموضع خاصة دون ما سواه [1] .

و"الحضارة" بفتح الحاء وكسرها في دلالتها اللغوية تعني الإقامة في الحضر وهي خلاف البادية[2] .

و"حضر"الغائب حضوراً : قدم . والصلاة : حل وقتها .

ويقال حضر فلان – حضارة أقام في الحضر.

و"حاضر"القوم أي جالسهم وحادثهم بما يحضره . ومنه فلان حَسَنُ المحاضرة.

و"الحاضرة" خلاف البادية ، وهي المدن والقرى والريف . والعاصمة وحاضرة الشيء : القريبة منه ، وفي القرآن الكريم ﴿واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر﴾(الأعراف/١٣٦).

و"الحَضَارُ": الإقامة في الحضر وهي ضد البداوة . و مظاهر الرقي العلمي والفني والاجتماعي في الحضر .

و"الحَضَرُ": المدن والقرى والريف[3].

و"الحاضر" خلاف البادي في البادية ، و"الحضري" خلاف البدوي ، والحضارة خلاف البداوة[4].

و يقال "حضر" فلان – حضارة : أقام في الحضر، والغالب حضوراً: قَدِمَ.

"إحتضر" : حضر الموت .

"الحضر": المدن والقرى والريف ، ومن الناس : ساكن الحضر ومن لا يصلح للسفر[5].

وإذا اتجهنا إلي اللغات الأوربية نجد أن كلمة "حضارة" Culture اشتقت أصلاً من الكلمة اللاتينية "Cult-Cultura" بمعني حرث أو نمى ، وكانت هذه الكلمة في أصلها اللاتيني في العصور الوسطى والقديمة قاصرة على تنمية الأرض وزراعتها "Cultivation of soil" ومن هنا كانت كلمة زراعة "Agriculture" التي اشتقت من الكلمة اللاتينية "Agrculture" ، وقد استعملها "شيشرون" بنفس الطريقة في حديثة عن تنمية العقل [6] .

---

(١)- ابن منظور: لسان العرب ، ج٢ ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، صـ ٩٠٢ .

(٢)- الفيروز آبادي : القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ط٢ ، صـ ٤٨١ .

(٣)- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، تصدير د. إبراهيم مذكور ، الهيئة العامة لشئون المطابع الاميريه ، ٤١٦، هـ ، ١٩٩٥م ، صـ ١٥٧ .

(٤)- محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين ، مطبعة دار المعارف ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٢هـ ، ١٩٢٣م ، صـ ٤٥٤ .

(٥)- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، إخراج د. إبراهيم انيس ، د. عبد الحليم منتصر، واخرون ، إشراف حسن علي عطية، محمد شوقي أمين ، دار المعارف بمصر ، الجزء الأول ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢، صـ ١٨١ .

(6)–Ashele . M.F :**Culture, Man Adaptive Dimension** , Oxford , University ,London , 1968 , p. 3 .

وفي أوائل العصر الحديث بدأت الكلمة تستعمل في اللغتين الإنجليزية والفرنسية مع تحديد الشيء المقصود تنميته كما هو الحال في تنمية الفنون والآداب ، لذا نجد في قاموس أكسفورد Oxford في طبعته الأولى الصادرة عام ١٥١٠م ، تعريف الحضارة على هذا النحو : يقصد بالحضارة أي مجهود منظم لتنمية كيفيات موضوع ما[١] .

وفي القرن الثامن عشر وهو عصر التنوير أصبحت الحضارة تطلق إجمالاً ليقصد بها تنمية الطاقات العقلية بوجه عام ، وبهذا لم تعد تطلق على عملية تنمية العقل الفردي بقدر ما أصبحت تطلق على التطور العقلي والأخلاقي للمجتمع ككل [٢].

أما لفظ "مدنية"فيقال مدن فلان مدوناً أي أتى المدينة . وتمدن عاش عيشة أهل المدن وأخذ بأسباب الحضارة . والمدينة : اتساع العمران .والمدنية : المصير . والجمع مدن ، ومدائن واسم يثرب مدينة رسول الله ﷺ غلبت عليها [٣].

أما في اللغات الأوربية ، فلفظ Civilization مشتق من Civilis في اللاتينية بمعنى المدينة ، أو من Civis بمعني ساكن المدينة ، أو من Civilis بمعنى مدني ، أو ما يتعلق بساكن المدينة ، حيث تقوم الحياة المتحضرة عادة في المدن وبين الحضر ،أي سكان المدن ، وذلك لما يتوفر في المدن من ثروات وخبرات في التجارة والصناعة ، فضلا عن الإنجازات البشرية من اختراعات وابتكارات وإنتاج فكري ، بينما لا تسمح حياة البدو والفلاحين بقيام علاقات متشابكة أو أنماط من الحياة متنوعة تتيح قيام تحضر أو مدنية ، حتى وإن ظهرت بعض مظاهر الحضارة في القرى فإنها لا تزدهر إلا في المدن [٤] .

وكان كانط من دعاة هذا الرأي حيث ميز بين الحضارة والمدنية علي النحو التالي "ونحن نصبح متحضرين عن طريق الفن والعلم ، كما نصبح متمدنين Civilized عن طريق اكتساب الصفات الفاضلة والخصائص الحميدة "، ومن هنا كانت بداية التفكير في تحديد الفروق بين لفظة الحضارة "Culture" ولفظة المدنية Civilization[٥]. حيث كان الألمان عادة ما يستخدمون

---

(1)-Bacby , Philip :**Culture and History** , University of California press ,Berkeley and Los Angeles , U.S.A ,1959, P.73 .

(٢)- د. مجدي الجزيري : شهادة على عصر ، مرجع سابق ، صـ٢٤٥ .

(٣)- المعجم الوسيط : مرجع سابق ، صـ ٨٥٩ .

(٤)- د. أحمد محمود صبحي: في فلسفة الحضارة "١- الحضارة الإغريقية"، مؤسسة الثقافة الجامعية ، بدون تاريخ ، صـ ٣.

(٥) – د. مجدي الجزيري ، شهادة على عصر ، مرجع سابق ، صـ ٢٥٥.

كلمة Kultur الألمانية للدلالة على تنمية الحيــاة الداخليــة والطاقــات العقليــة والروحيــة ، ويستعملون كلمة Civilization للدلالة على الجوانب المادية أو التكنولوجية في الحــضارة أو للدلالة على أن الحضارة في طريقها للإحتضار والإفلاس . أما الفرنسيين فقد اســتعملوا كلمــة Civilization للدلالة على الحضارة في كل مستوياتها ، وكلمة Culture للدلالة على الجانب الثقافي وحدة(١) . كما ميز "كروبر" بين اللفظين على النحو التالي: لفظ الحضارة يطلق على كل الحضارات في جميع مستوياتها بينما يطلق لفظ المدنية على الحضارات العليا منها فقط (٢).

وعلى جانب آخر هناك من يخلط بين الحضارة "Civilization" والثقافة "Culture"، ولكن بين كلمتي الثقافة والحضارة فرق واضح واختلاف يظهر في اللغات الأوربية ولا يظهر هــذا الاختلاف في لغتنا العربية إلا في الأصل الاشتقاقي ، ويظهر الترادف بين الكلمتين بمجــرد أن ننظر فيما نعنيه بالمثقف والمتحضر ، فالمثقف هو المصقول المهذب . وعلى هذا النحو قيل عن الرمح المثقف بأنه المقوم المصقول . وكذلك الحال بالنسبة للمتحضر فهو أيضاً من نقلته حيــاة الحضر، ونعم بثمرات المدينة ، فاتسعت مداركه وتغيرت أساليب فكرة وســلوكه بفــضل مــا استحدثته الحياة الحضرية من طرق وأساليب لا تعرفها حياة البدو أو الفطرة (٣).

وفي المعاجم نجد في" ثقافة" أن:-

"ثقِف"الخل- ثقفاً: اشتدت خصومته فصار حريفاً لذاعاً. فهو ثقف . والعلم والصناعة : حذقهما. وفي القرآن الكريم ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾(البقرة /١٩١) . "ثقف" فلان- ثقافة سار حاذقــاً فطناً. و"ثقف" الشيء: أقام المعوج منه وسواه . و- الإنسان: أدبه وهذبه وعلمه .

"تثقف" تعلم وتهذب ويقال فلان تثقف على فلان ، وتثقف في مدرسة كذا .

"الثقافة" : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب العلم بها . والحذق فيها (٤).

"الثقاف" أداة من الخشب أو الحديد تثقف بها الرماح لتستوي وتعتدل ، أثقفه وثقف .

"الثقافة" : الملاعبة بالسيف (٥).

---

(١)- د. إبراهيم طلبة عبد الخالق:الجوانية عند عثمان أمين "أصولها وخصائصها"، دار الثقافة للطباعــة والنــشر، بــدون تــاريخ ، صـــ٥٨.

(2)- Kroeber and A.L : **Culture. A Critical Review of Concepts and Definition** , Cambridge ,U.S.A, Massachusetts , 1952 ,P.11.

(٣)- د. أميرة حلمي مطر: مقالات فلسفية حول القيم والحضارة ، مكتبة مدبولي، ١٩٦٧ ، صـــ ٨٧ .

(٤)- المعجم الوجيز : مجمع اللغة العربية ، مرجع سابق ، صـــ ٨٥.

(٥)- المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية ، الجزء الأول ، مرجع سابق ، صـــ ٧٣٨ .

كما أن الأصل اللاتيني في كلمة ثقافة هو Cultura وتفيد معنى الزراعة والإنماء ، فهي في حقيقة الأمر تعني تعامل الإنسان مع الطبيعة ورعايته لها ، وتمهيد الطريق السوي لرعاية ما هو موجود لينمو ويزدهر. والثقافة في ضوء هذا التفسير هي اختصار نوع من السلوك والتفكير والإحساس يكسب صاحبه شخصية معينه يتلقاها من بيئته الاجتماعية ، ويستنشق عبيرها على نحو ما يكتسب الكائن الطبيعي شكله ولونه من البيئة التي ينمو بها ، وهي تسري إلى الأفراد بلا وعي منهم(1) .

فمثلاً يمكن أن ينسب لصناع الأواني الفخارية والفنان البدائي عند تزيينه لكوخه ، أو لطريقة بناء المساجد والكنائس في العصور الوسطى ثقافة خاصة تميز كلاً منهم . فالثقافة إذا تنعكس في السلوك والإنتاج والأخلاق والفنون ، وتنتشر بين أفراد مجتمع معين لتقرب بينهم وتكسبهم طابعاً خاصاً يتميزون به عن غيرهم . وبهذا المعنى يمكن أن نتحدث عن ثقافات مختلفة بغير تفصيل بينها ، بل يمكن أن نتحدث عن ثقافة بدائية Savage Culture بغير أن نقع في تناقض . وليس الأمر كذلك بالنسبة للحضارة ، إذ من التناقض أن نتحدث عن حضارة بدائية Savage Civilization ، وذلك لأن نتاج الحضارة مخترعات واكتشافات وصناعات ، وهي شكل واع يُكتسب وثمرة جديدة لا تعتمد على أثر البيئة الطبيعية وحدها (2) . وبالتالي فالحضارة هي جديد الإنسان مضافاً إليه جديد الصيرورة (3).

٢- الحضارة اصطلاحاً :

مما سبق يتضح أن هناك صعوبة في وضع تعريف محدد للحضارة في ضوء اللغات المختلفة ، إلا انه يمكننا التطرق إلى أعمال بعض المفكرين لنقف على تعريفهم للحضارة ، فنجد أن من الفلاسفة العرب والأجانب من تصدى لهذا الموضوع ، ولما كان السبق للمسلمين في مجال العلوم الاجتماعية وغيرها ـ رغم حقد الحاقدين والمنافقين ـ لذا سيتم البدء بأحد المفكرين المسلمين وهو العلامة "ابن خلدون" ، وهو مؤرخ وفيلسوف ويعتبر من أبرز من تصدى لهذا الموضوع في اللغة العربية .

---

(١)- د. أميرة حلمي مطر، مرجع سابق صـ ٨٧.

(٢)- الموضع نفسه .

(٣)- تيسير شيخ الأرض : إرادة الحضارة ، دار الفاضل ، دمشق ، ١٩٩١ ، صـ ٨ .

ويعتبر "ابن خلدون" أول من عرف الحضارة وبحث فيها بحثاً دقيقاً (١)، وقد عرفها على أنها: تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه (٢) . كما تعتبر الحضارة عنده طور طبيعي من أطوار حياة المجتمعات . والبداوة هي أقدم من الحضر وهي الأصل له ، والحضارة غاية البداوة ، والحضارة هي المرحلة الأخيرة للعمران وآذان بفساده (٣). وقام بتقسيم الحياة البشرية إلى أطوار، واعتبر الحضارة غاية هذه الأطوار ، والعنصر الأساسي في الحضارة ، وبهذا فالعنصر الأساسي في الحضارة عنده هو إنشاء المدن وبناء البلدان (٤). ويرى "ابن خلدون" أن هناك علاقة بين نشوء الدولة والعصبية ، فالعصبية لا تقوم بذاتها ، فهي مجرد فكرة فاعلة في تشكيل الدولة . إلا أنه يرى أن العصبية تقوم في البيداء بنفس الدور الذي تقوم به في المدينة (٥). وتنهار الحضارة أو تتعرض لانتكاسة عند تفشي الاهتمامات المادية والترف والخمول . كما تعد ظروف الإقليم المناخية على قدر كبير من الأهمية ، حيث أنه كلما اشتد الحر أو البرد أدى ذلك إلى قلة العمران والعكس(٦) .

وبالنظر في الفكر الغربي نجد على سبيل المثال لا الحصر الفيلسوف الألماني "شبنجلر"، الذي استخدم كلاً من كلمة الحضارة والمدنية لتعبر بالمفهوم الدوري عن تتابع ضروري ، وهو مصير محتوم للحضارة (٧) ، فمجرى الحضارة يخضع لدورات مستقلة بعضها عن البعض ، وبالتالي فلا محل للقول بوجود حضارة واحدة ، إذ أنه توجد عدة حضارات ، وكل واحدة منها لها شخصيتها المتميزة ونظرتها الخاصة بها إلى الحياة وفلسفتها المحددة في الوجود والفن والعلم والدين (٨). كما أن لكل حضارة عناصر خاصة بها ، وعناصر غريبة عنها ، وكل هذه العناصر تحدد النفس الأولية لكل حضارة (٩). ولذا يعرف "شبنجلر" الحضارة بأنها الظاهرة الأولية للتاريخ العالمي كله ، ما كان منه وما سيكون (١٠).

---

(١)– يسري فوزي حجاج : العقل والحضارة في فلسفة "جورج لوكاتش" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف د. محمود سيد أحمد ، جامعة طنطا ، ١٩٩٥ ، صـ ١٧٥ بتصرف .

(٢)– عبد الرحمن ابن خلدون : المقدمة ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠ ، صـ ١٧٢ .

(٣)– قسطنطين زريق : في معركة الحضارة ، دار العلم للملايين ، بدون تاريخ ، ط ٢ ، صـ ٣١ بتصرف .

(٤)– د. مجدي الجزيري : شهادة على عصر ، مرجع سابق ، صـ ٢٥٨ .

(٥)– عزيز العظمة : ابن خلدون وتاريخه ، ترجمة عبد الكريم ناصف ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ ، صـ ٥٦ .

(٦)– د. محمد عبد الرحمن : من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية ، منشورات عويدات ، ط١ ، ١٩٧٠ ، صـ٧٩٩ .

(7)–Spengler , Oswald : The Decline The West , Vol. I, New York , Alfred Munlivi , 1932 , P. 31 .

(٨)– د. مجدي الجزيري : شهادة على عصر ، مرجع سابق ، صـ ٢٥٩ .

(٩)– شبنجلر : تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة احمد الشيباني ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ، ج١، ١٩٦٤، صـ ١٤ .

(١٠)– عبد الرحمن بدوي : خلاصة الفكر الأوربي "شبنجلر" ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤١ ، صـ٤٣ .

ولما كان التاريخ الإنساني عند "شبنجلر" يسير في دورات مغلقة ومستقلة كل منها عن الأخرى ، وقد شبه كل دورة حضارية واحدة بما يحدث بالنسبة للكائن الحي العضوي من دورة حيوية تبدءا بالطفولة ثم الشباب ثم تبلغ الشيخوخة وأخيراً الموت ، فإنه ترتب على ذلك أن أصبحت لفظتي" الحضارة والمدنية تعبران عن مرحلتين متعاقبتين داخل كل دورة حضارية على حدة . وبهذا أصبحت مرحلة الطفولة والشباب والحيوية والنضج هي بعينها مرحلة الحضارة ، حيث تتجه البشرية إلى كشف كل جديد في الفكر والفن والعلم . ثم تأتي بعد ذلك المرحلة الثانية وهي مرحلة المدنية ، وهي الفترة التي تلي مرحلة النضج الحضاري ، حيث لا يصبح هناك أي مجال للابتكار والتجديد ويقتصر الموقف على استغلال كل الإمكانيات التي حققتها الحضارة من قبل ، ومن ثم يتجه الاهتمام ناحية الفتوحات والانتصارات الفكرية والإنجازات المادية والعملية[١].

ويشن "شبنجلر"حملة عنيفة على المدنية ، ففي المدنية تصبح الصيرورة Becoming صيراً Become ، ويسمى التاريخ طبيعة ، ويغدو الزمان مكاناً والاتجاه امتداداً ، والعلوم الروحية علوماً طبيعية ويتخشب كامل الوجود ، إذ تجف العصارة الحياتية من ساقه ، وتاجه وأغصانه وتنحل الضمائر وتصبح العظمة بالباع والدينار ، بعد أن كانت الأخلاق والعزائم هي منشأ المدن العظمى [٢].

كما نجد مفكر غربي آخر وهو "ول ديورانت" الذي عرّف الحضارة بأنها "نظاماً اجتماعياً يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي" [٣]. بينما نجد أن "البرت إشفيتزر" يربط بين الأخلاق والحضارة ، إذ ينسب كل ازدهار حضاري إلى الإزدهار في الأخلاق أولا ، وفي المقابل فإن أي انحلال في الأخلاق يؤدي إلى انهيار في الحضارة . فالعنصر الرئيس والفعال في الحضارة هو الأخلاق[٤] . كما يرى أن العناصر الجمالية والاتساع الرائع في معارفنا المادية وقوانا ، كل ذلك لا يكوّن جوهر الحضارة ، وإنما يتوقف هذا الجوهر على الاستعدادات العقلية عند الأفراد والأمم القاطنة في العالم ، وما عدا ذلك ليس إلا ظروفاً مصاحبة للحضارة ولا شأن لها بجوهرها ...، والحضارة بهذا المعنى هي التقدم الروحي للأفراد والجماهير على السواء"[٥].

---

(١)– الموضع نفسه .

(٢)– شبنجلر : مرجع سابق ، صـــ١٥ .

(٣)– ول ديورانت : قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، ١٩٧٣، ط٤ ، صـــ٣ .

(٤)– فتحي شعبان : مفهوم الحضارة عند البرت إشفيتزر"بين فلسفة التاريخ وفلسفة الأخلاق" ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف أ.د. محمد ثابت الفندي ، أ.د. أحمد محمود صبحي ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٨ ، صـــ١٣ .

(٥)– البرت إشفيتزر: فلسفة الحضارة ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٣، ط٣ ، صـــ٣٤ .

كما عرف "هنتنجتون Huntington"(♥) الحضارة وربطها بعض الشيء بالثقافة فقال"الحضارة والثقافة كلاهما يشير إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما ، والحضارة هي الثقافة على نطاق أوسع وكلاهما يضم المعايير والقيم والمؤسسات وطرائق التفكير التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في مجتمع ما" [١]..." والحضارة إنما هي أعلى تجمع ثقافي من البشر وأعلى مستوى من الهوية الثقافية يمكن أن يميز الإنسان عن الأنواع الأخرى ، وهي تُعرف بكل من العناصر الموضوعية العامة مثل اللغة والتاريخ والدين والعادات والمؤسسات والتحقيق الذاتي للناس"[٢].

كما أن علماء الاجتماع والحضارة قد أخذوا بالتفرقة بين المدنية والحضارة ، فنجد على سبيل المثال "ألفرد فيبر M. Weber" يميز بين مجال المدنية ومجال الحضارة ، فالمدنية هي العلم والتكنولوجيا ، لأنها تشير إلى الفلسفة والدين والفن . ومثل هذا التمييز بين المجالين إنما يقوم بالدرجة الأولى على اختلاف طبيعة المدنية التراكمية عن طبيعة الحضارة... ، فالمدنية تراكمية في طبيعتها وجوهرها ، فهي تقبل الانتشار من جيل إلى جيل ، كما أنها تقبل الإنتشار بين المجتمعات المختلفة ، أما الحضارة فنظراً لارتباطها بالخلق الإنساني الذاتي المستقل فإنها تعد غير قابلة للانتقال وللانتشار، وبهذا تنتفي عنها صفة التراكمية المميزة للمدنية [٣]. بينما يربط البعض بين المدنية و"العمران" ، والذي يشابه في علاقته مع المدنية العلاقة بين الحضارة والمدنية ، حيث يطلق العمران على الإنجازات العينية التي تحدثها المدنية مثل شبكات الطرق والمرافق والمنشئات [٤].

وهناك "ماكيفر Maciver" الذي ميز بين الحضارة والمدنية من منطلق ارتباط المدنية بالوسائل Means وارتباط الحضارة بالأهداف والغايات وحدها Ends [٥]، إذ يقول "عندما نتحدث عن المدنية فإننا نقصد بهذا عادة الإشارة إلى ذلك الميكانيزم الكلي وذلك التنظيم الذي ابتدعه الإنسان لتنظيم حياته . أما الحضارة فإنها تعنيُ التعبير عن طبيعتنا في صور الفكر

(♥)– "هنتنجتون" مفكر يهودي أمريكي ، يعمل أستاذاً لعلم الحكومات ، ومدير معهد "جون أولين" بجامعة هارفارد الأمريكية ، وصاحب النظرية الشهيرة "صدام الحضارات" ، وله كتاب اخر مترجم إلى العربية بعنوان "الموجة الثالثة" ، وكتاب بعنوان "الغرب والآخرون" . نقلاً عن عطية فتحي الويشي : حوار الحضارات ، مكتبة المنار ، ٢٠٠١، صـ٤٣ .

(١)– صمويل هنتنجتون : صدام الحضارات "إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة طلعت الشايب ، تقديم د. صلاح قنصوه ، سطور ،١٩٩٨، صـ٦٩ .

(٢)– المرجع نفسه، صـ٧١ .

(٣)– د مجدي الجزيري ، شهادة علي عصر ، مرجع سابق ، صـ ٢٦٠ .

(٤)– رشيد مسعود : الموسوعة الفلسفية العربية ، د. معن زيادة ، معهد الإنماء ، حلب ، المجلد الأول ، ط١، ١٩٥٧، صـ ١٢.

(٥)– د. فؤاد زكريا : الإنسان والحضارة في العصر الصناعي ، مركز الشرق الأوسط ، ط١ ، ١٩٥٧ ، صـ١٢ .

والحياة السائدة في حياتنا اليومية ، كالفن والأدب والدين أيضاً(١) . ومن ثم فإن الحضارة تمثل عالم القيم وأساليب الارتباطات العاطفية والمغامرات العقلية – أو بعبارة أخرى إنها نقيض المدنية . وهكذا أصبحت المدنية مجرد وسيلة لهدف آخر أو غاية أخرى ، أي أنها لم تعد تمثل هدفاً في حد ذاتها فهي برجماتية في أصلها وطبيعتها ، مما يجعلها متميزة عن القيم الإنسانية العليا التي تقصد لذاتها لا لشيء آخر غيرها (٢) .

والحضارة عند "الفرد نورث وايتهد" هي مجموعة عناصر ضرورية ، وهي الصدق والجمال والمغامرة والفن والسلام . أما العلم فلا يعد عنده عنصراً ضرورياً من عناصر الحضارة ، حيث لاحظ أن الكثير من التقدم قد حدث في الصين مثلاً ، بالرغم من أن إنجازاتها العلمية ضئيلة . وكذلك أيضاً الهند وفارس والرومان ، حتى العلم الغربي الحديث لم يحرز تقدماً ملموساً إلا منذ القرن السابع عشر(٣). وتكمن مبادئ الحضارة لديه في أنماط السلوك وأنماط العواطف وأنماط العقائد والخبرات الفنية (٤).

ويرى "توينبي" أن الحضارة الغربية المعاصرة قد استنفذت طاقاتها وإبداعاتها ولم تعد قادرة على مواجهة التحديات الحالية ، كما رفض أن يتخذ التقدم المادي والتكنولوجي معياراً نقيس به تقدم الحضارة . لأن الحضارة هي في روحها الخلاقة وليست في المظهر المادي (٥).

وبهذا فالحضارة تُجلب وتُصنع وقد تنتقل من بيئة لأخرى ، وذلك لتميزها بالمخترعات الصناعية والتقدم التكنولوجي لمجتمع من المجتمعات . فمثلاً كان الحديد هو العامل الأساسي في حضارة اليونان وتعميم صناعته في الآلات الحربية هو الذي هيأ للانتصار الحربي . وكان العامل الأساسي في الحضارة العربية هو ما توصلت إليه من حسابات في الفلك ساعدت على الكشف الجغرافي والإطلاع على أحوال الأمم الأخرى . أما الحضارة الأوربية فهي حضارة البخار والكهرباء والذرة . كما تتميز الحضارة بأن ثمارها سريعة الإنتشار وهي مع آثارها المادية الثقافية الإنسانية التي تتشكل بها ، تنعكس في الفكر والدين والأخلاق والفن . وبمعنى

---

(1)- Kroeber : **Culture , A critical , Review of Concepts and Definitions** , Cambridge , Massachusetts ,1952 , p.15.

(٢)- د. مجدي الجزيري ، شهادة علي عصر ، مرجع سابق ، صـ ٢٦٠ .

(3)- Whitehead Alfred North: **Adventures of Ideas** , Cambridge University Press , 1947 , p.309.

(٤)- وايتهد: مغامرات الافكار ، ترجمة انيس زكي حسين ، مراجعة د. محمد الامين ، تقديم محمد عبد العزيز الحبابي ، عبد الرحمن القيسي ، دار مكتبة النهضة ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صـ ٣٨، ٩٨ .

(5)- Sorikin , P: **Modern Historical and Social Philosophies** , Formerly titled ,Social Philosophies of an age of Crisis , p.120.

آخر تكون الحضارة المضمون ، أما الثقافة فتكون الشكل الذي يعكس هذا المضمون المادي في إسلوب معين من السلوك الأخلاقي أو من الفكر الديني والأخلاقي أو التعبير الفني (١).

وبعد منتصف القرن السابع عشر رأى المفكرون أن أساليب حياة المجتمعات البشرية قد بلغت مستوىً عالياً من العلم والوعي ، وما زال هذا المستوى يتحسن مع مرور الزمن رغم النكسات والحروب والأوبئة الوافدة (٢). ويعولون على انتشار الفلسفة في العالم أنها ستقدم العزاء للبشرية عن الكوارث التي ستواجهها في العصور كلها (٣). وقد أعرب "فولتير" عن تقديره لأعمال الحضارة حيث قال"إن أساس التقدم كله ومصدر التفاؤل بالمستقبل يكمنان في ميدان العمل الاجتماعي والاقتصادي ... وإن المتحضرين حقاً هم الذين اخترعوا المحراث ومنسج النساج وفارة النجار ومنشاره ، وإن إقامة هويس(♥) على قناة تصل بين بحرين ، أو لوحة من رسم بوسيان(♥♥) أو تأليف مسرحية جيدة ، أو اكتشاف حقيقة علمية ، كل هذا أقيم من تفاصيل الحروب جميعاً" (٤). ولنا الآن أن نتساءل السؤال الأتي : هل الحضارة الإغريقية معجزة فريدة بين الحضارات القديمة ؟

يشير كثير من كتاب الغرب ، مؤرخين وفلاسفة وأدباء ، إلى الحضارة الإغريقية كما لو كانت حدثاً فريداً تتضائل إلى جانبه ما قدمته حضارات الشرق القديم بأسرها. بينما الواقع أن الحضارة الإغريقية نشأت متأخرة عن حضارات الشرق جميعاً ، فمن المؤكد أنها أفادت منها إفادات كثيرة ونهلت من علومها بشراهة ، بل إن ظهور هذه الحضارة على سواحل أسيا الصغرى لا في اليونان نفسها ، راجع إلى احتكاكها واتصالها بالحضارات الفينيقية وغيرها من حضارات ظلت تمد الحضارة الإغريقية طوال تاريخها بكثير من عناصر تراثها – وعنها أخذت اللغة اليونانية أبجديتها – وعنها أخذت علم الفلك وغيره من العلوم ، فضلاً عما كان لرحلات كبار مفكري الإغريق من أمثال "أفلاطون وهيرودوت" إلى مصر وغيرها من أثر كبير في تشكيل الفكر اليوناني ، ولذا يقول "هيجل" أن الأصول الأولى للحضارة الإغريقية كانت مرتبطة

---

(١)– د. أميرة حلمي مطر : مرجع سابق ، صـ ٨٩–٩٠.

(٢)– د. حسين مؤنس : الحضارة "دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها"، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٩٨ ، صـ٢٩٣ .

(٣)– د. مصطفى النشار: فلسفة التاريخ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ،القاهرة ، سلسلة الكتاب،عدد ١٤ ، ط١، ٢٠٠٤ ، صـ٨٤ .

(♥)– الهويس : بوابة في مجرى ماء تنظم سير الماء وتتحكم فيه .

(♥♥)– بوسيان : أعظم الرسامين الفرنسيين في القرن التاسع عشر ، وهو الذي وضع أسس رسم اللوحات القديمة ، ومشاهد من أساطير اليونان والرومان واللوحات الدينية .

(٤)– د. حسين مؤنس : مرجع سابق ، صـ ٣١٠ .

بقدوم الأجانب ، وكان الإغريق يشعرون تجاههم بشيء من الإمتنان ، ومن شعوب الشرق تعلموا الزراعة واستخدموا الحديد وصناعة الغزل والنسج واستئناس الخيل ، بل إن كثيرا من مدنهم الهامة قد أسسها أجانب ، فأثينا وهي لفظ غير يوناني قد أسسها مصري يدعي "سيكروبس" Cecrops ، وطيبة أسسها "كادموس" Cadmus وهو فينيقي (١).

نعم لقد ابتكرت الحضارة الإغريقية الفلسفة وفروعها : المنطق وفلسفة الأخلاق وما بعد الطبيعة وعلم النفس ، وعرفت المسرح من فنون الأدب ، وإليهم يرجع الفضل في التأريخ ، هذا مالا ينكر على الإغريق من فكر ساهموا به في تراث الإنسانية ، أما سائر مظاهر الفكر فيرجع إلى الحضارات الأخرى ، وإن إبداع الفكر الإغريقي ليس معجزة ، لأنه جهد قد أفاد من حضارات سبقته ، فضلا عن أن هذه الحضارات قد فاقته في مظاهر أخرى للفكر (٢).

وبهذا يتضح مدى الاختلاف الظاهر في تعريف الحضارة حيث كان هناك لبس ما بين استخدام بعض المفكرين لمصطلح "الحضارة" و"المدنية" و" الثقافة". وكما كان هناك خلاف في تعريف للمصطلح كان هناك أيضاً خلاف في تفسير نشاءه الحضارة.وأسباب وعوامل قيامها وازدهارها وعوامل استقرارها وكذا عوامل اضمحلالها ثم انهيارها ثم تلاشيها . فهناك كثير من المفكرين الذين رأوا أن الحضارة لها أطوار و أنها متداولة بين الأمم ، فقد تزدهر عند امة ما بعدما تتلاشي عند أخرى . ومثلما كان هناك خلاف حول مفهوم الحضارة كان هناك خلاف أيضاً حول التاريخ ، حيث ميز البعض بين التاريخ التأملي والتاريخ الأصلي ، فالتاريخ التأملي ينظر إلى الأحداث نظرة كلية ، ومن ثم يمكنه تناول فترات طويلة من الزمن . وهو على هذا عكس التاريخ الأصلي . حيث أن الفترة التي يكتبها المؤرخ عادة ما تكون قصيرة ، كما أن المؤرخ التأملي يلجأ إلى إقحام آراءه الخاصة في الماضي ، حيث يكون التاريخ التأملي بمثابة الصدى الذي تمثله الأحداث الماضية في روح المؤرخ . فالأحداث لا تروى كما هي ولكن تمتزج بتصورات ومفاهيم وإسلوب المؤرخ . أما التاريخ الأصلي فهو الذي تُكتب فيه الأحداث بحرفية (٣).

---

(١)– د. احمد محمود صبحي: في فلسفة الحضارة ، مرجع سابق ، ص ١٨.

(٢) – المرجع نفسه ، ص ١٩.

(3)-Beiser ,Fredrick :**Hegel's Historicism** ,Beiser ,The Cambridge ,Companion to Hegel ,London , Cambridge University ,Press ,1993 , P.283 .

ثانياً : أهم نظريات نشوء الحضارة :

١-نظرية التعاقب الدوري للحضارات :

التعاقب الدوري الحضاري هو العلاقة بين وحدات مختلفة تشغل فترات زمنية متتالية تتمايز عن طرق ترتيبها داخل نظام طبيعي أو مفترض ، ويعني العلاقة بين وحدات مختلفة يجمعها تتابع داخل نسق أو نظام مثل سلسلة الأعداد . كما عرف"لالاند" التعاقب بأنه وجود وحدات قابله للتميز ولكنها لم تتميز بعد . وقد ظهرت هذه النظرية منذ القدم لدى الحضارات الشرقية القديمة ، كما في أسفار "المهابهاراتا و البورانات" التي تحتوي على إشارات إلى تعاقب دورات العالم ، وفي كل دورة أربع "يوجات(*)" (١) .

أ- أفلاطون (٤٢٧- ٣٤٧) ق.م :

ظهرت فكرة التعاقب الحضاري أو التعاقب الكوني لدى الحضارة اليونانية ، فنجد أثراً لها لدى أفلاطون في محاوراته الشهيرة : "تيماوس، و كريتاس والقوانين" (٣). حيث كان أفلاطون يعتقد أن تعاقب السنين مهيأ لتكرار نفسه على مدى فترة محدودة هي السنة العظمى التي كان مقدارها ٣٦,٠٠٠ سنة شمسية(٢)، كما رأى أفلاطون أن هذه الحركة تخضع لها الكواكب و المجتمع ، أما القوى الفاعلة فهي قوى خفية إلهية تمسك بزمام هذا العالم ، فيحدث تدهور تدريجي ، غير أن الإله يعيد الأمور إلى حالتها الأولى ، و تبدأ مرحلة جديدة ، ويناظر الجزء الأول من دورة هذا العام العصر الذهبي الذي عاش فيه الناس في سعادة و بساطة(٤) .

وقد طبق أفلاطون نظرية التدهور على دراساته للمجتمعات السياسية ، حيث اعتقد أنه قد سبق ظهور أرستقراطية من الحكم المثالي في عهد سابق لعصر انتكاس العالم عندما كانت الأحوال لم تصل إلى مثل هذا القدر من السوء ، وبين ما لحق بها من تدهور تدريجي من خلال المراحل المتعاقبة للديمقراطية "حكومة الطامعين" والأوليجاركية "حكومة الأثرياء" والديمقراطية

(*)- اليوجات : هي العصور .

(١)- د. معن زيادة : الموسوعة الفلسفية العربية ، المجلد الأول ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ط١ ،١٩٨٦ ، صـ ٢٧٥ .

(٢)- كاولن ولسون ، جون جرانت: فكرة الزمان عبر التاريخ، ترجمة فؤاد كامل ، مراجعة شوقي جلال ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٥٩، مارس ١٩٩٢، صـ٣٦ .

(3)- Weiner, Philip: Editors, Dictionary of the history of ideas, volume 3, Charles Scribners Sons, New York , 1973 , P. 628.

(٤)- د. عبد الرحمن بدوي: الزمان الوجودي ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥، صـ٥٠.

والطغيان ، وقد رأى "أفلاطون" أن فكرة التدهور قد جاءت نتيجة لإيمانه بوجود نظـــام ثابــت مطلق لا يتغير عندما يستقر يصبح أي انحراف عنه اتجاها إلى الأسوأ[١].

ب – ابن خلدون[*] (١٣٣٢م-١٤٠٦هـ) :

ذكر "ابن خلدون" في المقدمة أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وركبه علـــى صـــوره لا يصلح حياتها أو بقائها إلا بالغذاء ، ويضيف "ابن خلدون": يستحيل أن تفي بذلك كله أو ببعضه قدرة الواحد ، فلا بد من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه ليحصل القوت لـــه ولهـــم وذلـــك بالتعاون فيما بينهم ، مما ينتج عنة الكفاية له ولهم ، وكذلك فالفرد يحتاج إلى الجماعة للـــدفاع عن نفسه [٢]. واعتقد "ابن خلدون" أن الدولة أو الحضارة لها عمر مثل عمر الكائن الحي . لكنه قدره بمائة وعشرين عاماً أي ما يعادل ثلاث مرات عمر الجيل الواحد ، والحضارة أيضاً لهـــا مراحل ، حيث تولد و تنمو ثم تهرم وتفنى[٣]. وهذه المراحل عبارة عن عدة أطوار وهي:

١– طور البداوة :

وهو طور سابق على مرحلة التحضر ويطلق على البدو الذين يسكنون الصحاري ، والبربر في الجبال ، والتتار في السهول[٤]. ويعيشون في مجموعات تسمي قبائل وما يجْمعهـــم ويـــنظم علاقاتهم ليس القوانين ولكن العصبية ونصرة ذوي الأرحام ولا تحكمهم سوى عاداتهم وحاجاتهم واحترام شيخ القبيلة وحاجتهم المستمرة للدفاع والهجوم . ولكن العصبية لا تقوم بذاتها فهي فكرة فاعلة في تشكيل الدولة ، ولذ تقوم في البيداء بنفس الدور الذي تقوم به في المدينة [٥]. وهم أقوام تتميز بالخشونة والتوحش والتمدن غاية البدوي يجري إليها وتغلب عليهم أخلاق فاضـــلة مثـــل

(١)– ج . ب . بيوري : فكرة التقدم ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، صـــ٢٦.

(*)– "ابن خلدون" : هو ابن زيد عبد الرحمن بن محمد المشهور بابن خلدون ، ولد عام ٧٣٢ هـــ بتونس و توفي عـــام ٨٠٨هـ بالقاهرة .ولد حصل علومه في تونس ، وبعد أن درس كل العلوم المعروفة في عصره اشتغل بخدمة الدولة ، ثم ارتحل وســافر فترة ما بين اسبانيا وإفريقيا . ومن اشهر مؤلفاته : مقدمة في التاريخ ، والتي اشتهرت باسم "مقدمة ابن خلدون" . نقـــلا عـــن د. زكي نجيب محمود : الموسوعة الفلسفية المختصرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢ ، صـــ صـــ ١٠ ،١١.

(٢)– د. احمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط ١، ١٩٩٦، صـــ٥٣.

(٣)– د. رأفت الشيخ : تفسير مسار التاريخ ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ٢٠٠٠ ، صـــ٧٣.

(٤)– د. مصطفى النشار : فلسفة التاريخ ، سلسلة الكتاب ، مرجع سابق ، صـــ٦٧ .

(٥)– د. عزيز العظمة :ابن خلدون وتاريخه ، مرجع سابق ، صـــ٥٦ .

الدفاع عن النفس والغيرة والشهامة والنجدة ، ويهتمون بالأساسيات ثم الكماليات ، ثم يزداد الترف فيتخذون القصور والمنازل ، وهؤلاء هم الحضر [1].

٢- طور : التحضر :

وهنا يتحقق الملك وتؤسس الدولة وينتقل فيه المجتمع من حالة البداوة إلى حالة أخرى وهي حالة المدنية والرقي ، وهنا يبدأ الوهن يدب في قلوب الناس ، وتضعف الدولة ويطمع فيها الجيران بالنهب والإغارة عليها لسهولتها عليهم [2]. ومن أهم العوامل التي تساعد علي قيام الدولة وشدتها هو عامل الدين ، "حيث أنه لا يؤهل القبيلة للقيام بالفتح والتغلب علي الأمصار شيء كالاستناد إلي مبدءا ديني أو دعوة سياسية" [3]، ــ وأصحاب الدعاوى العلمانية الآن يطالبوننا أن نبعد الدين عن حياتنا ونقصره على المسجد فقط ! ــ ويدلل "ابن خلدون" على ذلك بمثال وهو العرب فقال :"إن العرب البدو لا يُحصّل لهم الملك إلا بعصبية دينية من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة ". ويضرب لنا مثلا آخر وهو " فتح المسلمين الشام والعراق وفارس ومصر مع خضوع هذه الأقاليم لدولتين عظيمتين كان أيسر من فتح شمال إفريقيا التي كان يسكنها البربر الذين لهم عصبية متينة ، بل لم يستطع الرومان قبل ذلك إخضاعهم [4].

وبصفة عامة يتوقف تقدم الحضارة لدى "ابن خلدون" على ثلاثة أشياء :

أ- الأرض:

وذلك لأن الأرض هي مصدر الإنتاج وما الحضارة إلا ثمرة عمل منظم متواصل للنشاط البشري لاستثمار الأرض [5].

ب- الحكومة:

وتعتبر الحكومة القوية من أسس التحضر ، لأن الاستقرار يحتاج إلى التنظيم والإدارة . ويشترط "ابن خلدون" في الحكومة الآتي :

١- القوة . وذلك لحماية السكان وليطمئنوا على سلامة أعمالهم .

٢- العدالة وذلك كي تشجع السكان على مواصلة النشاطات المختلفة والتمتع بثمرته.

---

(١)- ابن خلدون : مرجع سابق ، صـ١٢ .

(٢)- نيفين جمعة علم الدين : فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ ، صـ ٤٠ .

(٣)- ابن خلدون : مرجع سابق ، صـ ٥٧ .

(٤)- الموضع نفسه .

(٥)- د. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ١٤٥ بتصرف .

٣- الكرامة وذلك من أجل تشجيع التجارة وفرض الضرائب المعقولة . كما تعتبر الدولة عن قوتها وتحضرها بالآثار، وعلى قدر قوتها تكون أثارها ، فمباني الدولة وهياكلها العظيمة إنما تكون على نسبة قوة الدولة ، لأن ذلك لا يكون إلا بكثرة الفعل واجتماع الأيدي على العمل(1).

ج- السكان:

إن كثرة السكان هي التي تخلق الحكومة لأن اجتماع عدد كبير من الناس وتنظيم جهودهم ، وتوزيع العمل فيما بينهم يجعل ثمرة جهودهم تفوق حاجاتهم فلا يستهلكون إلا جزءاً يسيراً ويزيد الباقي عن حاجاتهم فيستثمرونه في الترف ومظاهر التحضر ، الذي يزيد من قوة الدولة ويكثر التناسل ، فتزداد الدولة قوةً وعدداً (٢) .

٣- طور التدهور:

ويشير "ابن خلدون" إلى أن عوامل تدهور الدولة هي بعينها عوامل قيامها وازدهارها ، ويؤكد على أهمية المؤثرات الداخلية كفقد الثقة بين الحاكم والمحكومين ، وأول هذه العوامل هو العصبية التي بها تتم الرياسة والملك ، فبعد أن يتم للملك الملك ، يقوم بالإنفراد بالملك والمجد وحده ، فيبعد أهل عصبيته عن الملك بالأنفة ، فيبدأ العداء بينهم ويأخذهم بالقتل والإهانة . أما العامل الحاسم في ضعف الدولة فهو الترف (٣) ، وذلك للأسباب الآتية :

أ- عوامل اقتصادية :

وذلك يرجع لأن طبيعة الملك تقتضي الترف ، حيث النزوع إلى رقة الأحوال في المطعم والملبس والفرش والآنية ، من تشييد المباني الحافلة والمصانع العظيمة والأمصار المتسعة والهياكل المرتفعة ، ويزيد الإنغماس في الترف والنعيم لا من جانب السلطان وبطانته فحسب ، بل من جانب الرعية أيضاً ، حتى أن الأمر يصل في النهاية إلى أن الجباية لا تفي بخراج

---

(١)- المرجع نفسه ، صـ ٤٦ ابتصرف.

(٢)- ابن خلدون : المقدمة ، مرجع سابق ، صـ ١٦٠ .

(٣)- المرجع نفسه ، صـ ١٥ .

الدولة. وهكذا تذهب رؤوس الأموال وتكسد الأسواق وتقل جباية السلطان وتقفر الديار وتخرب الأمصار [(١)].

ب- عوامل أخلاقية :

وذلك لما يلزم عن الترف من فساد أخلاق ، حيث أن عوائد الترف تؤدي إلى العكوف على الشهوات ، وتثير مذمومات الخلق فتذهب الحشمة عنهم وتنتشر بينهم الفحشاء ، بعد زوال أخلاق البداوة وضعف العصبية والبسالة ، حتى إذا انغمسوا في النعيم أصبحوا عيالاً على الدولة كأنهم من جملة النسوان والولدان المحتاجين للمدافعة عنهم [(٢)]. ثم تضعف الدولة نتيجة العوامل السابقة فيطمع بها الأعداء من كل جانب فتنهار .

وهكذا نلاحظ أن "ابن خلدون" يتميز ببصيرة ثاقبة تبرت أغوار الواقع والمستقبل ، فشخصت الأسباب والعوامل التي تؤدي إلى قيام الحضارة وأسباب انهيارها ، وركز علي عامل قوة الحضارة وتماسكها وهو الدين ، فبالتمسك بالدين تبدأ الحضارة في الظهور ثم التقدم والرقي ، ومتى تمسكت الأمة بالأخلاق ترتقي ، وعندما تتخلى عن الفضائل فإنها تنهار بانهيار المعايير الدينية وفساد الحكام وسوء العلاقة بينه وبين المحكومين ، فيؤدي ذلك إلي ضعف الدولة ثم انهيارها –"فإن يصلح الراعي ويتقي ربة تخشي الذئاب ربوعه وحماة"– وهذا ما ينطبق بالفعل علي حضارتنا الإسلامية ، فمنذ أن تمسك الرسول ﷺ والصحابة من بعده بالدين والأخلاق الفاضلة ارتقت الدولة الإسلامية وخضع لها العالم وكانت مُهابة الجانب من الجميع ، وعندما ترك الخلف تعاليم الدين الحنيف ضعفت الدولة فطمع فيها الأعداء من كل جانب وذلك مصداقا لقول الرسول ﷺ "توشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا : أومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ ، قال : كلا ولكنكم يومئذ كثير ولكن غثاء كغثاء السيل ، وليوشكن الله أن ينزع المهابة من قلوب عدوكم ، ولقذفن في قلوبكم الوهن . قالوا : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت [(٣)].

كما يرى العديد من الباحثين أن تصور "ابن خلدون" لحركة التطور في شكل دائري قد يدفعه على التشاؤم ، وعدم إمكان الإصلاح الاجتماعي، مما لا يمكننا اليوم اعتباره بفلسفة

---

(١)- د. أحمد محمود صبحي: في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ١٤٨ .

(٢)- المرجع نفسه ، صـ١٤٩ .

(٣)- رواه الإمام أبو داوود في المسند ، كتاب الملاحم ، ج ٤ ، حديث رقم ٤٢٩٧ ، صـ٤٨٤ .

للتاريخ ، لأن فلسفة التاريخ في تطور المجتمع البشري تنصب على فكرة التقدم المطلق للحياة البشرية [1]. بينما يرى "لاكوست" أن "ابن خلدون" يبحث عن الأسباب العميقة لتطور التاريخ في الأبنية الاقتصادية والاجتماعية ، ومع ذلك فهو رجل من القرن الرابع عشر ، ولذا نجد جزء كبير من فكره متأثر بشدة بالدين [2].

ج- أسولد شبنجلر [*] Spengler(١٨٨٠-١٩٣٦) :

يستخدم "شبنجلر" كلٍ من كلمة "الحضارة" و"المدنية" ليعبر بهما عن المفهوم الدوري لتتابع الحضارات ، لأن ذلك التتابع هو المصير المحتوم لكل حضارة ، ولذا فعندما تتشكل نتائج الشيء لا يمكن أن يقف أمامها أي إرادة أو عقل [3]. كما يرى "شبنجلر" أن لكل حضرة دستوراً أخلاقياً يتجلى في العقيدة وقو النفس ، وأن الدستور الحضاري لا يتمحور حول العقل بل يتمحور حول الوجدان ، وركز على الوجدان البشري والسلوك البشري في قضية المفهوم الحضاري ، وجعل العقل تابع للوجدان ، على خلاف القول بأن العقل أولاً والوجدان ثانياً ، كما يرى أن الحضارات شأنها شأن جميع القوى الطبيعية ، تتبع نمطا مشتركا ، من المولد ، إلى النمو والانحدار، ثم الموت ، ومن ثم فمن الممكن أن نجد تشابها بين مجريات حياة الحضارات المختلفة[4]. والحضارة تقوم في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة وهي الروح الأولية للطفولة . وليست وحدة اللغة ولا وحدة النسب إلى جنس معين هما العاملان الرئيسان في كون الشعب شعباً بمعناه الحقيقي ، بل إن العامل المؤثر والحاسم هو وحدة الشعور أو الحس الجماعي[5] .

---

(١)- د. محمود السعيد الكردي : ابن خلدون "مقال في المنهج التجريبي" ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ط١ ، ١٩٨٤ ، صـ٣١٩ .

(٢)- د. زينب محمود الخضيري : فلسفة التاريخ عند ابن خلدون ، دار الثقافة للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩١ ، صـ ١١٣ .

(*)- اسولد شبنجلر : ولد في المانيا ، ودرس بجامعة برلين ، وتخصص في العلوم الطبيعيه والرياضه ، واعد رساله دكتوراه عن هيراقليطس عام ١٩٠٤. أهم مؤلفاته : تدهور الحضارة الغربية ، البناء الجديد للرايخ الألماني .نقلاً عن د. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ ٢٤٤

(3)- Spengler , Oswald : Op . Cit . P. 31 .

(٤) – ج.دي.بويس، مستقبل الحضارة، ترجمة لمعي المطيعي،تقديم ماهر نسيم. دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ، ١٦٩١ ، صـ٤٠ .

(٥) – اسولد شبنجلر: تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة ، ج ١، بيروت ، ١٩٦٤، صـ٢٨.

وفي محاولته لتفسير العوامل الرئيسية المؤثرة في العملية التاريخية ركز "شبنجلر" على الشكل المحلي وبخاصة الشكل الروحي في الحضارة [1] ، وميز بين أربعة أطوار متعاقبة للثقافة : طورها الابتدائي ، ثم المبكر فالمتأخر ، فالمحتضر. إلا أن "شبنجلر" يستعمل كلمة "ثقافة" وحدها للتعبير عن المرحلتين "المبكرة" و"المتأخرة" أي مرحلتي الإزدهار والإثمار، ويحتفظ بكلمة "الحضارة" للمرحلة الأخيرة أي مرحلة العقم والتحجر[2]. كما رأى أن الحضارة لا الدولة هي وحدة الدراسة التاريخية ، وذلك لأن الحضارة ظاهرة روحيه لجماعة من الناس لهم تصور واحد عن العالم ، وتتبلور وحدة تصورهم في مظاهر حضارية من فن ودين وفلسفة وسياسة وعلم . ويسمي "شبنجلر" كل حضارة بأهم سمة أو مقوم لها ، فالحضارة اليونانية يسميها "الأبولونية" ، وهي تتمثل فنياً في التمثال المحدد ذو الأجزاء المتناسقة . كما ذهب "شبنجلر" إلى أن لكل حضارة شخصيتها وخصائصها الذاتية ، وهذا يعني أنها مغلقة وليست روحاً مطلقة ، كما تصورها "هيجل" ، وهذا ما يعبر عن مسار التعاقب الدوري للحضارات [3].

و تقاس حيوية الشعب لدى "شبنجلر" دائماً بمدى عمق الشعور بالوحدة وحيويته ، فالشعوب ليست وحدات سياسية أو لغوية ، أو ذات دم نقي ، بل هي وحدات روحية[4] . حيث يتوالى على كل حضارة ما يتوالى على كل كائن حي من ولادة ونمو وشيخوخة وفناء ، ويشبه "شبنجلر" حياة كل حضارة بتوالي الفصول الأربعة[5]. و هذه المراحل هي كالآتي :

١ – مرحلة الطفولة :

ويقابلها فصل الربيع ، وتتمثل في حياة الأساطير وشعر الملاحم البطولية ، كفترة "هوميروس" لدى اليونان ، وفترة العصور الوسطى في الغرب . فمثلا نجد أن طفولة الحضارة اليونانية تتمثل في الإلياذة والأوديسة ، وهما عبارة عن التاريخ البطولي لليونان القديم ، فقد كان

---

(1)- Edward Makarian : Civilization and the Historical Process , Progress , Publishers , 1983 , PP.57-59 .

(٢)– أسولد شبنجلر: مرجع سابق ، ص ٢٩ .

(٣) - د. أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

(٤)– نعمه محمد فاضل : العلم والحضارة في فلسفة وايتهد ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف د. محمد مجدي الجزيري ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٠٥ .

(٥)– د. أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، ص ص ٢٤٩ – ٢٥٠ .

يحفظها كل يوناني عن ظهر قلب ، أما عن طفولة الحضارة الإسلامية فتتمثل في العصر الجاهلي حيث معلقات "عمرو بن كلثوم وزهير بن سلمى" وغيرهما (١).

٢- مرحلة الشباب :

ويقابلها فصل الصيف ، وتتمثل في القيادات المعبرة عن الحضارة وهي فترة ظهور وازدهار دولة المدينة في الحضارة الأبولونية ، وهي بمثابة عصر النهضة وفن "مايكل أنجلو" وانتصارات "جاليليو" وأدب "شكسبير" ، أما عن شباب الحضارة الإسلامية فيتمثل في عهد النبي ﷺ ، والخلفاء الراشدين بكونهم هم البداية الحقيقية للحضارة الإسلامية (٢).

٣- مرحلة الشيخوخة :

ويقابلها فصل الخريف ، وهي مرحلة النضج الكامل للينابيع الروحية الثقافية والبوادر الأولى للشيخوخة والإرهاق . كما تتسم هذه المرحلة في تاريخ الحضارة بعدة خصائص ، حيث يتم الانتقال من طور الحضارة إلى المدينة أي تذهب الإبداعات والإكتشافات والإختراعات ويحل محلها التقليد لما سبق الوصول إليه ، وتتمثل شيخوخة الحضارة اليونانية في ظهور فلسفة علمية كالرواقية والأبيقورية وكذلك فترة "السفسطائيين" و"سقراط" و"أفلاطون" . أما بالنسبة لشيخوخة الحضارة الإسلامية فتتمثل في زوال الإبداع الذي كان في عهد النبي محمد ﷺ والخلفاء الراشدين ، أما شيخوخة الحضارة الغربية فتتمثل في القرن الثامن عشر حيث شعر "جوته" وفلسفة "كانط" ، ويتمثل الانتقال إلى الشتاء حين يتخذ الفن طابعاً غامضاً سيرياً وحين تتخذ الفلسفة طابع الشك ، ويسود في السياسة عصر الإمبراطوريات والإستعمار والطغيان السياسي (٣).

٤- مرحلة الفناء :

ويقابلها فصل الشتاء حيث تفقد الحضارة روحها المبدعة ، وتصبح مجرد مدنية يتجلى أفضل ما تقدمه في امتداد أفقي ، وتتمثل هذه المرحلة في الفلسفة البراجمانية التي تعني الإنخراط في التكنولوجيا والجندية ، وتتسم هذه المرحلة بالحنين إلى الماضي أو البنيوية وتشعر

---

(١)- المرجع نفسه ، صـ ٢٥١ .

(٢)- د. كريم جبر الحسن : عملية النهوض الحضاري ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ١٩٩٣ ، صـ صـ ١٠٢ - ١٠٣ .

(٣)- د. أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ صـ ٢٥٠ - ٢٥١ .

الحضارة بقرب نهايتها ، لذا تتسم هذه المرحلة بالنزعة الاستعمارية [1]. والحرب لها مكانتها الهامة حتى لدى "شبنجلر" حيث اعتبرها الوسيلة الفعالة والمؤثرة في ظهور الدول واستمرارها كما أن الوظيفة الأساسية للدول في رأيه هي القيام بالحرب ، ذلك لأنها تحافظ على وحدة الجماعة ، بل وخالقه لكل ما هو عظيم ، كما وأن المؤثر في أحداث التاريخ هم العظماء فقط دون العلماء والمفكرين [2].

خصائص طور الحضارة الأخير :

١- السلام العالمي والقيصرية:

وفيها تنتهي الحروب الإقليمية وتستبدل بالحروب الخاصة التي تستهدف الإستئثار بالسلطة الشخصية في الدولة كلها أو في جزء منها ، وتلك هي فترة القياصرة والأفراد الأقوياء والدكتاتوريين والحكام العسكريين [3] .

٢- المدينة العالمية :

وهنا نجد أن حفنة من الأماكن الهائلة في كل حضارة تحرم الأرض الأم من ثقافتها ولا تقيم لها وزناً تحت اسم "الأقاليم"، فلا يكون هناك طبقة نبلاء وبرجوازية ، وأحرار وأرقاء ، وهلينيين وبرابرة ، ومؤمنين وغير مؤمنين ، وإنما أصبح هناك "مدنيون وريفيون" فقط[4].

٣- عدم الاستقرار الذهني :

وهنا نجد أن المدينة تمتص الريف الهزيل وتبتلع جموع الناس بشراسة وبلا توقف حتى تُنهك وتموت في خضم الريف المهجور، وإذا هجر الإنسان المدينة فان حزنه يكون بلا حدود[5].

---

(١)- الموضع نفسه ، صـ ٢٥١ .

(٢)- أسولد شبنجلر: مرجع سابق ، صـ٢٨٦.

(٣)- ج. دي بويس : مستقبل الحضارة ، مرجع سابق ، صـ ٤٨ .

(٤)- المرجع نفسه ، صـ٥١ .

(٥)- المرجع نفسه ، صـ٥٢.

٤- انخفاض نسبة المواليد:

يرى "شبنجلر" أن هذه الظاهرة هي"تحول ميتافيزيقي نحو الموت" ، ذلك لأن الإنسان كجنس لم يعد يرغب في الحياة ، وهكذا أصبحت الحياة أمراً مشكوكاً فيه ، حيث تبدأ عملية تناقص السكان التي قد تمتد قروناً ، ويضع الإنسان بنفسه نهاية لمسرحية الحضارة [١] .

٥- التفوق الذي أعقبه اضمحلال المال :

وهنا تبلغ النقود ذروة سلطانها ، حتى يصبح في أخر الأمر أن تغيير القيمة في حد ذاتها أمراً مرغوباً فيه أكثر من الأشياء التي وجدت النقود أصلا لتقدير قيمتها . لذا يقول "شبنجلر" لم يعد الذهب يقدر بالبقرة ، وإنما أصبحت البقرة تقدر بالذهب"[٢].

٦- اختفاء الابتكار :

وهنا تختفي الروح الخلاقة في طور الحضارة الأخير ، وقد بلغت الحضارة شكلها النهائي ، ولم يظهر ابتكار جديد لا في الفن ولا في الدين ولا في السياسة بعد أن تتخذ الأشياء شكلها النهائي ولا تظهر أشياء جديدة تماما بعد ذلك ، فقد حلت المشكلات الكبرى ولم يعد الصراع يدور حول الأفكار وإنما حول السلطة [٣] .

٧- حالة التدين الثانية :

وهي الظاهرة النهائية لكل حضارة حسب رأي "شبنجلر" حيث يتم فيها العودة إلي أشكال متغيرة إلى حد ما من الإحساسات الدينية التي كانت سائدة في الأيام المزدهرة . ويرى "شبنجلر" أن الحضارة الغربية مازالت متأخرة عدة أجيال عن تلك المرحلة التي ستأخذ – طبقا لنظريته – شكل العودة إلى النصرانية القوطية [٤].

وبعد تلك المؤشرات والعلامات تنهار الحضارة وتنطفئ شمعتها ، لتحل محلها حضارة أخرى تأخذ دورها في تقدم البشرية وعمران الأرض وربما تخريبها . وهكذا فقد شبه "شبنجلر" الحضارة بالكائن الحي في معظم مراحله من النمو وحتى الممات ولكن بالطبع لكل قاعدة شواذ

---

(١)- المرجع نفسه ، ص٥٣ .

(٢)- المرجع نفسه ، ص٥٥ .

(٣)- المرجع نفسه ، ص٥٧ .

(٤)- المرجع نفسه ، ص٦٠ .

ولا يوجد نمط واحد بعينه تسير عليه جميع الحضارات ، وكأنها هي والبشر تروس في آلة كبرى لا يستطيعوا الخروج على تلك الآلية والنمطية الأبدية ، فهذا محال .

٢- نظرية العناية الإلهية :

من أهم ما تنادي به هذه النظرية أن التاريخ ما هو إلا مسرحية ألفها الله تعالى ويمثلها الإنسان ، ومعنى ذلك أن وقائع التاريخ تخضع للمشيئة الإلهية ، وتنكر هذه النظرية القول بالمصادفة لأنها لا تعني إلا الفوضى والعبثية ، والإيمان بالعناية الإلهية يقتضي إيماناً بالله أي أنها نظرية عقائدية . وقد سادت هذه النظرية معظم الحضارات القديمة بقدر دور الدين في هذه الحضارات [١]. وقد آمن بهذه النظرية الشعوب الدينية مثل اليهود والنصارى والمسلمين ، وكان من أشد المناديين بهذه النظرية لدى النصارى[♥] على سبيل المثال هو "أوغسطين" .

"سان أوغسطين"(٣٥٤ - ٤٣٠) م :

ذهب "أوغسطين" إلى أن الشر قد دخل العالم بمعصية "آدم" عليه السلام ، و كما أن في الإنسان نزعتين : نزعة حب الذات إلى حد الاستهانة بالله ، و نزعة حب الله إلى حد الاستهانة بالذات ، كذلك فانه يوجد في المجتمع مدينتان : الأولي المدينة الأرضية أو مدينة الشيطان ، والثانية هي المدينة السماوية أو مدينة الله ، أما الأولي فتعمل على نشر الظلم ونصرته ، وتجاهد الثانية في سبيل العدالة ، حيث كانت مدينة الله مختلطة بمدينة الشيطان حتى ظهر نبي الله "إبراهيم" عليه السلام ، ثم تميزت المدينة السماوية فأصبحت في بني إسرائيل ، والمدينة الأرضية في سائر الحضارات التي بلغت ذروتها عند الحضارة الرومانية ولكنهما مع انفصالهما وتباينهما كانا يتقدما معاً[٢] ، ويمهدان لظهور السيد المسيح عليه السلام ، ولقد مهد بنو إسرائيل له روحياً ، ومهدت الحضارات القديمة له سياسياً وفقا لتدبير العناية الإلهية ، وانتهى هذا التمايز بظهور السيد المسيح عليه السلام ، ولما كانت الدولة تسعى للخبرات المادية بينما تسعى الكنسية لتحقيق وسيلة لغاية روحية أسمى

---

(١)- د. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ١٦٦ .

(♥)- نقول النصارى وليس المسيحيين ، لان المسيحية قد نسخت بنزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ وبالتالي فلا يوجد مسيحية الان وإنما نصرانية ، ويوجد نصارى وليس مسيحيين .كما أن الله تعالى قد سماهم بهذا الاسم في كتابه الكريم في غير موضع ، حيث قال تعالى :"وقالت اليهود ليست النصارىٰ على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء ..."(البقرة/١١٢) ، كما قال تعالى :"وقالت اليهود عزيز ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ..."(التوبة/٢٩) ، كما قال تعالى :"وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه"(المائدة/١٧). صدق الله العظيم . فكيف لنا الآن أن نغير نحن هذا الاسم ونقول مسيحية و مسيحيين ؟ .

(٢)- الموضع نفسه .

فإنه ينبغي أن تخضع الدولة للكنيسة. وذلك من أجل تحقيق السعادتين : سعادة الدنيا وسعادة الآخرة ، وبهذا يرد "أوغسطين" على القائلين بالتعاقب الدوري في التاريخ ، وقد جعل من صلب المسيح عليه السلام أهم واقعة تاريخية منذ بداية الخلق ، مؤكداً فردية الواقعة التاريخية ومن ثم استحالة تكرارها حيث إن صلب المسيح عليه السلام(♥) حادثة فردية لا يمكن أن تتكرر[1].

وبهذا تتضح مدى سيادة الرؤية الدينية على فلسفة "أوغسطين" ، و الذي نظر إلى التاريخ على أنه متحرك إلى الفناء الذي يعقبه الأبدية في العالم الآخر، و ليس البشر هم الذين يحركون التاريخ بأفعالهم وحدهم ، وإنما السبب الأول في تحريك التاريخ هو الله صاحب الفضل الإلهي على العالم ، فالله يحرك التاريخ من أجل تحقيق الخلاص للبشر ، فهو يحول الزمان من حالة الشيخوخة والموت والفناء إلى أبدية الحياة الأخرى الطاهرة[2]. والتاريخ عند "أوغسطين" هو عبارة عن صراع بين مدينة الله تعالى الأبدية الخالدة ومدينة الأرض الزمنية الفانية ، ولكن لا بد وأن تنتفع مدينة السماء من مدينة الأرض ويتشاركان في تحقيق الخير الأسمى والذي تكون السعادة فيه ممزوجة بالطبيعة [3]. وهذا التفسير وحده هو الذي يكشف عن حكمة الله الخفية في الوقائع ، فواقعة طوفان نوح عليه السلام لا تفسر إلا في ضوء الخطيئة الأصلية من ناحية ، واكتمال معناها بظهور المسيح عليه السلام من ناحية أخرى ، وذلك أكمل مظاهر النصرانية وانتصارها ، وهو أكمل مظاهر العناية الإلهية [4] .

وهذا هو لب فكرة "أوغسطين" عن العناية الإلهية التي تحول الإنسان لمجرد ترس في آلة الزمان لا حول له ولاقوه ، وبهذا تنسب الأفعال إلية مجازاً ، وهذا الرأي قريب من أقوال الفرق الجبرية في الفكر الإسلامي ، وبالطبع سيكون أول رد على ذلك : كيف أن الله سيحاسب العباد على أفعال هي من تقديره وإرادته .

(♥)– لم يصلب السيد المسيح عليه السلام كما يزعم أوغسطين ومن على شاكلته من النصارى ، حيث يقول الله تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه مالهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما﴾ (النساء /١٥٧– ١٥٨) .

(١) – المرجع نفسه ، صـ صـ ١٦٨ – ١٦٩ .

(٢)– د. زينب محمود الخضيري : لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة، ١٩٩٢ ، صـ صـ ٥٥– ٥٦ .

(٣)– علي زيعو : أوغسطنيوس ، دار إقراء ، ط١ ، بيروت، ١٩٨٣ ، صـ٧٥ .

(٤)– د. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ ١٧٠ .

٣- نظرية التحدي والإستجابة :

ومفاد هذه النظرية أن الاستجابة للتحديات عند الإنسان كفرد أو مجتمع هي سبب نشوء الحضارة ، فما دامت هذه الإستجابة قائمة مع التحدي ، كانت الحضارة واستمرت وتطورت ، حتى إذا ضعفت الإستجابة للتحدي ، وقف الإبداع البشري ، وتعثر سير الحضارة ، وتحولت النخبة المبدعة إلى نخبة مسيطرة على الناس بالقوة ، لأنها أحست أنها هي التي أبدعت الحضارة ، ثم عجزت عن الاستمرار أو ملت أو تعبت ، فتبدأ بالتعويض عن عجزها في الإستمرار في ميادين الإبداع الحضاري من خلال فرض ثمرة إبداعها الحضاري على الآخر بالقوة ، ومع هذه الحالة تبدأ مرحلة سقوط الحضارة [1].

وهذا يعني بوضوح أن افتتان المبدع بثمرة إبداعه ، ثم انحباسه في أبهة إنتاجه الحضاري ، ومن ثم محاولته فرض تراثه الإبداعي على الآخر بالقوة ، كل هذا يعد تعبيراً عن عجزه بمتابعة الإبداع ، أو تعبيراً عن الإعجاب بالذات وعظمة التفوق والإستعلاء على الآخر ، وهي بداية السقوط الحضاري [٢] ، ولا شك أن مثل هذا التحليل يعبر عن عمق في التفكير وله دلالاته الموضوعية عبر التاريخ البشري ، وها نحن نعايش ما يؤكده في هذا العصر ومن أبرز من نادى بهذه النظرية هو "أرنولد توينبي".

أرنولد توينبي Arnold Toynbee[*] (١٨٨٩- ١٩٧٥) :

عرف "توينبي" الحضارة بأنها وحدة من وحدات التاريخ ، فيقول :إن التاريخ وحدات ، والحضارة هي وحدة تاريخية . وطرح فكرة التحدي والإستجابة فقال :إن الإستجابة للتحديات عند الإنسان كفرد أو مجتمع هي سبب نشوء الحضارة ، فما دامت هذه الإستجابة قائمة مع التحدي كانت الحضارة واستمرت وتطورت ، حتى إذا ضعفت الإستجابة للتحدي وقف الإبداع

---

(1)- http :// www.dialogueonline.org /buhuth.htm .

عن محاضرة للاستاذ الدكتور. حامد ابن احمد الرفاعي ، رئيس المنتدى الإسلامي العالمي للحوار ، الامين العام لمؤتمر العالم الإسلامي ، في مقر منتدى الفكر العربي ، عمان ، المملكة الأردنية الهاشمية ، ١٠ رمضان ١٤٢٤هـ ، الموافق ٤ نوفمبر٢٠٠٣م ؛ نيفين جمعة علم الدين : مرجع سابق ، صـ صـ ١١٦- ١١٩ .

(٢)- نيفين جمعة علم الدين : مرجع سابق ، صـ ١٣٠ .

(*)- ارنولد توينبي : ولد في إنجلترا واعتبر نفسه مؤرخ سعيد الحظ ان تواجد في فترة اضطرابات سياسية وحربية عالمية ، فهذه مادة خصبة للمؤرخين ، درس اليونانية واللاتينية وكذلك الحضارة الهيلينية التي يعدها ضرورة لفهم الحضارة الغربية ، ومن اهم مؤلفاته : تاريخ الحضارة الهيلينية ، معالجة مؤرخ الدين ، محاكمة الحضارة ، الحرب والحضارة ، امريكا والثورة العلمية ، الثورة الصناعية ، وأهم كتاباته موسوعته الضخمة في دراسة التاريخ ، والذي استغرق أكثر من أربعين عاما في جمع مادتها التاريخية ، وتقع هذه الدراسة في عشر مجلدات ملحق بها مجلدات للرد على الانتقادات ومصير الحضارة الغربية . نقلا عن نيفين جمعة علم الدين : المرجع نفسه ، صـ ١٩-٢٠ بتصرف .

البشري وتعثر سير الحضارة ، فتبدأ مرحلة سقوط الحضارة . ولذا يرى "توينبي" أن الحضارات تولد وقتما تستحث الظروف الصعبة الإنسان على التحضر ، وتتمثل هذه الظروف إما في بيئات طبيعية أو ظروف بشرية ، وبالتالي يتبين لنا أن السهولة هي عدو الحضارة الأول ويتضح ذلك في الحضارة المصرية (١) ، وقد يختلف الوقت الذي يستغرقه نشوء حضارة أو نموها أو انحلالها ، فيطول حيناً ويقصر حيناً آخر غير أن الصورة العامة تظل على ما هي عليه ، والتعاقب يكون حتمياً لا مفر منه ، وأسباب التحول من حالة لأخرى هي في أساسها واحدة لا تتغير ولا تتبدل (٢) .

ورفض "توينبي" نظرية "شبنجلر" عن التعاقب الدوري للحضارات بهذه الرتابة كما رفض ذلك التقسيم لأربعة مراحل ، ورأى أن العامل المؤثر والإيجابي في نشوء الحضارة ليس مفرداً ولكنه متعدد ، وهو علامة مشتركة تكون عند تعرض الإنسان للتحدي وقيامه بالإستجابة لهذا التحدي (٣)، وإما أن يكون التحدي فكرياً أو مادياً . والناس ليسو سواء في مواجهة تلك التحديات حتى لو كان التحدي واحد ، حيث يختلف تبعاً لعوامل كثيرة منها السمات الشخصية والبيئية والوراثية والدين والعادات والتقاليد والقوة وغيرها كثير.(٤)

ويرى "توينبي" أن التحدي هو القوة الإيجابية في نشوء الحضارة ، ولكن لهذا التحدي شروط حيث لا ينبغي أن يكون شديداً لدرجة التدمير ولا ضعيفاً لدرجة اللامبالاة التي سيعامل بها ذلك التحدي لعدم أهميته وقلة تأثيره ، بل يفترض فيه أن يستثير القوى الأخرى لتنظم رداً مناسبا يثير لديها قدرة الخلق و الإبداع (٥). ولذا يشترط "توينبي" في هذا التحدي أن يكون متوسط الشدة والعنف كي يكون حافزاً على المضي في الطريق الصاعد ، وهذا التحدي يكون وسط بين طرفين الإفراط والتفريط ، ويطلق علية "توينبي" إسم "الوسط الذهبي" لأنه لو كان عنيفاً فستخفق الحضارة في تحقيق أهدافها ، وإذا كان ضعيفاً فسوف تخفق أيضاً في تحقيق أهدافها ، لأنه لن يتولد ضده رد فعل مناسب يؤدي للنهوض بالحضارة . لذلك يقول "توينبي" : يلاقي التحدي إستجابة ناجحة إن حدث في حضارة في طور النمو ، و تمضي الإستجابة

(١)– نيفين جمعة علم الدين : مرجع سابق ، صـ ١١٧ .

(٢)– ارنولد توينبي : من الشرق والغرب ، محاضرات ارنولد توينبي "نص المحاضرات التي القاها توينبي خلال زيارته للجمهورية العربية المتحدة في إبريل ١٩٦٤"، ترجمة وتقديم د. فؤاد زكريا ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٤ ، صـ صـ ٤– ٥ .

(٣)– د. أحمد محمود صبحي : في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ صـ ٢٦٥–٢٦٦ .

(٤)– الموضع نفسه .

(٥)– د. حسن الكحلاني : فلسفة التقدم ، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفعالة في التاريخ ، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٣ ، صـ٦٧.

الناجحة قدما فتولد تحدياً آخر مختلفاً يلاقي كذلك استجابة ناجحة ، وليس ثمة أجل لعملية الارتقاء ، وهذا ما لم يبرز ، وإلى أن يبرز تحدى تفشل الحضارة التي نحن بصددها في مجابهته ، ويعتبر حدثاً مفجعا يعني توقف الإرتقاء وينذر بما أسميناه "الانهيار" [1] .

ولا يرجع نمو الحضارة إلى التوسع الجغرافي للمجتمع ولا إلى التقدم التكنولوجي أو زيادة سيطرة المجتمع على البيئة الطبيعية ، فلا يوجد أي ارتباط بين التقدم في التقنية والتقدم في الحضارة ، وكل حضارة لها صفة غالبه عليها ، فقد كانت الصفة الاستاطيقية أو الجمالية أو الفنية هي الغالبة علي الحضارة الهيلينية ، والدين هو الغالب على الحضارة الهندية ، والحضارة الغربية نجدها خاضعة للآلات والمعدات العلمية . وقد يكون العامل خارجي أو داخلي مثل تأثير الشرق بأشياء تتنافى مع طبيعته ، فتمَسُك العرب بالإسلام مثلاً أدى إلى إقامة الحضارة العربية الإسلامية ، وكذلك التفاعلات الاجتماعية الداخلية المتمثلة في التفاعل السيكولوجي داخل الإنسان عندما يفقد عضواً من أعضائه فيعتبر الخسارة تحدياً فيحقق المعجزات ، ومن ثم تنشأ الحضارة[2] .

وبصفة عامة يحدد "توينبي" عوامل نشأة الحضارات على النحو الآتي :

١- إذا كانت الأقلية الحاكمة تقدم الحروب فإن "البروليتارية" الداخلية تقدم الأديان وتنبثق عن الأولى الدول العالمية ، وتنبثق عن الثانية الأديان العالمية في فترة الاضطرابات ، وتستفيد الأديان من الوحدة التي تقيمها الإمبراطوريات بين أقاليمها سواءً أكانت وحدة سياسية أو لغوية أو تشريعية أو مالية أو انتشار شبكة المواصلات بين أجزائها ، وكل ذلك يساعد على انتشارها [3].

٢- تقوم الأديان العالمية التي تنشأ في فترات الاضطرابات بدور الأمهات التي تلد حضارة جديدة ، فليس دور الأديان هو حمل جذور الحضارات فحسب ، وإنما يكسبها حيوية وإبداع.

(١)- أرنولد توينبي : مختصر دراسة التاريخ ، ج٢ ، ترجمة د. فؤاد شبل ، لجنة التأليف والترجمة ، ط٢ ،١٩٦٦، صـ صـ٤٥٩- ٤٦٠ .

(٢)- د. احمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ صـ ٢٦٩-٢٧٠.

(٣)- المرجع نفسه ، صـ٢٧٨-٢٨٠ .

٣- دين الملك هو دين الرعية ، أي يدين الملك بدين رعيته ، وفي ذلك تتحقق القوة للدين والدولة معاً [١] .

ويرى "توينبي" أنه يجب أن تمر الحضارة بمرحلتين أساسيتين هما :

١- مرحلة الإنعزال : حيث تنغلق الحضارة على نفسها وتستعيد طاقتها الروحية وتجددها .

٢- مرحلة العودة : حيث أنه بعد انعزال الحضارة واستعادة طاقتها الروحية تنفتح على العالم ، وتنشر طاقتها الروحية العليا الجديدة ، وهذه الطريقة مقتبسه من حياة الأنبياء ، وقد اضطر السيد المسيح ﷺ بعد التعميد أن يفر إلى مصر، ولكنه عاد بعد ذلك إلى أورشليم ، وكذلك قضى سيدنا محمد ﷺ فترة من التعبد في غار حراء ، ثم عاد مبشراً بالدعوة الجديدة وهي "الإسلام" [٢].

وقد لاحظ "توينبي" في دراسته للحضارة البشرية أن هناك بعض المجتمعات لم تستطع الصمود أمام التحديات الطبيعية والبشرية وذلك لشدة هذه التحديات ، ويسمي "توينبي" هذه الحضارات باسم "المتعطلة" مثل الإسكيمو ، ومن أمثلة المجتمعات التي استجابت للتحديات "الاسبرطيون" ، كما أن الحضارة تنتهي بالانتحار لا بالقتل ، ويرى أن هناك عدة عوامل لانهيار الحضارة وهي :

١- إخفاق الأقلية المبدعة أو فشل قوتها الخلاقة .

٢- فتور الإيمان عند الأغلبية أي انسحاب الأغلبية عن الأقلية الحاكمة .

٣- ضياع الوحدة الاجتماعية . [٣]

وعندما ينهار المجتمع فإنه يتشكل على النحو التالي :

١- أقلية مسيطرة فقدت قدرتها على الإبداع وأصبحت تحكم بالقهر .

٢- بروليتاريا داخلية ذليلة ، ولكنها عنيدة تتحين الفرصة للثورة .

---

(١)- المرجع نفسه ، صـ ٢٨٠ .

(٢)- المرجع نفسه ، صـ ٢٨٢- ٢٨٤ .

(٣)- أرنولد توينبي :مختصر دراسة التاريخ ، مرجع سابق ، صـ صـ ٤٥- ٤٦ .

٣-بروليتاريا خارجية انشقت عن المجتمع ، وتقاوم الإندماج فيه وتتحين الفرص للغزو (١).

وهكذا فإن المجتمع هو الذي جلب على نفسه عوامل الإنهيار قبل أن يجلبها عليه غـزو خارجي ، تماماً كالمنتحر الذي اعتدى عليه خصم له عقب شروعه في الإنتحار ، فجاءت وفاته نتيجة ما أصاب به نفسه لا ما أصابه به خصمه ، فأقصى ما يفعله الغزو الخارجي هو توجيـه ضربة قاضية إلى مجتمع يلفظ أنفاسه الأخيرة(٢).

وبهذا يؤكد "توينبي" أن انهيار المجتمع يرجع إلى عدم وجود استجابة ناجحـة للظـروف المختلفة ، فالحضارات تولد أساساً وقتما تستحث الظروف الصعبة الإنسان علـى التحـضر ، وتتمثل هذه الظروف في بيئات طبيعية أو ظروف بشرية ، ومن ثم فإن الظـروف الـسهلة لا تؤسس حضارة (٣) ، كما أن القوى الفاعلة في التقدم في رأى "توينبي" هي التحدي والإستجابة ، إلا أنه يرى أن التحدي المتسم بالعنف والشدة لا يجد رداً مناسباً فيؤذن بنهاية الحضارة ، وليس العكس ، وذلك لأن التحدي الإيجابي لا ينبغي أن يكون شديداً لدرجة التدمير ، بل إنه يفتـرض فيه أن يستثير القوى الأخرى لتنظيم رداً مناسباً يثير لديها قدرة الخلق والإبداع (٤).

ولكن من الممكن عودة الحضارة مرة ثانية ، ومن الممكن أيضاً ألا تعود فقـد تتجمـد أو تسكن أو تموت ، ولكن الموت ليس حتمياً ، وهنا يبرز دور الإنسان كعضو فعال وأساسي فـي قيام الحضارة (٥). ويرى "توينبي" أن مشكلة الحضارة الغربية كمشكلة الحضارات السابقة تتمثل في التردي إلى عبادة أصنام من صنع المجتمع ، فهم مثل من يصنع صنم أو تمثال ثم يعبـده . فالحضارة الغربية خاليه من أي أساس ديني سماوي ، إنها تجسيد للدولة السائدة الآن بين أربعة أخماس سكان العالم ، ولقد أدى هذا التأليه أو التجسيد إلى انهيار أكثر من أربعة عشر أو ربما ستة عشر حضارة سابقة من عشرين حضارة ، وتأليه اليوم أشد إرهاباً لأنه تدعمه أيديولوجيات وتُمكِن له التكنولوجيا الحديثة سواءً في وسائل الإعلام أو غيرها . ولكـن بالتمـسك بتعـاليم

---

(1)-Toynbee , Arnold : A study of History , Vol . I ,Oxford University Press ,London , New York ,7 th Impression ,1956 , p. 18 .

(٢) - د. أحمد محمود صبحي ، في فلسفة التاريخ مرجع سابق ، صـ ٢٧٣ .

(٣)- د. حسن الكحلاني ، مرجع سابق ، ص ٦٧ .

(٤)- نفس الموضع .

(٥)- أرنولد توينبي : الفكر التاريخي عند الإغريق ، ترجمة لمعي المطيعي ، مراجعة د. محمد صقر خفاجة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢، ١٩٩٠ ، صـ صـ ٢٨٦- ٢٨٧ .

النصرانية والمحبة والسلام والتمسك بالطاقات الروحية يمكن تجاوز تلك الأزمة وهي انهيار الحضارة الغربية [1] .

وعن مصير الحضارة الإسلامية يحدثنا توينبي" فيؤكد أنه برغم النكبات التي حلت بالحضارة الإسلامية لوقوع معظم دولها فريسة للإستعمار ، إلا أنه لن يأتي اليوم الذي تجمد فيه الحضارة الإسلامية وتتحجر كبعض الحضارات المتحجرة في عالمنا اليوم ، بل يرى أن الحضارة الإسلامية حضارة قد تنافس الحضارة الهندوكية أو البوذية من أجل السيطرة في المستقبل بوسائل تتعدى تصوراتنا ، حيث أن طابع الحضارة الإسلامية هو الاتساق بين الفكر والعمل و المساواة ، إذ ارتفعت في أزهى عصورها إلى أن وصل الرقيق أو العبيد إلى أرقى مراكز السلطة ، فمثلا تولى المماليك – الذين كانوا عبيد – الحكم في مصر . وكذلك تحريم الخمر ، فقد لا يدرك الكثيرون قيمة هذا التحريم بالنسبة للحضارة ، حيث أن الإمتناع عن شرب الخمر لا يتم إلا بوازع ديني ، وهو في نفس الوقت عامل مهم لإزدهار الحضارة [1]. ويمكن القول أن نظرية التحدي والإستجابة هي أقرب النظريات للواقع الفعلي ، لما لها من قرائن تؤيدها على أرض الواقع . فالتحدي أو الهدف هو الذي يولد لدى الإنسان الرغبة في مجابهته والتغلب عليه أو الوصول إلى هدفه . مما ينتج عنه الإبتكارات والإنجازات العلمية والتقنية والثقافية وغيرها وبالتالي قيام الحضارة .

---

(١)– د. حسن الكحلاني ، مرجع سابق ، صـ صـ ٢٨٦–٢٨٧ .

(٢)– المرجع نفسه ، صـ ٢٨٧ .

الفصل الثاني
النزعة الإنسانية
بين
جارودي ودانييل

تمهيد :

من المؤكد أن الإنسان هو المعجزة الإلهية الكبرى ، وبه يكتمل المعني الحقيقي لهذا العالم ، وبه تكتمل الغاية النهائية لخلق الله عز وجل لهذا الكون الفسيح . لأنه خليفة الله تعالى في أرضه بأمر منه عز وجل له حيث قال تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم﴾ (البقرة /٣٢) . ولأن الله عز وجل قد خلق الإنسان لغاية أسمى ألا وهي عبادته عز وجل وحمل الأمانة ، لذا كرمه الله تبارك وتعالى حيث قال : ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا﴾ (الإسراء / ٧٠) .

ولما كان تكريم الله تعالى للإنسان بهذه الصورة ، فقد حظي باهتمام الفلاسفة عبر العصور المختلفة ، وتناولوه من جوانب متعددة ، أبرزها إظهار الجانب الإنساني في واقع المجتمعات . وقد أدلى كل من "جارودي" و"دانييل" بدلوه في هذا الجانب . وهذا ما يحاول الباحث الوقوف عليه في هذا الفصل في ضوء عدة أفكار ومنها : تعريف النزعة الإنسانية وخصائصها ، ثم توضيح ملامح النزعة الإنسانية لدى "جارودي" من خلال مفهوم الوجود والدين والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وحرية السوق وإعلان واجبات الإنسان ولكل إنسان . ثم توضيح ملامح النزعة الإنسانية لدى "دانييل" وذلك من خلال : منهجه مع الآخر، وصورة الإنسان المسلم لدى الغرب ، وإمكان تحويله عن هويته الإسلامية ، الأمر الذي يمثل مخالفة صريحة لآراء الإنسانيين .

أولاً :ـ تعريف النزعة الإنسانية وخصائصها :

١- النزعة الإنسانية لغة :

إذا أردنا البحث في مصطلح النزعة الإنسانية فعلينا أولا البحث في كلمة "إنسان" ، فنجد في مادة "أنس" الإنسان معروف ، وقول الشاعر: أقل بنو الإنسان حين عمدتم ، إلى من يثير الجن وهي جهود . و يعني بالإنسان آدم .على نبينا وعلية أفضل الصلاة والسلام . وقوله عز وجل: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ (الكهف / ٥٤) . وعني الإنسان هنا الكافر؛ ويدل على ذلك

قوله تعالى : ﴿ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي وما أنذروا هزوا﴾(الكهف / ٥٦) ، هذا قول الزجاج . فإن قيل وهل يجادل غير الإنسان ؟ قيل قد جادل إبليس وكل من يعقل من غير الملائكة ، والجن تجادل ، لكن الإنسان أكثر شيء جدلاً [١] .

والجمع الناس مذكر . وفي التنزيل: "يا أيها الناس" ، وقد يؤنث على معني القبيلة أو الطائفة ، حكى ثعلب : جاءتك الناس ، معناها جاءتك القبيلة ....، والإنسان أصله إنسيان لأن العرب قاطبة قالوا في تصغيره : "انيسيان"... ، وأنس الشيء أحسه ، وأنس الشخص واستأنسه رآه وأبصره ونظر إليه ...، والأنيس : المؤانس وكل ما يؤنس به "وما بالدار أنيس" أي : أحد[٢] . وإنسان بلفظ الإنسان . ضد البهيمية ، وفي البارع أنه غائط بنوا عليه منارا فسموه إنساناً لانتصاب المنار وقيامه [٣].

و"أنِس" به وإليه أنَساً ، وأنسة : سكن إليه وذهبت وحشته . و ـبه: فرح. فهو أنِسٌ . "أنَس" به – أنساً : أنِسٌ . "آنَس" فلاناً يُؤنِسه إيناساً : لاطفه وأزال وحشته . فهو مؤنس ، وأنيسٌ . و ــ الشيءَ أحس به وأبْصره . وفي القرآن الكريم ﴿إني أنستُ ناراً ﴾ (طه / ١٠) . والأمر علمه يقال أنست منه رشداً . "آنَسهُ" يؤانسه مؤانسة : لاطفه وأزال وحشته فهو مؤانس ."أنَّسَهُ" : لاطفه وأزال وحشته . وأبصره . "تآنَسَا" : آنَسَ كلٌ منهما صاحبه . (تأنَّسَ) به . و ــ البازى : جال بطرفه مستطلعاً. و ــ له : تسمَّع[٤] .

"استأنس" الحيوان : ذهبت وحشيته ، و ــ به وإليه : اطمئن وسكن . "الآنِسَة" : الفتاة الطيبة النفس ، المحبوب قربها وحديثها ، يؤنس بها . و : الفتاةُ ما لم تتزوج .(ج) أوانِسُ . "الأنْسُ" : حديث النِّساء ومغازلتهن . و"الإنْسُ" : خِلافُ الجِنَ . و "الإنْسانُ" : الكائن الحي المفكر.(ج) أناسِيّ . وإنسان العين : ناظرها والإنسان المِثالي : الذي يفوق العادة بقوى يكتسبها بالتطور . "الإنسانيَّة" : خلاف البهيمية . و ــ : جملة الصفات التي تميِّز الإنسان . أو جملة

---

(١)– ابن منظور : لسان العرب ، ج٢ ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، صـ ١٤٧ .

(٢)– المرجع نفسه ، صـ ١٥٠ .

(٣)– فريد عبد الحميد الجندي : معجم البلدان ، تحقيق دار الكتب العلمية بيروت ، الجزء الأول ، ط١ ، ١٩٩٠، صـ ٣١٤ .

(٤)– المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية ، تصدير د. إبراهيم مدكور، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، صـ ٢٧.

أفراد النوع البشري التي تصدق عليها هذه الصفات . "الإنْسِيّ": واحـدُ الإنـس . و جانـبُ العضو من ناحية الجسم . (ج) أناسِيُّ [(١)].

٢- النزعة الإنسانية اصطلاحاً :

إن للفظ النزعة الإنسانية "Humanism" تاريخ طويل تغيرت خلاله معانيه كثراً ، شأنه في ذلك شأن معظم الألفاظ التي تظل تستخدم طويلاً . وكان أقدمها المعنى الأدبي الثقافي ، وقد نشأ في ظل حركة النقد الأدبي والدراسة الثقافية للأدب ، والتي ارتبطت بعصر النهضة الأوربية ، وهنا كان اللفظ يعبر عن الأفكار والكتابات التي ظهرت في القرن السادس عشر على الأخص ، والتي كان موضوعها الأول هو الإنسان وأوجه نشاطه في هذا العالم ، وعلى الأخص أنـشطته العقلية والجمالية ، ولقد كان الإنسان المثالي في نظر هؤلاء الكتاب الأوائل هو الفرد المكتمـل التكوين الذي تحققت كل قدراته . ومن هنا يمكن ملاحظة أن فلسفة تحقيق الذات كانـت هـي السائدة حينئذ [(٢)].

ويرى كثير من المفكرين أن بداية الإهتمام بالنزعة الإنسانية كان منذ أن بـدأت النهـضة الأوربية والثورة على العصر الوسيط ، والرغبة في العودة إلى الثقافة القديمة "اليونانيـة" مـن أدب وفن وعلم ودين وأسباب الحياة السياسية والاقتصادية . ومن المعـروف أن هـذه الثقافـة القديمة تتضح بالوثنية من كل جانب ، لذا انتشرت الوثنية في الأفكار والأخلاق وغيرهـا مـن أوجه النشاط ، وفي هذا تكمن صورة إنسان الفترة والطبيعة لديهم[(٣)] . وبـصفة عامـة يمكـن ملاحظة أن النزعة الإنسانية والإهتمام بالإنسان كفرد والتركيز عليه قد بدأ منذ القدم وله جذور في المرحلة اليونانية ، كما أن له جذوراً أيضاً في مرحلة العصور الوسطى والدين الإسـلامي الحنيف تحديداً .

فنجد أن أول من اهتم بالنزعة الإنسانة عند اليونان هم "السوفسطائيين" ، فالبحث الفلـسفي قبلهم كان بعيداً إلى حدٍ ما عن دراسة الإنسان كإنسان والتعمق داخل شخصيته وقدراته الخاصة به كفرد . هذا بغض النظر عما حمله عليهم أفلاطون من حملة عنيفة شعواء وبخاصـة علـى

---

(١)- الموضع نفسه .

(٢)- هنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، ط٢ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٥ ، صـ صـ ٣٩٥-٣٩٦ .

(٣)- يوسف كرم : تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، ط٥ ، بدون تاريخ ، صـ٦ .

آرائهم في السياسة والأخلاق ، لا على آرائهم العلمية [١]. وبالرغم مما في الفكر السوفسطائي من سلبيات وأفكار هدامة ومبادئ تخالف العقل والمنطق مثل : جعل الحواس هي مصادر المعرفة ، وهي بالقطع نسبية متغيرة من فرد لآخر ، وبالتالي لا تكون هناك معرفة ثابتة لحقائق ثابتة . وكذا جعلهم العقل الفردي مقياس كل شيء ، وبهذا تصبح الحقائق والقيم والمعايير الأخلاقية نسبية متغيرة أيضاً من فرد لآخر . مما أكثر عليهم المحاربين لفكرهم حتى قضي عليهم . بالرغم من كل هذا فقد كانت حركة مهمة ونقطة انطلاق قوية نحو توجيه نظر المفكرين إلى داخل الإنسان وليس إلى خارجه ، من هنا كانت بداية الإهتمام بالنزعة الإنسانية فقد أخذ الإنسان يدخل في دائرة تفكير الفلاسفة اليونانيين شيئاً فشيئاً فكانت بداية النزعة الإنسانية[٢] ، وكان لا بد لهم أن يخطوا الخطوة الأخيرة فيرتفعوا بالإنسان فوق الطبيعة إرتفاعاً تاماً ، وأن يجعلوه مقياس الطبيعة بدلاً مما كانوا يفعلون من قبل حين جعلوا الطبيعة مقياس الإنسان ، وأنكروا أن يكون للإنسان وجود قائم بذاته مستقل عن الوجود الخارجي . ومن هنا كان من الضروري من حيث منطلق التطور الروحي الفلسفي أن تتجه الفلسفة إلى الإنسان إتجاهاً كبيراً وأن تجعله محور التفكير[٣] .

ومن أهم من قام بهذا التوجه هو "سقراط Socrates" ، فقد كان أول من اهتم اهتماماً ملحوظاً بدراسة الإنسان وسلوكه ، وذلك في إطار تصديه لمغالطات السوفسطائيين الأخلاقية والاجتماعية ، حيث حرص على إيجاد مقياس ثابت للأفعال الإنسانية ، وذلك برد الأحكام الخلقية على الأفعال الإنسانية إلى مبادئ عامة تصدق في كل زمان ومكان[٤]. وقد أقام موقفه هذا على أنقاض الرأي السوفسطائي الذي جعل الأحكام الخلقية جزئية متغيرة وجعل المقاييس الأخلاقية وليدة ظروفها وأحوالها [٥] ، وكان جوهر فلسفته هو : إعرف نفسك بنفسك ، وكانت الفضيلة عنده علم والرزيلة جهل [٦].

---

(١)- د. عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني "خلاصة الفكر الأوروبي" سلسلة الينابيع ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٤ ، ١٩٦٩ ، صـ ١٦٥ .

(٢)- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٦٠ ، صـ صـ ٣٢- ٣٣ .

(٣)- د. عبد الرحمن بدوي : ربيع الفكر اليوناني ، مرجع سابق ، صـ ١٦٥ .

(٤)- د. توفيق الطويل : الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها ، مرجع سابق ، صـ ٣٦ بتصرف .

(٥)- المرجع نفسه ، صـ ٢٦ .

(٦)- د. علي حنفي محمود : تمهيد للفلسفة ومباحثها ، التركي للطباعة ، ١٩٩٨ صـ ١٠٩ .

وكان التطبيق العملي لهذا ، هو منهجه في الجدل مع السوفسطائيين المتمثل في "التهكم والتوليد" . و"التهكم" : هو توجيه السؤال للخصم مع تصنع الجهل [1]، و"التوليد" : هو استخراج الحق من الخصم نفسه . وبهذا آثر "سقراط" النظر في الإنسان وانحصرت الفلسفة في دائرة الأخلاق ، باعتبارها أهم ما يهم الإنسان وهذا معنى قول "شيشرون" أن "سقراط" أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض ، أي أنه حول النظر من الفلك والعناصر إلى النفس . وتدور الأخلاق على ماهية الإنسان ...، فمن تبين ماهيته وعرف خيره بما هو إنسان علم نفسه وخيره ، أما الشهواني فهو رجل جهل نفسه وخيره ، وعلى ذلك فقوله أن الفضيلة علم والرزيلة جهل ، هو قول يدل على مبلغ علم "سقراط" وإيمانه بالعقل وحبه للخير[2].

وحينما جاء الإسلام كان الهدف الأول له هو إصلاح الإنسان وتحرير إرادته من رق العبودية وظلام الجاهلية ، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ، ولذا فقد أكد الله عز وجل على فردية وحرية الإنسان ورفعته فهو أحسن المخلوقات وأقومها . ولذا قال الله عز وجل ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ (التين / ٤) ، وكرمه الله تعالى جل شانه فقال ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ﴾ (الإسراء /٧٠) ، وأعزه الله تعالى أكثر فحمله "الأمانة" فقال تعالى﴿إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقنا منها وحملها الإنسان ...﴾ (الأحزاب/٧٢).

وعلى هذا فالنزعة الإنسانية لم تكن وليدة عصر دون غيره من العصور، أو حكراً على فلسفة دون أخرى . لكن الحقيقة أن النزعة الإنسانية ما هي إلا نتيجة منطقية لتراث فلسفي قديم جداً ، وقد ظهر التحديد الأوضح لمعالمها في البيان الإنساني الشهير Humanist Manifesto الذي صدر عام ١٩٣٣، وقد أدرجت في هذه الوثيقة أنواع متعددة من النزعة الإنسانية تحت فئة عامة [3].

وبشكل عام فـ"الإنسانيون" Humanistes هم الذين يقومون بإحياء التراث اليوناني القديم . وكلمة "إنسانية" Humanisme تعني بطبيعة الحال الاهتمام بالإنسان

---

(١)– د. علي حنفي محمود : جدل العقل والوجود دراسة في فلسفة هيجل وكيركيجارد ، التركي للطباعة ،٢٠٠٢، صـ ٤٦ .

(٢)– يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ط٣ ، ٥٣ .

(3)- Johnson , Robert L :Humanism and' beyond, United chutch press , Philadelphia ,1973 , p. 39.

، واتخاذه مركزاً ومحوراً للتفكير فهو جزء من الطبيعة ، والطبيعة هي جسده الخارجي [١].

بالإضافة إلى ذلك تعد "يوتوبيا" Utopia للسير "توماس مور" Thomasmore (١٤٧٨ – ١٥٣٥) وثيقة من وثائق الحركة الإنسانية Humanism ، كما تعد مقدمة لعصر النهضة الأوربية الذي شهد مولد تلك الحركة ، وقد كان "مور" أحد أعمدة تلك الحركة التي ازدهرت بشكل قوي في أوائل القرن السادس عشر في أوربا ، يشاركه في ذلك "ارازموس Erasmus" الهولندي ، و"بودية Bude" الفرنسي ، و"فيفس vives" الاسباني ، و"كوليت Colet" الإنجليزي وغيرهم كثير [٢].

ومنذ تلك الفترة بدأت الدراسات الإنسانية تهتم بدراسة الأفكار والمطامح والسلوك الهادف والإبداع الفني والأدوات التي يصنعها الإنسان ، والقواعد التي يضيفها البشر على أنفسهم والأنظمة التي يستحدثونها [٣]. وكان التعريف الأول والأقدم للفظ "النزعة الإنسانية "هو تعبير عن تلك المحاولات الأدبية والنقدية ، كما وأن الحركة التي ظهرت في عصر النهضة وضعت على الأساس الاشتقاقي للفظ ، "بالتركيز الدائم على الإنسان وحياته في هذه الدنيا والإمكانات الرائعة لهذه الحياة" ، مع العلم أنها لم ترفض الدين وإنما رفضت الرهبنة والتعصب وكل محاولات إعطاء القيم الدينية المكانة العليا [٤].

أما المعاني الرئيسية الأخرى "للنزعة الإنسانية" فلها أصل أحدث عهداً ، إذ أنها وضعت إلى حد بعيد خلال القرن العشرين ، ويعد كل من هذه المعاني تأكيداً لجانب معين من المعنى الشامل لهذا الفظ ، فمثلاً عندما تناول "شيلر" النزعة الإنسانية وهو من أكبر الفلاسفة فإنه اقتبس من "بروتاجوراس" السوفسطائي جملته المشهورة "الإنسان مقياس الأشياء جميعاً" [٥].

---

(١) – ارنست بلوخ : فلسفة عصر النهضة ، ترجمة الياس مرقص ، دار الحقيقة ، بيروت ، بدون تاريخ ، صـ١٢.

(١)– د. عصام عبد الله : الفكر اليوتوبي في عصر النهضه الاوربيه ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ ، صـ٥٨– ٥٩ بتصرف .

(٣)– هـ . ب . ريكمان : منهج جديد للدراسات الإنسانية .محاولة فلسفيه ، ترجمة وتقديم وتعليق د. علي عبد المعطي محمد ، د. محمد علي محمد ، مكتبة مكاوي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩، صـ١٢١.

(٤) – هنتر ميد ، مرجع سابق ، صـ ٣٩٦.

(٥) – المرجع نفسه ، صـ٣٩٧ .

وقد كان اهتمام "شيلر" في الأساس منصب على المنطق ونظرية المعرفة ، لا على الأخلاق ، لذا أكد على المعايير البرجماتية والإنسانية "للحقيقة" و "الصواب" أكثر من تأكيده على معايير "الخير" ، ذلك لأنه يرى أن الحديث عن الحقائق المطلقة هو حديث عقيم . فالتجربة الإنسانية وحدها هي التي تستطيع أن تُنبئنا بما هو موجود وما هو غير موجود ، ونظراً لتغير التجربة من جيل إلى جيل فمعارفنا وحقائقنا أيضاً متغيرة ، وهذا النوع يمكن أن يطلق عليه "النزعة الإبستمولوجية " [١].

٣- الخصائص العامة للنزعة الإنسانية :

ومهما اختلفت الإتجاهات والرؤى والأفكار للإنسانيين ، فإنه يلاحظ وجود بعض السمات المشتركة التي تميزت بها الفلسفة الإنسانية Humanist Philosophy أو النزعة الإنسانية Humanism ، وهي :

١-الإيمان بميتافيزيقا أو بعلم كونيات طبيعي أو بموقف أو رؤية خاصة تجاه العالم تحكم كافة مظاهرة .

٢-الاعتماد بصفة خاصة على وقائع العلم المبرهن عليها مع الإيمان بأن الإنسان ما هو إلا مجرد نتيجة متطورة لهذه الطبيعة العظيمة .

٣-الاعتقاد بان التفكير الإنساني ما هو إلا حدث طبيعي لا يختلف في شيء عن السير والتنفس[٢] .

٤-الثقة الكاملة في أن الموجود البشري له من القوة والإمكانات ، ما يجعله قادراً على حل جميع مشكلاته بنجاح مطلق ، وسبيله في ذلك عقله ومنطقه ومنهجه العلمي الذي يسير عليه من غير أي عون من مصدر علوي إلهي !!! .

٥- رفض كافة نظريات القدرية والحتمية من منطلق أن الموجود البشري هو وحده صاحب الحرية الحقيقية ، ومصدر كل فعل خلاق ، وهو وحده سيد مصيره والمتحكم فيه .

---

(١)- الموضع نفسه .

(٢)- د. مجدي الجزيري : شهادة علي عصر ، مرجع سابق ، صـ ٣١٨ بتصرف .

٦- التطلع نحو قيم أخلاقية تحتوي كل القيم الإنسانية وتستهدف سعادة الإنسانية وحريتها وتقدمها الاقتصادي بغض النظر عن فروق الوطن والجنس واللون والدين .

٧- العمل على تحقيق برنامج بعيد المدى يستهدف إقامة عالم الديمقراطية والسلام الدولي والقومي على أساس نظام إقتصادي مزدهر(١).

٨- الخروج على نمطية العصور الوسطى وتقديسها للطريقة الدينية النصرانية ، وربطها بين الدين والسياسة (٢).

ثانياً :ـ النزعة الإنسانية لدى "روجيه جارودي"

تتضح ملامح النزعة الإنسانية لدى "جارودي" من خلال عدة أفكار طرحها عبر مؤلفاته المختلفة ومنها مفهوم الوجود والدين ، وإعلان حقوق الإنسان وواجباته ، وحرية السوق . وهذا ما يمكن توضيحه على النحو التالي :

١ـ مفهوم الوجود :

عندما يتحدث "جارودي" عن الوجود فإنه يقصد به وجود "النوع" أي النوع البشري بصفة عامة ، لذا فإنه يقول في افتتاحية كتابة "نظرات حول الإنسان" إن "المشكلة الواقعية العملية التي وضعتها فلسفات الوجود لنفسها وأمام الإنسانية هي أن تعطي للوجود الإنساني معنى وقيمة وأن تقرر ما إذا كان هذا الوجود يستحق الإستمرار أم نضع حداً لاستمراره . ووجودنا يتوقف على هذا القرار الذي نتخذه في هذا الشأن" (٣).

ذلك أن التقدم الذري الهائل لم يلبث أن صرف الإنسان عن التفكير في وجوده الشخصي من أجل التفكير في مشكلة الإنسانية بأسرها ، وآية ذلك أن الإنسانية قد أصبحت تعلم اليوم أنها إذا كانت لا تزال على قيد الحياة ، فإن ذلك ليس من قبيل الصدفة ولكن لأنها هي التي أرادت ذلك(٤) . فليس ثمة جنس بشري ـ على حد تعبير "سارتر"ـ بل هناك إنسانية أخذت على عاتقها

---

(١) – المرجع نفسه : صـ ٣١٩ بتصرف .

(2)-Lamont Corliss : **Humanism as a Philosophy, Philosophical**, Library, inc , New York , 1949 , p.18.

(٣)– روجيه جارودي : نظرات حول الإنسان ، ترجمة د. يحيي هويدي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٨٣ ، صـ ١١.

(٤)– د. زكريا إبراهيم : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ ، صـ ١٩.

أن تنصب نفسها حارسة على القنبلة الذرية وأن تضطلع بمسؤولية حياتها أو موتها .... وهذا يعني أن على الإنسانية أن تتقبل وجودها وتوافق عليه في كل لحظة بل في كل دقيقة (١).

فالقرار الآن أصبح بيد الإنسان وذلك كله سببه العلم والتكنولوجيا غير المسئولة وغير الأخلاقية وغير الإنسانية ، لذا يقول "جارودي" "لم نعد نثق بالعلم والتكنولوجيا ثقة ملؤها التقوى ، لأن الحياة الإنسانية أصبحت بحاجة إلى تبرير . أصبح وجود الإنسان يطرح مشكلات كبرى مثل مشكلة الإختيار ، ومشكلة الحرية ، ومشكلة الأهداف" (٢). وهكذا ترتبط مشكلة القيم بمشكلة المصير، فلا يعد الفيلسوف سوى مجرد حكيم يتكلم بلسان البشرية وينطق باسم القيم الإنسانية المشتركة (٣).

وتتمثل المحافظة على الوجود الإنساني عند "جارودي" في المحافظة على سلامة الفرد والجماعة ، وهي بالطبع أيضاً مسؤوليتهم بجميع الفئات والتخصصات . حيث أن "هذه المشكلات قد تجاوزت في جدران المدارس والجامعات وأصبحت مشكلات جميع الناس ، ولعبت التكنولوجيا دوراً رئيساً بأن أخذت تدعو كل إنسان إلى الاضطلاع بدوره في هذه المسؤولية الكبرى". فالإنسان على حد قول "جارودي" أصبح سيداً أو مالكاً للطبيعة ، كما كان يأمل "ديكارت" لكنه تمادى إلى الحد الذي أصبح به "يستطيع منذ الآن أن يمحو كل أثر للحياة ويخلف وراء ظهره سعير كوكب يحتضر" (٤).

لذا فإن العهد إلى العلماء بتحقيق الوحدة الفكرية للإنسانية أمراً مستحيلاً ، إذ أن للعلماء اتجاهات تعارض تلك الغاية السامية ، فهم يؤثرون التخصص ، ويقطعون أوصال الواقع ويتجاهل أو يزدري بعضهم بعضاً ، بالإضافة إلى أن كلاً منهم يرى في دراسته الخاصة العلم بمعنى الكلمة ، فالرياضيون مثلاً يفتتنون بمنهجهم ، ويريدوا أن يطبقوه في سائر العلوم وبخاصة الاجتماعية ، وذلك تسلط وفوضى واستبداد وهو أسوأ نكبة على الإنسانية (٥) .

فبفضل العلم والتكنولوجيا على حد قول "جارودي" خلقت سوق عالمية وكذا إقتصاديات مترابطة ، وأصبح مصير كل إنسان متعلق بمصير كل الناس الآخرين . وأصبحت الحياة اليومية للإنسان تتأثر اقتصادياً وسياسياً وأخلاقياً بأكثر الأشياء بعداً عنه ، إنخفاض أسعار في

---

(١) – المرجع نفسه ، صـ ١٩.
(٢)– روجيه جارودي : نظرات حول الإنسان ، مرجع سابق ، صـ ١٢ .
(٣)– د. زكريا إبراهيم ، مرجع سابق ، صـ ١٩ .
(٤)– روجيه جارودي : نظرات حول الإنسان ، مرجع سابق ، صـ ١٣ .
(٥)– إميل بوترو : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، ترجمة د. احمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، صـ ٤٩.

بورصة نيويورك ، تظاهر في طوكيو ، تخطيط اقتصادي في موسكو ، هزة أرضية في إفريقيا أو أسيا وكذا أزمات الحروب المختلفة [1].

لكن هذا التلاحم الدولي لا يعني تآخياً دولياً . إذ أنه قائم على التناقضات والصراعات والتعبير الواقعي عن التلاحم الدولي أصبح لا يظهر من الآن فصاعداً إلا في صورة تلك الصراعات التي عمت حتى أمست تعم المجتمع الدولي كله : الصراع بين الطبقات ، الصراعات الوطنية والقومية ، والصراعات الأيديولوجية ، فعالمنا عالم واحد لكنه عالم ممزق[2].

وبهذا تظهر ملامح النزعة الإنسانية لدى "جارودي" ألا وهي التسامح مع باقي البشر والمحافظ على الأنا ، وذلك من خلال المحافظة على الآخر وعلى سلامته وأمنه واستقراره وسعادته .

٢ – الدين :

إذا كانت النزعة الإنسانية تطالب بتقليص دور الكنيسة إلى أبعد حد ممكن عن الدولة ، ومن ثم تركز على نشر الفكر العلماني ، فإن "جارودي" ثار على هذا التصور وسعى إلى تأسيس نزعة إنسانية ذات صبغة دينية تطالب بربط الدين بالدولة ، حيث قال : "يجب ألا ينفصل الإيمان عن الحياة ، حياة القرية والحقول والمصانع والمعامل ، وفي المدن والمدارس ومراكز الأبحاث ، بل وفي المعابد اليهودية والكنائس والمساجد وغيرها"[3] .

وإذا كان "جارودي" يطالب بعدم الفصل بين الدين والدولة ، لكنه في الوقت نفسه يقدم رؤية جديدة للدين والحياة معاً مختلفة عن الرؤى الدينية المتحجرة ، حيث يقول: "إنني مقتنع بأن عالمنا تلزمه صياغة جديدة لقيم المقدس ، ويلزمه مفهوم جديد للدين يتطابق تماما مع أصول العبادة والصلاة ، ولكن يعبر عنه بشكل جديد ومختلف ، شكل يسمح لنا بالتعرف على وجودنا الخاص وعلى وجود الآخرين باعتبارهما أيضاً مقدسين ، ويكشف لنا عن قدراتنا على خلق عالم أكثر عدلاً"[4].

---

(١) – روجيه جارودي : نظرات حول الإنسان ، مرجع سابق ، صـ١٣ .

(٢)– الموضع نفسه بتصرف .

(٣)– روجيه جارودي : كيف نصنع المستقبل ، مصدر سابق ، صـ ٢٦٥ .

(٤) – المصدر نفسه ، صـ٢٦٦ .

ويرى "جارودي" أن هذا المفهوم الجديد للدين سيكون على القادر والثري والعالِم مسئولية ، وللفقراء حقوق ، هذا هو الدين والاقتصاد والنظام الاجتماعي والحياة الخلاقة للفنون والتكنيك والتعليم . كل هذا لن يكون إلا شيئاً واحداً يهدي تفكيرنا وحركتنا[1] .

وهذا يتفق مع تعريف الإنسانيين للدين على أنه كل اتجاه ينطوي على مبادئ رفيعة وله اتجاه اجتماعي بغض النظر عن وجود أي عنصر عالٍ أو خارق للطبيعة أم لا ، و بالتالي أصبح الدين مسألة إتجاه أو موقف لا مسالة مضمون ، وبهذا فقد أدرجت مظاهر مثل الشيوعية ، بل الإلحاد نفسه ضمن الأديان[2].

وبهذا فإن "جارودي" يطالب بدين إنساني جديد يقوم على التعاون والمساواة بين البشر، وكذا التقليص من سيطرة وسطوة الكنيسة علي النصارى في الغرب ، ووصفها "النموذج" حيث يقول "من هذا المنظور تبدو دعوة النصرانية بأنها دين عالمي شكلاً نموذجياً للإستعمار الروحي الذي لا ينفصل عن أي شكل من أشكال الإستعمار"[3] ، وبهذا يتماثل إلى حد كبير مع أصحاب النزعة الإنسانية. وكأننا نتحدث إلى إنسان علماني ليس مسلم ، ويبدو أن "جارودي" حتى بعد إعلانه اعتناق الإسلام "كما ادعى" مازال متأثر بظلام الكفر والمنهج العلماني الفرنسي .

لكن "جارودي" في نزعته الإنسانية هذه لم يهمل العنصر المتعالي كما أهمله الإنسانيون ، ولكن نجده يؤكد عليه في أي ديانة ، لذا يقول "لا نستطيع أن نطالب باحتقار السبل المؤدية إلى التعالي . سواء أطلقنا عليه الخلاص أو التحرر أو النرفانا". المهم هو وجود ذلك العنصر المتعالي فلا بد من وجود رابطة بيننا وبين الله ، والخضوع لله هو مشاركة كاملة من كينونتنا بما فيه جسدنا مما يعطي بدوره معنى لفعلنا [4].

ويخلص "جارودي" من الإيمان إلى نتيجة مهمة ألا وهي أن أكثر الأشياء قيمة هو تأثير هذا الإيمان على سلوك الفرد ، والنتيجة النهائية المطلوبة هي أن يحرر الإيمان الفرد من اغترابه ومن طموحاته الشخصية والدعوة إلى التعاون مع الآخرين لخلق جماعة عامة عالمية ، وذلك

---

(١)- المصدر نفسه ، صـ٢٦٧ .

(٢)- هنتر ميد ، مرجع سابق ، صـ٣٩٩.

(٣)- روجيه جارودي : كيف نصنع المستقبل ، مصدر سابق ، صـ ٢٦٨ .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ ٢٦٩ .

هو الغاية النهائية السامية للإيمان ، وهي في الوقت نفسه دعوة لكل الأديان للتعالي وتجاوز الذات[1] .

٣- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

إذا كانت النزعة الإنسانية لدى "جارودي" تختلف عن النزعة الإنسانية لدى معظم فلاسفة الغرب ، فربما ذلك لأن "جارودي" كان قد هداه الله تعالى للإسلام كما ادعى ، ولم يكن ملحداً مثل باقي الإنسانيين الغربيين ، وطالب بعدم فصل الدين عن الدولة ، بل ورفض ذلك الفصل المرغوب فيه من هؤلاء الملاحده ، لأنه سيجعل أفعال الإنسان غير قائمة على أساس روحي ولا عدالة ولا أخلاق مهما ادعى الإنسانيين عكس ذلك ، سواء في الدولة الواحدة أو في العالم بأسره ، والدليل على ذلك أن "جارودي" لاحظ في "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" الصادر عن الأمم المتحدة في عام ١٩٤٨م ، أنه مجرد إعلان يعطي الحق للدول القوية في التدخل بكل الأشكال في شئون الدول الضعيفة باسم الدفاع عن حقوق الإنسان . ولكن ذلك لا يطبق إلا على الدول الضعيفة فقط [2]. كما ذكر "جارودي" بعض الأمثلة على مدى عدم الإلتزام بهذه المبادئ والقوانين ومنها ما يلي :

مادة ١/٢٣ : "لكل فرد الحق في العمل ..." في حين أن هناك ٣٥ مليون عاطل في العالم الغني وهناك في الوقت نفسه مئات الملايين في العالم الثالث بلا عمل وهامشيين .

مادة ١/٢٥: "لكل فرد الحق في مستوى معيشة يضمن له الصحة والرفاهية ..." في حين أنه في الولايات المتحدة ٣٥ مليوناً يعيشون تحت خط الفقر، ونفس الأمر بالنسبة للجنوب حيث يعيش ثلاثة أخماس البشرية.

مادة ٢/٢٥: "الأمهات والأطفال لهم الحق في مساعده ورعاية خاصة". في حين أن تقرير اليونيسيف لعام ١٩٩٤م يبين أن ١٣مليون طفل يموتون سنوياً من الجوع ومن سوء التغذية ، وأمراض من السهل علاجها ، وأنه في الولايات المتحدة هناك طفل من كل سبعة أطفال لا يأخذ حقه في التغذية [3].

(١)- المصدر نفسه ، صـ ٢٧١ بتصرف .
(٢)- المصدر نفسه ، صـ ١٢٩ بتصرف .
(٣)- المصدر نفسه ، صـ ١٣٠ .

ثم يطرح "جارودي" سؤالين في غاية الأهمية ، وفي قمة السخرية في نفس الوقت معقباً علي ذلك الإعلان العالمي لحقوق الإنسان :

١- عندما نتحدث عن الإنسانية ، فعن أي إنسان نتحدث ؟ الأبيض ؟ المالك ؟ الغربي ؟

٢- ماذا يعني "الحق" بالنسبة لإنسان ليس لديه وسائل ممارسة هذا الحق ؟

ثم يعقب "جارودي" نفسه على تلك الأسئلة ويبدأ بالسؤال الأول فيقول "ماذا يعني على سبيل المثال الحق في العمل لملايين من البشر العاطلين ؟ والحق في الحياة لملايين من البشر الذين يموتون في العالم غير الغربي كي يستمر أصحاب الإمتيازات في الغرب في متابعة نهبهم بحرية ؟ [1] " ، ثم يعقب على السؤال الثاني أيضاً متهكماً بسؤال وهو : من يملك حق التدخل ؟ هل يوجد شعب إفريقي يملك حق التدخل هذا كي يضع حداً للتمييز العنصري في الولايات المتحدة ؟ أو لكي يعاقب مرتكبي جرائم مدينة لوس انجلوس ؟

ثم يستعرض إحدى نتائج هذا التطبيق المثالي لهذا "الإعلان العالمي" فيذكر أن التدخلات العسكرية للدفاع عن الحدود تمارس بطريقة همجية ، بينما لا يوجد أي جزاء للصهاينة برغم التصويت الجماعي – في الأمم المتحدة نفسها والتي صدر عنها هذا الإعلان أنفاً – عندما يضم الكيان الصهيوني[♥] القدس[2] .

ويعدد لنا "جارودي" الأمثلة على مدى شراسة تلك الغابة اللاإنسانية حين يسود قانون الأقوى تحت مسمى "الدفاع عن الديمقراطية" ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

١-مساندة "بينوشيه" وكل دكتاتوريات العالم عندما تخدم المصالح الأمريكية ، وسحقها عندما تتوقف عن خدمتها .

٢- الجنرال"نورييجا" في بنما الذي كان يتلقي من "بوش" عندما كان مديراً للمخابرات الأمريكية نفس معاملة رؤساء الولايات المتحدة ، بما أنه عميل مخلص ، ولكن تتعرض بلاده للغزو عندما يطالب بحقوق مشروعة في قناة بنما .

---

(١) – الموضع نفسه .

(♥)- لا نقول دولة إسرائيل ، لأن الدولة هي فلسطين أما الإسرائيليين فهم بعض المهجّرين والمطاردين والمرتزقة ، لا دولة لهم .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ١٣١ .

٣- "صدام حسين" الذي أطلق عليه في فرنسا في بعض الكتب "ديجول العراق" عندما كان يتلقى المال والسلاح ليحارب إيران ، يصبح فجأة "هتلر الجديد" عندما يحاول أن يقاوم التدخل الإستعماري للولايات المتحدة وحلفائها[1] .

ويرى "جارودي" أن السبب النهائي والمبدأ الحقيقي الذي تجري عليه الأحداث العالمية هو "الكذب" فنجده يقول "إن الكذب هو المبدأ الأساسي الذي تُسوغ به كل الجرائم باسم الكذبة الكبرى ألا وهي الديمقراطية (مثل الإبقاء على مقاطعة العراق التي كانت تقتل آلاف المواطنين باسم الدفاع عن حقوق الإنسان)[2] ، ثم مساعدة العراقيين في استعادة حريتهم بخلع "صدام" واحتلال أرضه ونهب ثروات بلاده وإفراغها من الكوادر العلمية .

٤- حرية السوق :

عندما يتحدث "جارودي" عن حرية السوق وعن مساوئها فإن في جعبته الكثير والكثير من الآراء والأقوال المدعمة بالأدلة والحجج والبراهين والدراسات وكذا التقارير الرسمية ، التي تؤكد خطر تلك الممارسات على المبادئ والحركة الإنسانية .

حيث إن هذا النظام هو أحد المنتجات الغربية ، والتي يريد الغرب أن يروج لها في كل مكان لتصبح هي المكان الوحيد للتعامل مع الآخر ، فكل شيء يباع ويشترى حتى المبادئ والقيم والأخلاق التي تدعو إليها النزعة الإنسانية ، والتي كانت نهضتها " كفلسفة نظرية " في الغرب ذاته . ولأن "جارودي" مفكر صاحب منهج "إنساني" وله إسهامات في مجال النزعة الإنسانية فقد رفض تطبيقات العلم والتكنولوجيا غير المسئولة . التي تحول الإنسان إلى مجرد آلة ، وليس معنى هذا رفض العلم ذاته ، بل على العكس تماماً. حيث أن أصحاب النزعة الإنسانية قد أبدوا للعلم أعظم الإحترام ، بل بالإضافة إلى ذلك نجدهم يدعون إلى التوسع في المنهج العلمي بحيث يمتد إلى كل مجال ممكن من مجالات التجربة . كما تمثل علوم الإنسان "أي العلوم الاجتماعية" أهمية خاصة بالنسبة للنزعة الإنسانية[3].

لكن ما يرفضه "جارودي" هو العلم المدمر ، فهو يرفض مقولة "ديكارت" "أن العلم والتقنية جعلنا أسياد وملاك للطبيعة" لأن هذا جعل العلم هو المصدر الوحيد للحقيقة ، وموزع الأمل

---

(١)- الموضع نفسه.

(٢)- الموضع نفسه.

(٣)- هنتر ميد ، مرجع سابق ، صـ ٤٠٤ .

الوحيد ، واعتبر الدين تقاليد قديمة [1]. ولذا فبفضل السيطرة على الطبيعة على حد قول "ديكارت" أصبحنا الآن نملك القدرة على تدميرها أيضاً ، فقد أسفرت قنبلة "هيروشيما" في لحظة واحدة عن ٧٠ ألف قتيل ، الأمر الذي يعتبر تقدماً تقنياً لا يقبل المناقشة بالنسبة إلى "جنكيزخان" الذي لزمه سبعة أيام من أجل إقامة هرم من "١٠٠٠٠" جمجمة بشرية فقط ، عندما استولى على أصفهان . كما تمتلك القنبلة النووية الآن مخزوناً يوازي أكثر من مليون قنبلة مثل قنبلة "هيروشيما" ، بمعني القدرة التقنية على تدمير سبعين مليار كائن بشري "إثني عشر مرة الموجودين بالفعل على ظهر الأرض" ... أي القدرة على إزالة أي أثر للحياة على وجه الأرض[2] . بالإضافة إلى خلق نظام إقتصادي وأخلاقي جديد ألا وهو إقتصاد السوق القائم على المنافسة الشرسة بين الأفراد والدول ، وهذا كله يطلق عليه "الحداثة" التي أصبحت تعني الآن مجموعة مبهمة من السلوكيات في حضارة يسيطر عليها من خلال العلم وتقنياته عقل برجماتي مرتبط بحكمة الغاية تبرر الوسيلة ، وتسلط مقولة " كل الأسئلة التي لا تستطيع أن تجيب عليها هي أسئلة خاطئة ، بما في ذلك أسئلة الخير والشر ، والتي تشكلت منذ ذلك الوقت خلال علاقات القوة [3].

فالغرب يسعى الآن إلى النظام جديد من السوق ألا وهو وحدانية وشمولية السوق ، أي وحدانية المال . وهو نظام تختزل فيه كل القيم إلى "قيم سلعية" ، وهو نمط حياة غربي يهدف إلي تحويل الإنسان إلى منتج أكثر وأكثر فعالية ، ومستهلك أكثر وأكثر شراهة في رغباته ، تحركه مصالحة الفردية فقط [4]. حتى العلوم الإنسانية المزعومة أصبحت خادمة لهذه النظرية للتقدم ، على غرار الإقتصاد السياسي الذي خلق منذ القرن الثامن عشر إسطورة "الإنسان الإقتصادي" التي لم تجعل الإنسان إلا منتج ومستهلك متحرك من أجل مصالحه فقط . وهكذا ولدت الحضارة الكمية [5] . ولذا أصبح يعبر عن قانون "النمو" بالزيادة في الإنتاج وسرعته وقلة تكاليفه ، سواء أكان هذا المنتج ضاراً أم مفيداً أو حتى سلاحاً قاتلاً [6].

---

(١)- روجيه جارودي : حفارو القبور، "الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها" ، ترجمة عزة صبحي ، دار الشروق ، ط٣، ٢٠٠٢، ١٤٢٣، صـ ١٠٤ .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ٩٨ .

(٣)- المصدر نفسه ، صـ ١٠٣ .

(٤)- الموضع نفسه.

(٥)- المصدر نفسه ، صـ ٩٧ .

(٦)- المصدر نفسه ، صـ ٩٨ .

٥- إعلان واجبات الإنسان :

يتمثل المذهب الإنساني أو النزعة الإنسانية جلياً في أبهي صوره لدى "جارودي" في رفضه أولا للمنطق الذي يعيش به العالم اليوم ، والعلاقات التي تحكمه وفي تفاعل الدول بعضها مع البعض ، وكذلك تفاعل الأفراد بعضهم مع البعض ، بالإضافة إلى ذلك فقد رفض الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر من الأمم المتحدة ، لأنه لا يطبق إلا على الدول الضعيفة فقط ، وقدم مجموعة من البنود يعتبرها أكثر موضوعية في هذا الصدد .

وبما أن "جارودي" قد أعلن إسلامه ، فمن المؤكد أنه سينطلق إلى تحديد معالم بنوده لواجبات الإنسان من وجهة نظر إسلامية ، لذا فقد نظر أولاً إلى الإنسان في الإسلام فوجد أن الإسلام ينظر إلى الإنسان لا على أنه كيان منعزل ، بل على أنه جزء من كل أكبر ، ألا وهو الجماعة ، وهذه الجماعة تتوجه صوب غايات وأهداف تسمو على غاياتها نفسها . ويرى "جارودي" أن المنظور الإسلامي إلى الإنسان لا يلتقي بالمفهوم الغربي القائل أنه لا بديل للمذهب "الفردي" إلا المذهب "الجماعي"[١] .

وحينما نقول أن المسلم هو جزء من "كل " فنحن لا نعني ما أشار إليه "هيجل" بتشبيه الإنسان بعضو في جسد متكامل ، كما يؤكد "جارودي" أنه لا يعني أيضاً ما ورد في المفهوم الفاشي من أنه لا قيمة للفرد ولا معنى له ولا كيان إلا بانتسابه إلى الدولة [٢]. إنما نعني مجتمع مسلم يسعى إلى أهداف وغايات تسمو على أهدافه الخاصة ويرسمها له الله عز وجل ، وإن هذا "التسامي" في العلاقة بين الجماعة والإنسان وبين الله عز وجل و"الجماعة " يجنب المجتمع الوقوع في شكليات نظام التسلسل في المناصب ، ولا يؤدي إلى اضطهاد الإنسان للإنسان.

ثم ينتقل "جارودي" إلى مناقشة مفهوم المساواة والحرية في الإسلام ، حيث يؤكد جذرية الإختلاف عن مفهوم الأوربيين للمساواة ، حيث أن الحرية والمساواة لا علاقة لهما بالإنسان كفرد مستقل كما عند الأوربيين ، بل إنهما مظهرين من مظاهر إرتباط الإنسان بالمطلق ، ونتيجة لهذا الحضور الإلهي في وجدان الإنسان ، مما يتيح له اتخاذ موقف المحايد الناقد تجاه الأنظمة القائمة وتجاه كل محاولة للسيطرة على البشر[٣] .

---

(١)- روجيه جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ١٠٠ بتصرف .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ١٠١ .

(٣)- الموضع نفسه.

ويبدأ "جارودي" إعلانه الذي أسماه "الإعلان العالمي لحقوق الإنسان" بديباجة يؤكد فيها "أن الإنسانية في تنوع عناصرها هي كلّ واحد لا ينقسم" والواجب الرئيسي للجماعات ولأعضائها هو خدمة هذه الوحدة وتطورها الخلاق بالتمييز بين الإنسان والحيوان ، ويكون هذا الواجب هو الأساس لكل الواجبات الأخرى[1]. ويستبعد "جارودي" من هذا الإعلان للواجبات كل تسلط وتُضمن فيه كل الحقوق . بالإضافة إلى ذلك يستبعد منه كل زعم في الخصوصية (Exclusivite) وهي سيطرة معتقد أو أمة أو جماعة أو فرد ، وتُضمن فيه أيضاً حرية التعبير لكل جماعة إنسانية (أي كل مذهب يخدم مصالح الإنسانية ككل لا يتجزأ ، وكذلك حرية التعبير ، وحرية الإيمان أو ممارسة كل دين "أي كل معتقد يمنح هذه الوحدة أصلاً إلهياً". وكل تطلع قومي يساهم بثقافة الخاصة في سيمفونية هذه الوحدة العالمية ، وفي إزدهار الإمكانية الخلاقة التي يحملها كل فرد في داخلة أياً كان أصلة وجنسه وإيمانه) [2].

ثم يتساءل "جارودي" عن كيفية بناء الوحدة الإنسانية كي يتم منع انتحار الكوكب ، ويجيب هو على نفسه : بأن ذلك يمكن أن يتم من خلال بعض التحولات الإقتصادية والسياسية والعلمية والدينية . لكن هذا المجتمع العالمي الذي يهدف إلى خلق عالم ذي وجه إنساني لا يتضمن أي إمتيازات دينية ولا سياسية لأن هدفه أن يخلق وحدة ليست إمبريالية ، لكن وحدة سيمفونية للإنسانية التي ساهمت فيها كل الشعوب وكل مجتمع بثرواته الخاصة ، بثروات أرضة ، وثقافته ، وإيمانه [3] .

٦- مشروع إعلان واجبات أي إنسان ولكل إنسان :

وأخيراً يقدم لنا "جارودي" الصورة النهائية لمشروعه وهو "إعلان واجبات الإنسان ولكل إنسان" ، وقد ذكره بهذه الصيغة ربما ليتلاشي الفصل الذي طبقه على الواقع الإعلان العالمي لحقوق الإنسان ، وهو التفرقة بين حقوق الإنسان الغربي الغني ، وبين الإنسان غير الغربي الفقير، والذي لا يكون له هذه الحقوق عملياً على أرض الواقع . ويضع "جارودي" لهذا الإعلان "٦" بنود وهي :

---

(١)- روجيه جارودي : كيف نصنع المستقبل ، مصدر سابق ، صـ١٣٢ .

(٢)- الموضع نفسه.

(٣)- المصدر نفسه ، صـ ١١٩ .

١- الإنسانية مجتمع واحد ، وليس بواسطة وحدة إمبريالية قائمة على سيطرة دولة أو ثقافة معينة . هذه الوحدة هي على النقيض سيمفونية ، أي غنية بمشاركة كل الشعوب فيها.

٢- كل واجبات الإنسان والمجتمعات تنبع من هذه الوحدة ، وهدف هذه المجتمعات ليس الدفاع عن ثقافة خاصة وإنما لترقية أي إنسان وكل إنسان ، أياً كان جنسه أو أصله الاجتماعي أو العرقي أو الديني كي يُعطى كل فرد الإمكانية لإخراج قدراته (١).

٣- الملكية ،عامة أو خاصة ، لا شرعية لها إلا إذا أقيمت على العمل وساعدت على تنمية الجميع ، وبالتالي حائزها هو مجرد مسئول عنها ، ولا مصلحة شخصية أو قومية أو طائفية أو دينية ، يمكنها أن تجعل غايتها التنافس والسيطرة واستغلال عمل الآخرين ، أو الإستغلال المنحرف لوقت الفراغ .

٤- السلطة ، أي مستوى كانت لا يمكن أن تمارس أو تسحب إلا بواسطة توكيل من قبل من يلتزمون التزاماً مكتوباً للوصول إلى المواطنة ومراقبة الواجبات ، والحائزون يمكن إستبعادهم من قبل أقرانهم إذا تعدوا.

٥- لا يجوز لأحد أن يزعم أنه يملك المعرفة الكاملة والحقيقة المطلقة لأن هذه الأصولية الثقافية تولد بالضرورة محاكم التفتيش والشمولية البغيضة .

٦- هدف كل مؤسسة شعبية لا يمكن إلا أن يكون دستوراً لجماعة حقيقية ، أي على العكس من النزعة الفردية ، هي رابطة يعي كل مشترك فيها أنه مسئول عن قدر الآخرين (٢).

ويلاحظ هنا التشابه الكبير بين الكمية الضخمة من الحرية التي يعطيها "جارودي" لكل الأفراد وكل الجماعات في الإعتقاد والممارسة والتعبير عن الإتجاهات والأفكار والميول بكافة الوسائل والأشكال ، وبين المساحة الواسعة التي أقرها الإنسانيون بصفة عامة ، حيث يعرف الإنسانيون الدين على أنه "تلك الأفعال والغايات والتجارب ذات الغاية الإنسانية بغض النظر عن وجود عنصر متعالي أم لا" (٣).

---

(١)- المصدر نفسه ، صـ صـ ١٣٦- ١٣٧ بتصرف .

(٢)- الموضع نفسه.

(٣)- هنتر ميد ، مرجع سابق ، صـ ٤٠٠ .

وعلى ما في هذا التعريف من القصور ، ذلك لعدة أمور وهي: أولاً من الذي يحدد أن هذا الفعل له هدف إنساني أم لا ؟ هل هو الإنسان الغربي الذي يسعى لمصلحته هو فقط وإفناء الآخر؟ ، وهذا الهدف هل هو إنساني بالفعل أم لا ؟ ، وهل هو إنساني لكل البشر أم للغربيين فقط ؟ ، وعلى افتراض كل ذلك فإنه بذلك يُدخِل كل شيء منظم وله أتباع ، يعتبره ديناً وله الحق في حرية الممارسة والتعبير ، سواء أكان حركة نقابية أم حركة للشواذ جنسياً ، أم حركة إلحادية لا يهم ، المهم هو عدد الأتباع والمؤيدون فقط ، وكذلك الأمر لدى "جارودي" المهم هو الحرية في المعتقد ولا يهم ماهية هذا المعتقد ولا كيفية التعبير والإعلان عنه . كما أنه طبقاً للعنصر رقم "٥" في مشروعه سابق الذكر لا يحق للمسلمين أيضاً الإدعاء بأنهم يملكون الحقيقية المطلقة عن الدين الصحيح . وهذا بالطبع لا يتفق مع العقل والمنطق ولا مع المنهج الإسلامي الذي ادعى "جارودي" إنتسابه إليه ، فإذا كان هذا المعتقد من المعتقدات الكفرية أو لنشر الفساد في الأرض فإنه لا يجب الإفصاح عنه والبوح به كما يطالب هؤلاء . ولذا فمازال مفكرنا لم يتحرر بعد من المنهج العلماني الفرنسي حتى بعد إعلانه الدخول في الإسلام .

وبصفة عامة فإن رؤى "جارودي" لم تطرح قضية الإنسان بوصفها قضية فلسفية تأملية تنظر في تعريف الإنسان بوصفه مفهوماً ميتافيزيقياً مجرداً بعيد عن الواقع ، ولكنها اهتمت بخصائص الإنسان بوصفه كائناً إجتماعياً مرتبطاً بواقعه وعصره ، وكونه ذاتاً فاعله في التاريخ ، يتسم بالوعي الذي يعلو به عن ذاته ، وواقعه الموضوعي عن طريق المبادرة والجهد الخلاق. كما اهتم "جارودي" بتحرير الإنسان المعاصر أياً كان اهتمامه السياسي أو الديني في شتى أشكال الإغتراب وطالب بأن يُعنَى به في جميع أبعاده التي تمكنه من أن يحيا حياة إنسانية سامية ، ويوجه أفعاله نحو غايات إنسانية وأخلاقية [1].

---

(١)- فوزية عبد الله شمسان سعيد : رؤية روجيه جارودي لمفهوم الإنسان ودوره في بناء الحضارة ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف د. محمد محمد علي قاسم ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٦، صـ ١٨٩ .

ثالثاً:ـ النزعة الإنسانية لدى"نورمان دانييل" :

من المعلوم أن "نورمان دانييل" ينضم إلى قافلة المستشرقين الذين يهتمون بـشتى القـضايا الإسلامية ، إبتداءً من القرآن الكريم وتفسيره والكتابة حول السنة النبوية والتاريخ الإسـلامي ، إلى الكتابة في اللغة العربية وآدابها ، وشتى القضايا في الإسلام وحيـاة المـسلمين اجتماعيـاً واقتصادياً وسياسياً .

وكثيراً ما تتردد كلمة "الاستشراق" عند الحديث عن الغزو الفكري أو الثقـافي وآثارهمـا السيئة ، وقد اختلف الباحثون في نشأة "الاستشراق" وفي تحديد سنة معنية أو فترة معينة لنشأته . فيرى البعض أن "الاستشراق" ظهر مع ظهور الإسلام عند هجرة المسلمين إلى الحبشة . ويرى آخرون أن أول إهتمام بالإسلام والرد عليه بدأ مع "يوحنا الدمشقي" وكتـابه الذي حاول فيه أن يوضح للنصارى كيف يجادلون المسلمين . ويرى البعض أن الحروب الـصليبية هـي بدايـة الإحتكـاك الفعلي بين المسلمين والنصارى ، الأمر الذي دفع النصارى إلى محاولـة التعـرف على المسلمين . وبخاصة أنه بعد هزيمة لويس التاسع وأسره في المنصورة وما تمخض عنـه تفكيره من صعوبة هزيمة المسلمين عسكرياً ، وضرورة التخطيط الفكري بجانـب التخطـيط الحربي والسياسي(١).

وبصفة عامة فقد اهتم الغرب بالاستشراق كثيراً ، بل واعتبرت بريطانيا أن إنشاء مدرسـة للدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن من الأساس الضروري للإمبراطورية(٢) . بل وهناك حاجة ماسة لمثل هذا النوع من الدراسات والتي ينبغي أن تكون لندن مركزاً لها (٣). لذا توجـه مجموعة من الباحثين الإنجليز للأندلس للدراسة في مدارسها وجامعاتها (٤). ومن هؤلاء علـى سبيل المثال "أدلارد أوف باث Adelaed of Bath"(١٠٧٠/١١٣٥) الذي قام برحلات واسعة

---

(١)- د. فاروق عمر فوزي : الاستشراق والتاريخ الإسلامي "القرون الإسلامية الأولى" دراسة مقارنة بين وجهات النظر الإسـلامية ووجهة النظر الأوربية ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ ، صـ ١٤ .

(2)- Lord Kurson : **Subjects of the Day , Being and Selection of Speeches and Writings** , London , 1915 , p . 191 .

(3)- William Hayter: **"the Future of Asian Studies after the Hayter Report "in Asian Affairs** , Vol .xii ,"old Sevies, Vol . 68 ",Part 11, 1981 , p . 253 .

(4)- Bernard Lewis : **British Contribution to Arabic Studies** , London ,1941 , p. 9 .

في الأندلس وسوريا ودرس خلالها اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وعندما عاد إلي بريطانيا عمل معلماً للأمير "هنري" والذي أصبح فيما بعد الملك "هنري الثاني"(١).

أما البداية الحقيقية للاستشراق الذي يوجد في العالم الغربي اليوم فقد انطلقت عندما تدخلت الكنيسة في روما لتشجيع هذا النشاط العلمي بأمر من البابا "كليمنص الخامس" بإنشاء كراسي للغة العربية في عدد من المدن الأوروبية بقرار مجمع فينا الكنسي(١٣١١م/١٣١٢م) . وبالرغم من ذلك فقد بقيت هذه القرارات الرسمية دون مفعول حتى تهيأ لها الجو المناسب بالإستعداد الكافي لدى الأمم(٢) . وفي القرن السادس عشر حيث بدأت الطباعة وازداد الاهتمام بالدراسات الاستشراقية ، فتحركت الدوائر العلمية وأخذت تصدر كتاباً بعد الآخر . ثم ازداد النشاط الاستشراقي أكثر بإنشاء عدد من كراسي للغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية ، مثل "كامبريدج Cambridge"عام ١٦٣٢ وكرسي أكسفورد عام ١٦٣٨ (٣).

وكان من أبرز المستشرقين في تلك الفترة "وليام بدول Beedwell William" (١٥٦١م-١٦٣٢م) والذي اهتم باللغة العربية وثقافتها ، ولكن بحكم نصرانيته فقد عادى الرسول ﷺ في كتاباته المختلفة(٤). وكذلك المستشرق "سيمون أوكلي Simon Ockley" (١٦٧٨م- ١٧٢٠م) ، والذي يعد من أبرز من درس بجامعة "كمبريدج" ، وله إسهامات مهمة في مجال العلوم والدراسات الإسلامية والعربية ، ومن أهم أعمالة كتاب بعنوان "تاريخ السراسنة" وكان على نفس نهج سابقه (٥).

وقد كان بعض المستشرقين يذم الإسلام صراحة ويذم النبي ﷺ مثل "توماس أرنولد" "وريمون لل"(٧١٦هـ/١٣١٦م) ، وغيرهما الكثير. ومن المستشرقين من قرأ الكتب الدينية وفحصها وأدرك أن رسالة الإسلام قريبه من الرسالات السماوية ومؤيده لما جاء في كتبهم من إيمان بالله تعالى وكتبه ورسله ودعوة للحق والخير والصلاح ، ولكن هؤلاء كانوا قلة أمثال البارون "دي ساسي" المتوفى عام ١٨٣٨م ، و"كارتر مير" المتوفى ١٨٥٢م ، والهولندي "دي خويه"المتوفي عام ١٩٠٩م ، والإنجليزي "وأربري" المتوفى في السبعينات من هذا القرن ،

---

(١)- د. مازن صلاح مطبقاني : الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م ، ص ٢٧ .

(2)- P.M .Hhol t: "The Origins Of Islam S Studies "in Al – Kulliya , No , 1, 1952 , p . 20 .

(3)-Lewis , Op .cit , p .14 .

(4)-Alastair Hamilton Beedwell: The Arabist .London , 1985, p . 69 .

(5) -Simon Ockley: History Of Saracens , London: 1875 , p .10

وكذلك "هادريان ريلاند" في كتابه "الديانة المحمدية" ، ـــ ونلاحظ أنه سماها "المحمدية" وليست الإسلامية ربما لإظهار الحياد ، ولكن هذا الإسم يبطن الإنكار بالقطع لهذا الدين ـــ والذي دعى إلى القراءة عن الإسلام من مصادره الأصلية الموجودة في المكتبة العربية ، كي يراه القارئ بعينه لا بعين الآخرين ، وقال أيضاً ... "وفي رأيي أن ذلك الدين الذي انتشر انتشاراً بعيداً في كلٍ من أسيا وإفريقيا وأوربا أيضاً ليس ديناً ماجناً سخيفاً كما يتخيل كثير من النصارى ، ولكنه دين حُرِّم من قبل الكنيسة الكاثوليكية فقط [(1)]. وقد حاول البعض من هذا الصنف الثاني النفاذ إلى حقيقة المسلمين ، ولكن التأثر بالأحكام السابقة على الإسلام كان لا يزال قوياً في دراستهم مما أدى إلى أراء مخالفه للواقع عن الإسلام مما عرضهم النقد اللاذع من المسلمين والرد عليهم ، ومن هؤلاء البروفسير "مونتجمري واط" و"لويس برنارد" و"كارليل" و "نورمان دانييل"[(2)].

ويعترف "دانييل" بذلك قائلاً "على الرغم من المحاولات الجدية المخلصة التي بذلها بعض الباحثين في العصور الحديثة ، للتحرر من المواقف التقليدية للكتاب النصارى عن الإسلام ، فإنهم لم يتمكنوا من التجرد منها تجرداً تاماً . لذا قال "تييري هنتش" أستاذ الفلسفة بجامعة "كيبيك" بمونتريال في كتابه «رؤية الغرب إلى الشرق المتوسطي» أنه مدين لمفكرين عرب ومستشرقين قال إنهم أكثر إنفتاحاً في انتقاد رؤية الغرب للشرق ومنهم المستعرب الفرنسي "مكسيم رودنسون" (١٩١٥ – ٢٠٠٤) والبريطاني نورمان دانييل" [(3)]. والبعض الآخر بعد تعرفه على تعاليم الإسلام ومبادئه الأساسية أسلم ورجع إلى الله عز وجل مثل الدكتور "ر. ل . ملما" رئيس القسم الإسلامي في المتحف الاستوائي في أمستردام [(4)]. ويبدو أن "نورمان دانييل" ينتمي إلى الصنف الثاني ، ويمكن توضيح ذلك على النحو التالي :

١ – منهجه مع الآخر :

كان "دانييل" من ذلك الصنف الذي يظهر مالا يبطن ، حيث أنه لا يذم الإسلام صراحة في معظم كتاباته ، بل إنه في بعض الأحيان القليلة يمتدح صفة أو أكثر لدى المسلمين ، ولكنه من حين لآخر يدس بين كلامه الكثير من الآراء التي تذم الإسلام والمسلمين ، بل وفي بعض

(١)– د. فاروق عمر فوزي ، مرجع سابق ، صـ صـ ٣٧– ٣٨ بتصرف .

(٢)– المرجع نفسه ، صـ ١٤ .

(3)-http://www.al-watan.com/data/20051012/index.asp?content=culture .

(4)-http://www.darislam.com/home/alfekr/data/feker10/6.htm .

الأحيان يؤكد وجود تلك الصفات الذميمة لدى المسلمين ، ويذكر لنا في كتاباته المتعددة الآراء التي قال بها المشككون في الإسلام فقط ، بالإضافة إلى ذلك لا ينتقد أياً من هذه الآراء التي تشكك في الإسلام وتريد هدمه وإفناء المسلمون ، وبالتالي ففي نقله لتلك الآراء فقط دون غيرها ، وعدم تعقيبه عليها بالرفض في معظم الحالات ، فتلك موافقة ضمنية وإقرار بصحة تلك الآراء مهما ادعى هو غير ذلك . وفي بعض الحالات النادرة جداً ينفي وجود بعض الصفات السيئة التي قال بها أقرانه ، ويؤكد على وجود عكس ما قالوا به ، وقد ينسب ذلك لعدم تعمق هؤلاء المستشرقون في الدراسات العربية ، واعتمادهم على دراسات سابقيهم من الغربيين فقط .

وفي بداية كتابه الضخم "الإسلام والغرب" ذلك الكتاب الذي طبع عدة طبعات ، في ١٩٦٠م ، وفي عام ١٩٦٢م ، وكان آخرها في عام ١٩٦٦م . كتب ذلك الكاتب مخاطباً جمهور القراء المسلمين قائلاً "آمل من القارئ المسلم أن يراعي بعض الأشياء في هذا الكتاب ، فما ذكرته من أخطاء هي لمجرد تحقيق يقظة للذاكرة Revive The Memory في جملة من الأمور قد يكون بعضها سخيف وغير سار لدينهم ونبيهم ، حيث أن الهدف الأساسي لي كان علمياً في إنشاء سلسلة من الوقائع ، وهذا ما أومن به ولا أحتاج إلي تبريره أو تعديله " (1) .

وفي الفقرة السابقة يتبين لنا أن "دانييل "مقتنع أشد الإقتناع بما أورده في ذلك الكتاب الخطير الذي يوجهه إلى المسلمين ، فهو يتوجه إليهم بالرجاء ألا يحزنوا أو ينزعجوا مما جاء به من حقائق ــ من وجهة نظره ــ لأنه ليس على استعداد لتغييرها حتى وإن أغضبهم ذلك ، لأنه يؤمن بها أشد الإيمان ، مما يدل على عدم تقديره للمشاعر الإنسانية للآخر ، والتي سيتسبب فيها كتاب مثل هذا وآراء مثل تلك التي أوردها فيه . وعندما يذكر ما يسميه "تحقيق يقظة للذاكرة" لدى المسلمين ، فمن المؤكد أنه يقصد أن تلك الوقائع والأحداث التي سيوردها في كتابه هذا هي وقائع وأفكار حقيقية بالفعل ، وكان المسلمون يعلمونها جيداً فيما مضى ولكنها قد غابت عن أذهانهم الآن ، وهذا بالقطع غير صحيح .

وإذا كانت النزعة الإنسانية تهتم بالحرية الدينية والحرية في الإعتقاد والحرية في التعبير عن تلك الأفكار ، والإهتمام بالإنسان كإنسان بغض النظر عن جنسه ولونه ودينه ، نجد أن "دانييل" ليس لديه منهج محدد المعالم ولا اهتمام ظاهر بالإنسان على عكس "جارودي" ، وبالإضافة إلى ذلك نجده يزدري الدين الإسلامي ورسوله ﷺ ، ويتهكم عليهما بالآراء التي

(1)- Norman Daniel : Islam and The West " The Making Of an Image, Op . Cit , p . v.

يوردها في كتابه "الإسلام والغرب" وتأكيده في بداية الكتاب أنه لن يغير وجهة نظرة تلك لأنه مؤمن بها . فنجده مثلاً فيورد رأي للكاتب "وليم William " وهو مستشرق متخصص في الشرق الأوسط والإسلام والدراسات الإسلامية ما يزعم فيه بجنون النبي ﷺ . وهذه الأقوال ليست جديدة علينا ، فقد وصف بها النبي عليه الصلاة والسلام منذ القدم . كما قال دانييل "إن النصرانيين Christians اعترضوا على الجراءة التي زعم بها "محمد" ﷺ(*) وبدعواه أنه نبي ويوحى إليه .

وقد قال "وليم " إن في تجرؤ "محمد" وزعمه كذباً بالنبوة دليل على جنونه "Madness" ، وإلى هنا ينتهي كلام "وليم" ويعقب "دانييل" قائلاً "وإلى ما في هذا التصريح من جرأة فإن "وليم" قد شرح أن "محمداً" إدعى أنه مرسل من قبل الله سبحانه وتعالى ، وأنه لاحظ أيضاً السذاجة التي صدق بها الناس ذلك الوحي (1) " وقد وافق هذا الرأي أيضاً المستشرق "دي بور" والذي كان يتعمد الحديث عن الإسلام تحت مصطلح "المحمدية" ، وكان يستشهد بالآيات القرآنية باعتبارها من أقوال وأفكار سيدنا محمد ﷺ فالإسلام لم يتضح في فكر"دي بور" إلا كونه ليس ديناً سماوياً بقدر ما هو واقع تاريخي وحركة بشرية (٢).

وقد صُدم "دانييل"ـــ حسب زعمه ـــ بسبب عدائية هذه الأقوال وطابعها المتحيز وغير المنصف ، وأراد تصحيح الوضع ، وإقامة حوار بين النصارى والمسلمين بدلاً من القطيعة والعداء . ولكن بما أنه كان نصرانياً كاثوليكياً فإنه كان يأمل في تحويل بعض المسلمين عن دينهم لكي يعتنقوا النصرانية (٣)، وهذا التحول في نظره هو ما يحقق أهداف الحوار المنشود بين الغرب والإسلام !!. فهل هذا يعبر عن الحرية المنشودة والتي يطالب بها الغرب ؟

٢- صور الإنسان المسلم لدى الغرب:

ينبغي العلم بأن النصارى الأوروبيين في القرون الوسطى صوروا مقاطع عديدة من القرآن الكريم ولم يفهموه على حقيقته ، كما أنهم قدموا صورة مرعبة عن المسلمين وعن طقوسهم وشعائرهم ، فقالوا مثلاً أنهم ميالون للنهم والشره ، وإنهم همج وبرابرة ... ، والغريب أن

(*)- بالقطع لا يصلى "دانييل" على النبي ولا يسلم عليه ولا على باقي الرسل ، ولكن الباحث يستحي ألا يصلى ويسلم عليهم ، لذا فالباحث هو الذي يضيف دائماً تلك الصلاة والتسليم في جميع المواضع .

(1)- Ibid , p.17 .

(٢)- د. احمد عبد الحليم عطية : دراسات أخلاقية ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠١ ، صـ٢٣ .

(3) -http://www.albeed.com/vb/showthread.php?t=66013 .

المستشرقين اختاروا صوراً محددة من داخل المجتمعات الإسلامية ولم يتورعوا عن الإستشهاد بالخرافات والحكايات لتسويغ صورة غير صحيحة عن العالم الإسلامي (١). ويعد أن ظهرت حركة الحوار الإسلامي وكثرت الندوات والمؤتمرات بين الطرفين وتعرف النصارى على المسلمين ، والمسلمون على النصارى ، وتناقشوا في قضايا عقائدية وسياسية كثيرة ، يمكن القول أنهم حققوا تقدماً لا يُستهان به منذ ثلاثين سنة وحتى اليوم ، وفي بعض الأحيان يبدوا للبعض أن لغة التفاهم والتواصل حلت محل لغة العداء والكره وسوء فهم الآخر (٢).

ولما كان الخطاب النصراني المضاد للمسلمين شائعاً بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر من أجل تبرير الحملات الصليبية على الشرق الأوسط ، فإن الخطاب الاستشراقي الحديث لعب الدور نفسه في القرنين الماضيين من أجل الهيمنة على المنطقة من خلال الإستعمار، والفرق الوحيد بين المرحلتين هو أن الأوروبيين كانوا أضعف من المسلمين عسكرياً وثقافياً وحضارياً إبان العصور الوسطى ، هذا في حين أنهم أصبحوا أقوى منهم بما لا يقاس في القرن التاسع عشر والعشرين . ويلاحظ أن تلك الصورة التي شكلها النصارى الأوروبيون عن المسلمين بين القرنين الثالث عشر والسابع عشر قد رسخت مجموعة مفاهيم مشوهه لا تزال تتحكم بالوعي الغربي في هذه اللحظة ، وهذه الصورة المشوهة تشمل العرب والمسلمين والأتراك والشرقيين بدون أي تمييز (٣).

ومن المعلوم أن نصارى أوروبا شكلوا صورة خيالية عن المسلمين من خلال الصراع والتنافس والخصومة التاريخية وهي صورة غير واقعية وغير حقيقية ، لأن الهدف الأساسي من ذلك كان تشويه الخصم من أجل محاربته بفعالية أكبر بتجميع النصارى حول هدف مشترك والإنشغال عن الخلافات الداخلية بمحاربة المسلمين ، وقد أكد المؤرخ المشهور "آر.دبليو.سذرن" "R.W. Southern" أن تلك الصورة قد تغيرت قليلاً من جيل إلى جيل (٤). ويستشهد بنورمان دانييل" والذي قال: إن العمل على وصم حياة محمد بالعنف والفساد كانت جزء هام من الدعاية والحرب الكلامية النصرانية . وكلما تركز الإسلام واتسع نفوذه ، كلما ازدادت الحملة عليه من الكتاب الغربيين" وهي حملة لم تلتزم الإنصاف والقواعد العلمية ، وإنما السخرية والتهجم بهدف سحق الخصم بصرف النظر عن الحقيقة ، هذا على الصعيد الفكري "النظري" ، أما على

(١)– د. فاروق عمر فوزي ، مرجع سابق ، صـ ١٧٩ .
(٢)– المرجع نفسه ، صـ ١٨٠ بتصرف .
(٣)– الموضع نفسه.
(4)–http://www.dialogue-yemen.org/ar/modules.php?name=Sections&op=viewarticle&artid=32.

الصعيد العسكري فكان الأمر أكثر سوءاً ، ذلك أن الإمبراطورية الرومانية لم يرق لها انتشار الإسلام في مقاطعات عربية كانت تعتبرها جزءا من أملاكها ، فقامت بتحريض القبائل المجاورة ، بل هاجمت الجزيرة العربية في عدة مواقع كمؤتة ، وتبوك ، مما أدى إلى نشوب حرب شاملة في الشرق العربي على النحو المألوف ، وكان طبيعياً أن يصور كل فريق خصمه في أبشع الصور ، ... ، وحين تكون دولتان في حرب أو تتوقعان حرباً بينهما ، فإن الإتجاه يكون التركيز على ما يفرق بينهما ، وخصوصا في مجال العقائد والحياة اليومية"(١) .

ويورد دانييل بعد ذلك رأي أحد المستشرقين الذي قال "إن هناك توجه عام على أن الإسلام يمكن أن يعامل بسماحة في الخفاء وأن الحل الوحيد والأخير له هو التدمير" Destruction(٢). وينبغي العلم بأن هذه الصورة لا تزال شائعة عن العرب والمسلمين في الغرب في هذه اللحظة ، وكثيراً ما تنشطها وسائل الإعلام من تلفزيون وغيره ، لكي تشوه صورة المسلمين أكثر، وبالتالي فيمكن أن نردد المقولة التالية "ما أشبه الليلة بالبارحة" ! وكل ذلك يتم حاليا بحجة محاربة الإرهاب . فمنذ العصور الوسطى كان النصارى يعتقدون آنذاك أنه لا يمكن أن يوجد في العالم إلا دين واحد صحيح ، وهذا الدين هو النصرانية في رأيهم . وهنا يكمن الفرق بين عقلية الناس في العصور الوسطى وعقليتهم في العصور الحديثة(٣).

ولقد صُدم النصارى صدمة كبيرة بعد ظهور الإسلام ونجاحه في تحقيق الفتوحات الكبرى ، التي شملت مناطق واسعة كانت نصرانية سابقاً وملك الإمبراطورية الرومانية ، من سوريا إلى اسبانيا ، أصبحت تحت سيطرة المسلمين ، بل ووصلت خيول العرب إلى جنوب فرنسا وايطاليا ، وفتحت القدس ... كل ذلك رأى فيه النصارى «نكبة كبرى» أو مصيبة لا يستحقونها فكيف يمكن أن يحدث مثل هذا لهم وهم الأقرب للإيمان الصحيح بحسب إعتقادهم ، فإذا كان دينهم هو الوحيد الصحيح ، فلماذا تغلب الدين الإسلامي عليهم في سوريا وفلسطين ومصر وبلاد فارس وفي حدود بيزنطة والروم ؟ ولكنهم برروا ذلك بكونه اختباراً من الله تعالى لهم ، ويؤكد على ذلك "دانييل" ببعض الأكاذيب حيث قال "إن الإسلام قد حكم بفاعلية جزءاً كبيراً من العالم الذي نازعه وجادله بكل أنواع الأديان . والإسلام بهذا لم يكن تاريخياً فقط اللص أو السارق

---

(1) - Norman Daniel : Islam and The West , Op. Cit . p . 22 .

(2) – Ibid , p .118.

(٣)– جون ف. تولان ، مرجع سابق ، صـ١ .

الكبير للمقاطعات النصرانية التي فقدتها الكنيسة ، بل كان العقبة الأكبر تفرداً في طريق وحدة العالم"(1).

ويؤكد البروفيسور "جون .ف. تولان" على أن الغيب بالنسبة لجميع الناس في القرون الوسطى كان هو المحرك الوحيد للتاريخ ، ولهذا السبب فإن اللاهوتيين النصارى وقعوا في حيرة من أمرهم ، فإذا كان الله سبحانه وتعالى قد نصر المسلمين فهل يعني ذلك أن عقيدتهم هي الصحيحة وعقيدة النصارى خاطئة(2) ؟ ، وهكذا بدأ الشك يتسرب إلى نفوس النصارى ولكنهم حاربوه عن طريق القول بأن الله عز وجل إذا ما أحب عبده امتحنه واختبره وابتلاه . وهكذا حلوا المشكلة الصعبة أو عزّوا أنفسهم عن طريق اللجوء إلى تأويلات وأخبار موجودة في كتبهم القديمة»(3). وحتى فلاسفتهم أيضاً وجدوا التبرير المناسب المقنع لهم في هذا المجال ، حيث صوروا هذه المعاناة التي يعانيها النصارى وتلك الآلام بالإختبار من الله تعالى للعبد الذي يحبه فهذه الآلام هي أداة للتطهير، لأن هذه الآلام هي الكفيلة وحدها أن توجه تفكيرنا إلي القيم والمثل العليا والأخلاق السامية الرفيعة والعبادات التي خلقهم الله من أجلها(4).

ومن المؤكد أن الغرب يستعمل الإسلوب العلمي في التنصير عموماً والاستشراق خصوصاً لمحاربة الإسلام وأهله ، ولذا أدرج الاستشراق ضمن العلوم الإنسانية المتعددة الأساليب والأهداف . وبما أن الدراسات الإنسانية الحديثة أثبتت أن الفكر الإنساني منظماً بطريقة إنسانية ، فمن المؤكد أن هناك مناهج مختلفة يمكن تمييزها بعضها عن بعض ، فالدراسات الإنسانية الآن أصبحت تستخدم الإسلوب العلمي ، وماهية المنهج العلمي تكمن في العلاقة الحميمة بين التنظير والخبرة (5). وهم بهذا يستخدمون كل الوسائل والإمكانات العملية والنظرية لمحو الإسلام وأهله.

وبما أن "دانييل" مستشرق فإنه يتفق في معظم أرائه مع باقي المستشرقين ، وإن كان يختلف معهم في المنهج والطريقة ، إلا أن الهدف النهائي واحد للجميع ، ألا وهو تحويل المسلمين عن هويتهم الإسلامية وعن دينهم كي يصبحوا نصارى ، و من الشعارات التي يرفعها المستشرقون

---

(1)- Norman Daniel : Islam and The West , Op. Cit , p . 193 .
(2) - http://www.albeed.com , Op .Cit .

(٣)- جون ف. تولان ، مرجع سابق ، صـ ١٣٠ .
(٤)- د. إبراهيم مدكور : المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ ، صـ ٢١٣ .
(٥)- هـ .ب .ريكمان : مرجع سابق ، صـ صـ ٢٠٠- ٢٠١ .

عموما يستنتج البعض أن لديهم نزعة إنسانية كبيرة ، وحب للإنسان وتضحية من أجـل بقائـه وحريته ، بغض النظر عن لونه وجنسه ودينه ، لذا نجدهم يقـدمون العـون حتـى للمـسلمين المنكوبين الذين يخالفونهم في العقيدة في كل مكان ، وما أكثرهم اليوم وما أكثر تلك الأماكن .

ولكنهم يدسون السم في العسل بهذه الخدمات الإنسانية ، فمن أهم أقوالهم : التبشير ، السلام ، الديمقراطية ، الإنسانية . . . فالخدمات الإنسانية مثل الإغاثة ، والطب ، والمساعدات من أهم ما يتوسلون ويتوصلون به . فهم يحملون الإنجيل بيد والعلاج باليد الأخرى ، بل إن الكـوارث التي تقع في البلاد الإسلامية هي فرصتهم السانحة يفرحون بها لأنهم من خلالها يلتقطون مـا يريدون ، ويضعون الحب ليصطادوا به الضحايا . وقد ساعد على تفعيل هذا الإسلوب عامـل الحاجة للعلاج وكثرة إنتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة في البلاد الإسلامية خصوصاً مع مرور زمن ندر فيه الأطباء المسلمين ، بل فقدناهم أصلاً في بعض البلاد الإسلامية [1]. بل والـسعي للقضاء عليهم كما يحدث الآن في العراق وغيره من بلاد الإسلام ، مما اضـطر كثيـر مـن المسلمين للهجرة من بلادهم سواء هجرة العمل أو هجرة البلد ، حسب قـول وكـالات الأنبـاء العالمية .

وهذا مرجعة الأول إلي أن الغربيين لم يعد لديهم أخلاق إنسانية يعتدوا بها ويسيرون علـى نهجها ، وكان ذلك ولا يزال في الغرب حتى يومنا هذا ، لذا نجد أنه حتـى علـى المـستوى النظري أن الفلاسفة الغربيين لم يلبثوا أن حولوا اهتمام فلاسفة الأخلاق إلى اللغة المستخدمة في تلك الكتابات بدلاً من الإهتمام بما فيها من أخلاقيات وروحانيات ، فـراح الفلاسـفة يحللـون القضايا الأخلاقية ، ويكشفون عن طابعها الوجداني ويقارنون بينها وبين اللغة المستخدمة فـي المنطق أو في العلم فقط [2].

وذلك الحقد على الإسلام وأهله بسبب فشل الغرب في أن يسترد المقاطعات النصرانية التي أخذها منه الإسلام ولكنه استطاع رد الإسلام عن أوربا وطرده من أسبانيا ، وذلك بفضل العقيدة النصرانية الثابتة والتي لا تتزعزع حسب رأي "دانييل" حيث يقول " قد رأينا كيف كانـت ردود الفعل الأوربية أثناء قرون الصراع ، ففي البداية المحاربة مع القوة (ويقصد بها فترة الحـروب الصليبية) ، ثم استعادة الحق والعبور إلى مرحلة الهستيريا العدوانيـة (ويقـصد بهـا فتـرات

(١)- مجلة التوحيد ، تصدرها جماعة انصار السنة المحمدية ، عدد ٤٠٦ ، السنة الرابعة والثلاثون ، مطابع الأهرام التجارية ، شوال ، ١٤٢٦ ، صـ ٣٤ .

(٢)- د. إبراهيم مجكور ، مرجع سابق ، صـ٧ .

الاستعمار) ، قبل الإرتداد والإنتكاس أخيراً في الخمول ومجرد العمل في العقل (وربما يقصد بها الحرب الفكرية والحركات التنصيرية) ، وقد رأينا الفشل في استعادة المقاطعة الشرقية للنصرانية وفشل أوربا في تأسيس مستعمرة Levantine لها في الشرق ... ، وقد رأينا كيف أن الهوية الأخلاقية لأوربا قد بقيت بواسطة الأرثوذوكسية ... وكيف أن الدين نفسه أصبح هو المعبر عن الهوية " (١).

٣- مخالفته لآراء الإنسانيين :

ونرى هنا مدى الرغبة لدي "دانييل" من العودة إلي الدين الحق في رأيه وهو الأرثونكسية ، وتنصير العالم كله ليدين بها ، كي يرتاح العالم ويستقر ويعم السلام ، فلا بد من التمسك بالدين ، وهذا ما يخالف آراء الإنسانيين ، حيث أن رجال القرن الثامن عشر من الإنسانيين قالوا أنه لا خروج من مرحلة الإضمحلال التي كانت تعيشها أوربا إلا بالعودة إلى طلب السعادة الأرضية ، تلك السعادة التي لا تتم إلا عن طريق التربية السليمة ، ونبذ الدين وخرافاته ، أي الأساطير ، والتصورات الغامضة ، وكان الفيلسوف الفرنسي "بليز بسكال" من أهم المناديين بهذا (٢).

وقد خالف المستشرقون وعلى رأسهم "دانييل" الإنسانيون حيث رأوا أن الدين هو العامل الأساسي المؤثر في حياة الشعوب وفي السيطرة عليها ، ولذا يسعى الغرب جاهداً إلى "حرب العقيدة" ، ولذا يسعى لتنصير العالم بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة ، من هنا توصل الأوربيون إلى أن الدين هو العامل الأساسي والمؤثر في حياة الشعوب وفي السيطرة عليهم لذا يسعي الغرب جاهدا إلى "حرب العقيدة" ويسعى إلى تنصير العالم كله عامة والمسلمون بصفة خاصة .

ومن الأمثلة على ذلك أن منظمة الصليب الأحمر الدولية وهي منظمة إغاثة عالمية كبرى ، تقدم العون والإغاثة للمسلمين المنكوبين والتي تؤخذ من جيوبهم بالقرش والريال ، فتقوم أحياناً بتوزيعها على مسلمين آخرين في بلادهم ، ففي بنجلادش مثلاً قامت منظمة الصليب الأحمر بتوزيع بعض الإعانات – التي دفعتها دول إسلامية – على المسلمين هناك ، ضحايا الفيضانات وغيرها ليتنصروا بها . وهذه وصمة عار تلحق المسلمين ، ووصمة عار أيضاً تلحق النصارى لأنهم يستغلون ضعف الإنسان وحاجته وفقره من أجل الضغط عليه لتغيير دينه . وذلك بدلاً من

---

(1)- Norman Daniel: The Arabs and Mediaeval Europe, Op . Cit , P. 303 .

(٢)- د. راويه عبد المنعم عباس : الأخلاق عند بليز بسكال "فلسفة الإنسان" ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦ ، صـ ١٠ .

تركه بحريه يمارس شعائره وطقوسه ومعتقداته وآراءه الدينية والفكرية دون ضغوط كما يطالب أصحاب النزعة الإنسانية . وقد وقف الدكتور "بيتر مكوليا" ضد ردة الفعل التي توجد لدى المسلمين ويسميهم "الجيران" مسانداً الإستغلال النصراني للكوارث من أجل ذبح نصارى جدد ، فقال "نحن أولاً دوافعنا للمساعدة دوافع إنسانية ، فنحن نلبي نداء المسيح الذي أمرنا أن نمسح على جراح المجروحين". وثانياً : "نحن نعالج الحاجات كلها ، الحاجات الظاهرية والباطنية ، فنعالج الفقير بالطعام ، والمريض بالدواء ، والعاري بالكساء ، وأيضاً نعالج الضال بالهداية التي نعطيها له من الكتاب المقدس" (يعني الإنجيل) ، ... والشفاء نوعان : شفاء طبيعي ، وشفاء فوق طبيعي ، فنحن نقدم لهم بيد الشفاء الطبيعي بالقارورة ، ونقدم لهم باليد الأخرى الشفاء فوق الطبيعي وهو الدعوة إلى النصرانية [١].

ويدلل "دانييل" على ذلك بقولة عن أحد المستشرقين لأحد المسلمين والذي كان يمارس التنصير معه "إنني أدعوك وأخاطبك ليس كما يخاطبك أي أحد آخر بالسيف أو بالأيدي ، ولكن بالكلمات ، وليس بالقوة ولكن بالحجة ، وليس بالكراهية ولكن بالمحبة "[٢] .

وليس خافياً على أحد أن الأمم المتحدة بمنظماتها ، والبنك الدولي ، ومنظمة الصحة العالمية "الصليب الأحمر" ، واليونسكو وغيرها ، هي وسائل بيد مجلس الكنائس العالمي وعملائه المغروسين في أنحاء العالم . وهذه الإرساليات التبشيرية متعصبة وشديدة التحكم في الناس وتجبرهم على النصرانية من خلال المساعدات الإغاثية ، ففي إحدى المرات إشترطت إحدى المؤسسات إهتمامها برعاية مرضى من رعاة البقر من قبائل "الفولانيين" في غرب إفريقيا ، قبل العلاج أن يسمح لهم بالدعوة لتنصير المرضى المحتاجين للعلاج وللمساعدة. وقد فعلوا ذلك في الصومال ، فاشترطوا على من يتلقى الطعام في مجاعة الصومال أن يستمع للمنصرين ، أو يأخذ مع الطعام منشورات تنصيرية كما أشار إلى ذلك "روبرت مكفرسون" ، فسخط الصوماليون وقاموا بنهب الطعام ، ثم أحرقوا الشاحنات التي كانت تحمله [٣] .

وبهذا يجبر الغرب الناس إما علي اعتناق النصرانية كما حدث في بعض الفترات في أسبانيا بعد استيلاء الغرب عليها ، أو الإستماع إلى المنصريين وقراءة نشراتهم وتعاليمهم في البلاد المنكوبة ، أو الحرمان من الخدمات الإنسانية المقدمة لهم . فأية إنسانية تلك التي يتحدث عنها

(1) –http://www.albeed.com , Op . Cit .

(2)- Norman Daniel : Islam and The West , Op .Cit , P.118 .

(3) – http://www.albeed.com . Op .Cit .

الغرب وأي مبادئ وأي أخلاق يعلنون عنها وأي حرية يطالبون بها ، ذلك أن الحرية هي القدرة على الإختيار بين البدائل ، وذلك الإختيار هو الذي يعلن ويثبت وجود الذات الإنسانية وكونها كياناً خاصاً متفرداً ، فلا ذاتية بغير تفرد ولا حرية بغير ذاتية ، فالذات بالقياس إلى الذات الأخرى هي غير، كما أن البديل هو "غير" بالقياس إلى بدائل أخرى (١) .

ولا يضع الغرب أمام الأفراد المقهورين والمغلوبين على أمرهم بدائل فإما أن تتنصر أو تحرموا من المعونات الإنسانية ، التي ربما يكونوا في أمس الحاجة إليها . بينما المفترض أن المعونات الإنسانية تقدم بدافع إنساني ، وليس الهدف من ورائها المصالح الخاصة للغرب ، فينبغي على الإنسان السعي للحصول على الفضيلة ، لأنها قيمة بذاتها ويتجنب الرذائل لأنها شرٌ بذاتها ، فالفضيلة التي تصنع بغية ثواب مغاير لها ليست فضيلة بل وغير إنسانية ، يشهد بذلك أننا جميعاً نعتبر الفعل النزيه أجملُ من الفعل النفعي والثواب الحق هو الفضيلة نفسها وما يترتب عليها من رضا وراحة معنوية (٢).

وبهذا يتضح أن النزعة الإنسانية لدى "دانييل" ومن على شاكلته من المستشرقين تنصب على الاهتمام بالإنسان النصراني فقط ، دون غيره من البشر، وإن كان هناك اهتمام بالإنسان الآخر لديهم فسبب الإهتمام راجع إلي أنهم يريدون تنصيره ، وذلك بكافة الوسائل المختلفة والضغط عليه سواء بالمعونات الإنسانية أو المادية أو غيرها والهدف النهائي لهم هو إقصاء وإزالة وتدمير الآخر، وذلك الآخر هو المختلف عنهم في الدين ، هذا بالرغم من وقوف معظم أهل المستعمرات الغربية في الشرق مع مستعمرهم في الحرب العالمية الثانية والإحتكاك المباشر بينهم مما أكسب الطرفين معرفة أكثر بطبيعة حياة وظروف كل طرف (٣).

وبالرغم من هذه المساعدات والديون الكثيرة التي يدين بها الغرب للعالم الثالث نجد رد الدين بتلك الصورة ، مما يعني عدم الالتزام بالمعايير التي أقرتها النزعة الإنسانية ، طبقاً للإعلان التاريخي لها ، ولا حتى تطبيق أي من بنود الإعلان العالمي لحقوق الإنسان . ويمكن القول بعد هذا العرض للنزعة الإنسانية لدى "جارودي ودانييل" أن الفارق بينهما كبير سواء في الإهتمام بالنزعة الإنسانية ، أو بطبيعة التعامل الإنساني مع الآخر فإذا كان "جارودي" قد أفصح

(١)– د. عزت قرني : تأسيس الحرية ، مقدمة إلي أصوليات الإنسان ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ ، صـ ١٣٠.

(٢)– كريم متى : الفلسفة الحديثة "عرض نقدي" ، منشورات جماعة قاريونس ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، صـ ١٥ .

(3)-Report of Interdepartmental Commission of Enquiry on Oriental , Slavonic , East ,East ,European and African , Studies , London , 1947 , p . 26 .

لنا عن منهجه الإنساني متمثلا في إعلانه لحقوق الإنسان ولكل إنسان نجد "دانييل" قد قصر هذه الحقوق على الإنسان الغربي فقط ، وإذا أراد الآخر أن تكون له حقوق فعليه أولاً أن يتخلى عن حريته الإنسانية والإعتقادية وأن يتحول إلى النصرانية ، وبهذا فالفارق كبير بين كلٍ منهما ، بين مفكر يطالب بالحرية الإنسانية للبشر بعامة ، وآخر يقصرها على بني جلدته فقط ، بل ويطالب الآخر بالتخلي عن إنسانيته وحريته الخاصة .

الفصل الثالث

طبيعة علاقة الغرب مع الآخر لدى جارودى ودانييل

تمهيد :

من المؤكد أن العصر الذي نعيش فيه يمر بمرحلة خطيرة جداً ، وربما سيكون المستقبل أخطر بكثير ، ذلك لما يمر بالعالم من أزمات سياسية واقتصادية وأخلاقية ودينية ، وكل هذه الروافد من المشكلات تصب في النهاية في مصب واحد ألا وهو إفناء العالم ونهايته . لذا دأب الفلاسفة في مختلف العصور على مناقشة قضية العلاقة مع الآخر ، كما أدلى كل من "جارودي ودانييل" أيضاً بدلوهما في هذا الموضوع . ولقد تناول "جارودي" هذا الموضوع من خلال تحليله لإسطورة شعب الله المختار ، ولبعض مظاهر الهيمنة والغطرسة الغربية وعدائها للإسلام ومن أهمها العولمة والجات . وتناولها "دانييل" في ضوء طبيعة فهم النصارى للعقيدة الإسلامية ، وطبيعة القرآن ، وقوانين الزواج والطلاق ، والحروب الصليبية ، والجهاد .

أولاً :ـ "جارودي" :

يؤمن "جارودي" بأن الحضارة الغربية تقوم على كراهية الآخر والعمل الدائب على إبادته وتحقير إنجازاته ، وقد أوضح ذلك من خلال نقده لمناهج الغرب الفكرية ، والتي يزعم فيها الغرب أنهم هم أصحاب الحضارة ، وبهم بدأت وبهم تنتهي ، وأنهم أيضاً أصحاب المبادئ العليا الإنسانية والديمقراطية ، حيث قال "إنه منذ سنواته المدرسية الأولى ، يعلمونه أن أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد ، كانت بمثابة الأم والنموذج لكل الديمقراطيات ، وهذا ينسينا أن في أثينا في زمن "بركليس" كان هناك ٢٠٠٠ مواطن حر ، لكن أيضاً ١١٠ ألف شخص محرومين من كل حق سياسي(١) . كما وأن "أفلاطون" في جمهوريته لا يرى حلاً لمشاكل ذلك العصر إلا بالعودة لنظام الطبقات ، حيث التسلسل الطبقي الذي يضم السادة ثم العسكريين والسياسيين وهم الحرس ، ثم العامة من المزارعين والعبيد (٢). وفي أيام "سقراط" إنفصل الإنسان عن الإله والعالم الطبيعي والإنساني في الوقت ذاته ، فمن كان غير إغريقي أي من كان لا يتحدث اللغة ، تعد كلماته مجرد تهته لا آدمية ، ويعد همجياً (٣).

وهذا ما يؤكد وجود التفرقة العنصرية لدى اليونان ، وعلى تمجيدهم للصراع مع الآخر . وكان من أهم فلاسفتهم المؤيدين لفكرة الصراع مع الآخر هو "هيراقليطس"(٥٤٤/٤٨٣) ق-م .

---

(١)- روجيه جارودي : حفارو القبور "الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها" ، مصدر سابق ، صـ١٣٠ .

(٢)- جارودي : كيف صنعنا القرن العشرين ، ترجمة ليلى حافظ ، دار الشروق ، ط٢ ، ١٤٢١-٢٠٠١ ، صـ ٣٦ .

(٣)- المصدر نفسه ، صـ ٣٧ .

الذي أكد على فكرة التغيير والصراع الموجود في الطبيعة ، ذلك المبدأ الذي يخضع لــه كــل شيء في الكون حيث قال "إنك لا تستطيع أن تنزل النهر مرتين ، لأن مياهاً جديــدة ســتغمرك باستمرار" [1] . وهكذا فهم "هيراقليطس" أن التغير هو سر الحياة . و تقوم نظرية هيــراقليطس على التدفق أو الجريان theory of fluk ، وبالمثل فهو يشبه الأشياء بالنهر الجاري الذي تتغير مياهه باستمرار، فالعالم كله أضداد والتغير صراع Strife بــين الأضــداد[2] ، والنــار عنــد "هيراقليطس" هي عنصر الكون الأساسي ، تلتهم العالم بين فترة و أخرى ، فيعود العالم بعد ذلك عوداً مماثلاً لصورته السابقة ، وذلك خلال"دورات معينة من الزمان" [3] ، و أن الكون يحتوي بداخله على نار مستمرة ودائمة الاشتعال ، وسوف تستمر هكذا إلى أن يحترق الكون بفعل هذه النار [4] .

وقد جعل "هيراقليطس" في الطبيعة حركتين نازلة وصاعدة ، نازلة أساسها النار تتحول إلى بخار فماء ويتكاثف الماء فيعود إلى التراب ، أما الصاعدة فيتبخر التراب ويتحول إلى ماء ثــم يكون من الماء كل شيء ، والنار على كل الأشياء [5] . كما أكــد هيــراقليطس علــى أهميــة الصراع وذلك بقوله "الصراع أب لجميع الأشياء وملك على كل الأشياء ، فهــو يكــشف فــي البعض آلهة ، وفي البعض الآخر رجالاً ، ويجعل من البعض الآخر رجالاً أحراراً ، و من ثــم فهو يحدد سبب التمايز بين الناس ، ويحدد الــصراع إمــا العبوديــة أو التحــرر" ، و يؤكــد "هيراقليطس" أهمية الصراع قائلا " يجب أن نعرف أن الصراع هو العام وأن التنافر عدالة [1].

وبعد "هيراقليطس" بدأ الإنسان الغربي يعيش تغيراً كبيراً ، فمنذ ذلك الحين إنفصلت المادة عن علم الأخلاق ، أي الإنسان عن الله ، ففقدت الكلمات والأشياء معنى العلامات الإلهيــة [2] ، وبالتالي أصبح الصراع الذي يحدث هو صراع شامل في الطبيعة ، و بــين الآلهــة و البــشر أنفسهم ، و يمكن القول أن "هيراقليطس" يؤمن بفكرة الصراع والتنافر والتناحر وليس الــسلام

---

(١)- د. محمد علي أبو ريان ، د. علي سامي النشار : هيراقليطس فيلسوف التغييــر ، دار المعــارف ، القــاهرة ، ط١، ١٩٦٩ ، صـــ٩.

(٢)- د.عبد المنعم الحفني : الموسوعة الفلسفية ، مكتبه مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، بدون تاريخ ، صــ ٥٠ .

(٣)- د. فؤاد زكريا : نيتشه ، دار المعارف ، القاهرة ، سلسلة نوابغ الفكر ، عدد ١ ، ط٣ ، بدون تاريخ ، صـــ ١٣٨ .

(٤)- د.أحمد أمين ، د. زكي نجيب محمود : قصة الفلسفة اليونانية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صــ ٤١ .

(٥)- بولس سلامة : الصراع في الوجود ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صــ ٣٣ .

(٦) — د. عبد المنعم الحفني ، مرجع سابق ، صـــ ٥٠ .

(٧)- د. فؤاد زكريا : نيتشه ، مرجع سابق ، صــ ١٣٨ .

والسكون والهدوء ، وبهذا فلا بد من الصراع في الكون ، وبين البشر ، وبالتالي الحرب مع الآخر، وليس الحوار معه .

وبصفة عامة فقد فرق اليونان بين الأفراد اليونانيين والأجانب غير اليونانيين ، حيث اعتبروا الأجانب مجرد برابرة غرباء ، ليس لهم الحقوق التي لليونانيين ، وقد أكد "أفلاطون" في "الجمهورية" أنه عندما تكبر الدولة وتصبح الأرض التي كانت تكفي لإطعام ساكنيها ، أضيق وأقل من أن تكفيهم ، عندئذ نضطر للتعدي على أرض جيراننا ،إن شئنا أن يكون لنا ما يكفي للزرع والرعي ، وإذاً فسوف تنشأ الحرب (١) .

كما كان اليونانيون يحتقرون العمل اليدوي ويتركونه للعبيد الذين هم بالطبع غير يونانيين ، فاليوناني مخلوق أعلى من ذلك بكثير، وكانوا يوكلون إليهم أعمال الحرث والزرع وغيرها من الأعمال التي يحتقرها اليونانيين . "كما كانت هناك جرائم قتل جماعية للعبيد "الهيلوت"على أيدي الشبان الإسبرطيين كنوع من الرياضة ، وكان الإسبرطيين يعاملون العبيد بطريقة غير إنسانية ، فكانوا أحياناً يجبرونهم على الشرب حتى يسكروا ، ثم يقودونهم إلى القاعات العامة ، ليبينوا للشباب الإسبرطي أضرار السُكْر ، وكانوا يأمرونهم بأن يغنوا أغاني وضيعة ويرقصوا رقصات مزرية ويفرضوا عليهم ألا يخالطوا أي إنسان مهذب ورقيق . وبهذه الأساليب الفجة يتم الفصل بين السلالتين (٢).

ولذا يرى "جارودي" أن هذه الديمقراطيات القائمة على ذلك هي ديمقراطيات قائمة على أكتاف الرقيق (٣). كما نسى اليونان ما استعاروه من أسيا ومن إفريقيا ومن باقي العالم ومن الإسكندرية ، وكانوا يعدون كل ما لا ينتمي للعالم الإغريقي وكل من لا يتكلم لغتهم برابرة ، خالقين بذلك من هذه العزلة الإصطناعية الهائلة إسطورة "المعجزة اليونانية" (٤).

هؤلاء هم اليونانيون الذين يفخر الغرب بأنه حفيدهم في التقدم العلمي والأخلاقي والإنساني ، ومن ذلك وغيره يتضح مدى التحقير لدى اليونانيين لغيرهم ولذا فهم من حقهم الإغارة على أرض الآخر وماله وكذا إستعباده ، وكأن ذلك الآخر ليس في نفس المرتبة البشرية التي

---

(١)- افلاطون : الجمهورية ترجمة د. فؤاد زكريا ، راجعها عن الأصل اليوناني د. محمد سليم سالم ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ ، صـ ٦٠ .

(٢)- ماريا لويزا برنيري : المدينة الفاضلة عبر التاريخ ، ترجمة د. عطيات ابو السعود ، مراجعة د.عبد الغفار مكاوي ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ١٩٩٧ ، صـ٧٧ .

(٣)- جارودي : حفاروا القبور ، مصدر سابق ، صـ ١٣٠ .

(٤)- جارودي : كيف نصنع المستقبل ، مصدر سابق ، صـ ٥٦ .

يتمتعون بها ، كما يرى "جارودي" أن النهضة الأوربية قامت على ظاهرتين أساسيتين وهما الرأسمالية و الاستعمار:

رأسمالية : أي مجتمع أدى إلى ظهور الإنسان ذو الهدف الأوحد الذي يتوقع أن يؤدي التطور اللانهائي للعلوم والتكنولوجيا إلى إشباع رغبته في السيطرة والمنفعة [1]. ويمكن القول أن الرأسمالية ما هي إلا محاولة إصلاح المذهب القائل بالسوق الحر باعتباره آلية منظمة لذاتها تتزايد فوائده وأضراره الإجتماعية وهزاله أيضا[2] .

واستعمار : أي مجتمع يزعم تحويل الإنسان الآلي إلى المعيار الذي يتم به تقييم كل شيء والمحور الوحيد للمبادرة التاريخية والمبدع الوحيد القادر على المبادرة التاريخية ، مستنكرا في ذلك ومدمراً كل الثقافات غير الغربية ، وجميع الأنماط الأخرى للتفكير والحياة [3] ، "وبطريقة أكثر إيجابية نستطيع القول إن تنمية الغرب كان شرطها الأساسي هو نهب القارات الثلاث واستنزاف ثرواتها لصالح أوربا وأمريكا الشمالية بالتبادل ، فالغرب هو الذي أدى إلى تخلف ما نطلق عليه اليوم العالم الثالث" [4].

ولقد لخص لنا "جارودي" موقفه من قضية علاقة الغرب بالآخر في إحدى فقرات كتابه "الإرهاب الغربي" حيث يقول "يبدوا بالنسبة لنا– نحن الغربيين – "أن طريق الهيمنة الذي أخذ اليوم إسم العولمة أضحي ممهداً جداً ، وهذا الطريق يضرب بجذوره إلى آلاف السنيين منذ أسطورة "الشعب المختار" التي بررت إبادة الآخرين ، حتى "الإمبراطورية الرومانية" التي ادعت أنها تضم في حدودها كل العالم المعروف ، وهذا ما سمته أوربا بـ"الحضارة" (كما لو كان ذلك حكراً عليها) كي تعطي نفسها الشرعية والحق في استعمار الشعوب الأخرى . أما قادة الولايات المتحدة فقد جعلوا مهمتهم ـــ التي كلفهم بها القدرـــ هي قيادة العالم لإقامة نوع من "العولمة" أي نظام وحيد خاضع لما سماه أحد منظريها بـ"قانون السوق" [5]. ومن الملاحظ في هذه الفقرة أن "جارودي" قد ركز في تناوله لطبيعة العلاقة بين الغرب والأخر على عدة محاور أساسية ألا وهي :

---

(١)– روجيه جارودي : الإرهاب الغربي ، ج١ ، ترجمة ليلى الطوخي ، د. ناهد عبد الحميد ، د. سامي مندور ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٢٤ – ٢٠٠٤ ، صـ ١١٦ .

(٢)– د. ياسر قنصوة : مفهوم الحرية في الليبرالية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ ، صـ ١٩ .

(٣)– روجيه جارودي : الإرهاب الغربي ، ج١ ، مصدر سابق ، صـ ١١٦ .

(٤)– المصدر نفسه ، صـ ١١٨ .

(٥)– المصدر نفسه ، صـ٤٩ .

١- أسطورة شعب الله المختار .

٢- الهيمنة والغطرسة الأمريكية .

٣- العولمة .

وبهذا وضع "جارودي" يده على لب الموضوع ببدئه بهذا العامل وهو "اليهود" الذين زعموا أنهم شعب الله المختار فهم الأساس الذي نشأت عنه معظم المصائب التي يمر بها العالم ، وهو العامل الذي ترتب علية ظهور الحركة الصهيونية واحتلال فلسطين . ثم الهيمنة الأمريكية على العالم ثم العولمة والجات كأهم ثمارها .

١- أسطورة شعب الله المختار :

يرى "جارودي" أنه قد ثبت لديه من خلال الكتابات الهيروغليفية في مصر والمسمارية في العراق أنه في نهاية الألفية الرابعة قبل الميلاد ، جاءت هجرات كثيفة من البلاد المجاورة إلى منطقة الهلال الخصيب ، وهي تمتد من العراق إلى مصر ، وكان "الآراميون" هم أول من وصل إلى تلك المناطق التي هي الشام الآن وشكلوا مركزاً حضارياً سمي "كنعان"، ثم جاءت هجرات البدو العبرانيين متأخرة ، واندمجوا بشكل عام سلمياً مع السكان الأصليين ، الذين لا يمكن مواجهتهم عسكرياً ، لأنهم كانوا متحضرين وأنشئوا المدن المحصنة [(١)].

وبهذا يؤكد "جارودي" أن تاريخ اليهود ما هو إلا إسطورة ليس أكثر ، في قولهم بأحقيتهم في أرض فلسطين التي وهبها الله لهم حسب زعمهم الباطل . ويدلل "جارودي" على ذلك برأي أحد العلماء المهتمين بالحفاظ على تاريخية التوراة مثل "ر.دي فو" الذي قال "لا نجد في أي مكان إشارة واضحة إلى العبرانيين ، أو إلى الإقامة في مصر أو الخروج ، أو حتى إلى غزو بلاد كنعان ، وفشلنا كثيراً في أن يقطع هذا الصمت أي أثار جديدة " [(٢)] .

ومن خلال قراءته لتاريخ اليهود توصل "جارودى" إلى أن (إسرائيل"الشعب المختار") خرافة لا تستند إلى أي أساس تاريخي . وإن إسرائيل الحالية لا تملك أي حق في الإدعاء بأنها تنفيذ للمشروع الإلهي كما تدعي . ومن الملاحظ أن "جارودي" يميز بوضوح تام بين الصهيونية والمعتقد اليهودي ، فالصهيونية عقيدة سياسية ، وهي مرتبطة بالحركة السياسية التي أسسها

---

(١)- المصدر نفسه ، صـ صـ ٥٠ - ٥١ .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ٥١ .

"هرتزل" عام ١٨٩٧. لكنه يرفض القراءة الصهيونية للتوراة وللأسفار التاريخية ، ويقول أنها القراءة التي تستخلص الفكرة الأكثر شراً في تاريخ الإنسان ، وينفي القول بالوعد المزعوم بـ"الأرض المقدسة" فيقول "هذه الأرض كأي أرض أخرى لم تكن موعودة لأحد بل هي بكل بساطة محتلة ؛ وبالتالي فليس لليهود أي حق في فلسطين ، وهم ليسوا "شعب الله المختار"، كما يدعون . ونلاحظ أن تلك الأسطورة قد استعارها الغرب من اليهود وطبقوها على أنفسهم فأصبحوا هم المكلفون بتنمية شعوب الأرض والحفاظ على الحريات والديمقراطيات في الأرض فهم الشعب المكلف من قبل الله تعالى بتلك المهمة [١].

فاعتقاد اليهود بأنهم شعب مختار وأن الله تعالى ـــ والعياذ به من تلك الإفتراءات ـــ "يبكي على ما فعلة خطئاً باليهود" ، يتماشى تماما مع اعتقاد الولايات المتحدة بأنها الأمة الأكثر قرباً من الله تعالى من أي أمة أخرى ، معبره عن هذا الإعتقاد في الشعار المطبوع على الدولار "نحن نثق بالله". والبلاد الأكثر قربا من الله "هي أيضاً ممثل الله على الأرض ، التي تحمل معها ثلاثة من صفات الله تعالي وهي العلم بكل شيء والقدرة الكلية والإحسان . وذلك يعني واقعياً المراقبة الإلكترونية على العالم كله وخصوصاً الذين يشك الغرب بأنهم حملة الشر ، ويعود للولايات المتحدة وحدها تقرير من الذي يدخل في طبقة الأشرار هذه [٢]. ولا حاجة لأن يكون هناك محكمة إستئناف طالما أن الولايات المتحدة تحتكر إصدار الأحكام . وهكذا فهي تمارس سلطة ثقافية ، وسلطة اقتصادية ، وسلطة عسكرية تحت إشراف "البنتاجون" والمخابرات المركزية . وتستحق إمبراطورية الشرء أن تُمطر بالقنابل ، حتى تعود إلى العصر الحجري .. وهذا واجب[٣] !!!.

ويعلق "جارودي"متهكماً : وأية ديانة يمكن أن تكون أسمى من اليهودية النصرانية ؟ ، أية عقيدة يمكن أن تكون أسمى من الليبرالية المحافظة بصيغتها الرأسمالية ؟، فلا يجوز لأية مؤسسة دولية أن تكون فوق الولايات المتحدة ، وينطبق هذا الأمر على الأمم المتحدة ، على الأقل ، لأن هذه المنظمة هي وسيلة الولايات المتحدة لممارسة نفوذها المسيطر على العالم كله[٤].

---

(١)- جارودي : كيف نصنع المستقبل ، صــ صــ ٢٠٤- ٢١٧ بتصرف .

(٢)- روجيه جارودي : الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، ترجمة مروان حموي ، دار الكاتب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨م ، صــ٢١١ .

(٣)- المصدر نفسه ، صــ ٢١٢ .

(٤)- المصدر نفسه ، صــ ٢١٣ .

وفيما يتعلق بترتيبية الأمم ، يسخر "جارودي" أيضاً من أمريكا فيقول "تقع الولايات المتحدة في القمة ، يحيط بها الذين يمثلون مركز العالم : الحلفاء الذين يتصفون على الأقل باثنتين من الخصائص الثلاثة التالية :

أ – اقتصاد حرية السوق .

ب – الإيمان بالرب اليهودي والنصراني .

ج – الإنتخابات الحرة .

وفي الطرف الثاني من هذا العالم ، المقسوم بين الخير والشر ، تتكون إمبراطورية الشر من البلدان التي لا تؤمن باقتصاد حرية السوق ، ولا بالإيمان (اليهودي – النصراني) ، ولا بالديمقراطية على غرار النظام الأمريكي[1] . فالولايات المتحدة تعتبر نفسها متحالفة مع الله ، والبلدان الأخرى متحالفة مع الولايات المتحدة ، ويتصف هذا التحالف بعلاقات خضوع المحيط للمركز ، وخضوع دول الغرب للولايات المتحدة ، وخضوع الولايات المتحدة لله ، هذا هو اللاهوت الغامض للسياسة الدولية للولايات المتحدة [2].

٢– الهيمنة والغطرسة الغربية :

أكد "جارودي" أن الهنود ، كانوا هم السكان الأصليين لأمريكا ، ومنهم قبائل "الأنكا" على سبيل المثال ، وقد كانت هناك أكثر من حضارة مزدهرة في تلك المناطق ، والذين فقدوا ٨٠% من عددهم بسبب التصفية العرقية ، ثم هُمش من بقى منهم ، وزُج بهم في "محميات" ، وبناءاً على ذلك يرى "جارودي" أن كل السكان الذين يعيشون في الولايات المتحدة هم من المهاجرين[3].

ومهما كانت أصول هؤلاء المهاجرين ، وحضاراتهم الأولى ، فقد جاءوا إلى أمريكا بحثاً عن العمل وكسب المال ، وسواء كانوا أيرلنديين أو طليان ، أو عبيداً سود ، غربوا عن مواطنهم الأصلية قسراً ، سواء كانوا مكسيكيين أو من بورتوريكو، فقد جاء كل منهم يحمل معه دينه وثقافته ، ولأنه لم يكن لدى هؤلاء المهَاجرين والمُهجّرين ديانة أو ثقافة مشتركة ، فقد

(١)– المصدر نفسه ، صـ ٢١٤ .

(٢)– المصدر نفسه ، صـ ٢١٥ .

(٣)– روجيه جارودي : الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٢١ .

كانت الرابطة الوحيدة التي تجمعهم ، تشبه ما يربط بين أفراد فريق يعمل في مشروع مشترك . حيث يشترك المنتج والمستهلك ، في غاية واحدة هي النمو الكمي للرفاة [1].

أما الهوية الشخصية ، الثقافية ، والروحية أو الدينية ، فهي مسألة خاصة ،أما الغالبية العظمى من هذا المجتمع ، فقد مات الله عندها ، لأن الإنسان في هذا المجتمع ، قد بُتر عن بعده الرباني ، وهو البحث عن معنى الحياة . وهكذا أصبح المكان خالياً ليحل فيه تشرذم الطوائف ، والخرافات ، وتسرب المخدرات ، وسموم الشاشة الصغيرة ، كل ذلك تحت غطاء طُهرية رسمية ، تَرضَى بكل أنواع التمييز ، وتبرر كل المجازر [2].

ويرى "جارودى" أن أول مراقب نافذ البصر لواقع الولايات المتحدة كان "توكفيل" الذي كشف عام ١٨٤٠م في كتابه ("الديمقراطية في أمريكا "حتمية آلية بناء الدولة") قائلا "إني لا أعرف شعباً يحتل فيه حب المال حيزاً كبيراً في قلوب الناس أكثر من هذا الشعب ، شعب يشكل تجمعاً من المغامرين والمضاربين" . وما زلنا اليوم ، قادرين أن نجد في تاريخهم أسس إنحطاط ثقافتهم [3].

ومن جهة العلاقة بالطبيعة نجد تشابها كبيراً جداً مع اليهود ، حيث لم تأخذ كلمة "الحدود" وعلى مدى قرن كامل ، نفس المعنى الجغرافي الذي أخذته في أوروبا . حيث كان الحيز المكاني بالنسبة لهم امتداداً مفتوحاً ، وبقي كذلك حتى نهاية القرن التاسع عشر ، حيث بلغ التوسع مداه بالوصول إلى المحيط الهادئ . عندها فقط أعلن عن " ترسيم الحدود" . كان هذا الفضاء الجغرافي مفتوحاً لكل أنواع السلب ، وأشكال الإبادة ، إبادة الغابات ، فقد اعتبروا أمريكا أرض الميعاد لهم ، وبهذا المبرر استأصلوا الإنسان أيضاً وسرقوا أراضيه . وانكبوا على التنقيب المحموم في مناجم الذهب والفضة . حيث تم سرقة ١٨٥ ألف طن من الذهب و١٦ ألف طن من الفضة [4].

أما العلاقة مع البشر الآخرين فكانت ذات طبيعة خاصة ، ففي البداية كان اصطياد الهنود للاستيلاء على أراضيهم ، دون أن يُترك لهم خيار ، غير خيار التصفية العرقية أو التصفية في

(١)- الموضع نفسه .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ٢٢ .

(٣)- نفس الموضع .

(٤)- جارودي : كيف نصنع المستقبل ، مصدر سابق ، صـ ٤٠ .

"المحميات" . وبعد ذلك ، ساد بين البيض أنفسهم قانون الغاب ، لاقتسام ثروات الهنود المسروقة ، وأراضيهم ، أو الذهب المأمول إستخراجه(١).

أما ما يتعلق بمعنى الحياة ، فقد تقلص إلى البعد الكمي للثـروة أو الأرض أو كنوزهـا . وطغى لبوس العظمة على هذه "الملحمة " العنصرية ، وسيادة قانون الأقوى في الحرب التـي شنها الجميع ضد الجميع . أما النصرانية ، فلم تلعب أي دور في العلاقات الاجتماعية القائمـة آنذاك إلا دور التبرير ، إضافة إلى مذابح الكنيسة الكاثوليكية في أمريكا اللاتينيـة التـي أفنـت حضارات متفوقة عرفت الصفر والحساب الفلكي الدقيق لأيام السنة والخسوف وفنون الزراعة وأقامت مدن منظمة في البيرو والمكسيك وهندوراس البريطانية (٢) .

ويشكل العنف الأكثر دموية والذي يرعاه نفاق ديني ، سمة دائمة فـي تـاريخ الولايـات المتحدة منذ تأسيسها . وقد حمل الإنجليز الذين نزلوا أمريكا ، معهم الإعتقاد الأشد فتكـا فـي تاريخ الإنسانية ، وهو الإعتقاد بفكرة "الشعب المختار" ، الـذي أعطـى الـشرعية لعمليـات استئصال السكان الأصليين واغتصاب أراضيهم ، وكأنه أمر إلهي ، إقتداءاً بالنموذج التوراتي ، نموذج "يشوع" ، حيث أوكل "رب الجنود" لشعبه مهمة ذبح السكان الأصليين في بـلاد كنعـان والإستيلاء على أراضيهم حسب زعم اليهود . وتماما مثلما فعل الأسبان الذين وصفوا تـصفية هنود جنوب القارة ، أنها عملية "تنصير" ، فقد استلهم الإنجليز سفر "يشوع" في مطاردتهم للهنود ، وسرقة أراضيهم ، وعمليات "الإستئصال المقدسة" ، على غرار ما ورد في التوراة (٣) .

ويؤكد "جارودى" أن هذا التعصب الديني بقي وراء السياسة الأميركية ليومنا ، ويستـشهد على ذلك ببعض الأقوال للمشاهير الأمريكان وعلى رأسهم الرئيس الأمريكي الأسبق "نيكسون" الذي قال "إن الله مع أمريكا ويريدها أن تقود العالم (٤) ، وكذلك "جـون آدمـز John Adams" الذي كتب في عام ١٧٦٥ :"لن أكف عن الإعتقاد بأن تأسيس أمريكـا لـيس إلا إرادة العنايـة الإلهية لتعليم وتحرير قطاع كبير من البشرية التي مازالت خاضعة للرق" ، ويقول كذلك "لقـد أوجدت العناية الإلهية أمريكا لتكون مسرحاً يحقق فيه الإنسان مكانته الخاصة" ، كما يستـشهد "جارودى" على ذلك أيضاً بأقوال الكاتب "هيرمان ميلفيل Herman Meliville" فـي القـرن

---

(١)- روجيه جارودى : الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٢٢ .
(2)- http://amjad-h2o.maktoobblog.com/?preDate=2006 .
(٣)- روجيه جارودى:الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٢٣ .
(٤)- جارودى : الإرهاب الغربي ، ج١ ، مصدر سابق ، صـ٦٩ .

التاسع عشر فيقول :"نحن الأمريكيون شعب خاص ، شعب مختار، إسرائيل عصرنا ، تقود سفينة الحريات" [1]. كما كتب أحدهم يقول "من الجلي أن الله دعى المستعمرين إلى الحرب ، حيث يركن الهنود إلى عددهم وأسلحتهم ، ويتربصون الفرص لإرتكاب الشر، مثلما فعلت قبائل "الأماليين" والفلسطينيين الذين تحالفوا مع آخرين ضد إسرائيل [2] .

ويعد "إعلان استقلال الولايات المتحدة" ، في ٤ تموز ١٧٧٦ ، في حقيقة الأمر مثال مذهل للنفاق الذي توحيه كلمة "الحرية" حسب المفهوم الأمريكي ، حيث ينادي الإعلان في سطوره الأولى "يولد كل الناس متساوين . وقد وهبهم الخالق حقوقاً غير قابلة للتنازل عنها : حق الحياة ، وحق الحرية ، وحق البحث عن السعادة" ، إلا أن "الحرية" الأمريكية تجلت بشكل آخر في الإحتفاظ بالرقيق الأسود قرناً كاملاً بعد الإعلان . واحتاج الأمر حرباً أهلية لتضع عام ١٨٦٥م نهاية لما كانوا يسمونه حتى ذلك الحين "المؤسسة الخاصة" ، أي بمعنى آخر"الرق" [3].

ومنذ تحرير العبيد لم يترك لهم مكان في المجتمع ، ولم يكن يسمح لهم بامتلاك واحداً فقط من الستين آربانت [♥] المسموح به للبيض . أما قوانين السود فقد أبعدت العبيد القدامى عن الحياة السياسية ، وهبط عدد السكان الهنود بحكم عمليات التصفية من عشرة ملايين إلى مسأتي ألف فقط ، وكأن الأمر أن الهنود هم الذين غزوا أرض المستعمرين ، لا أن المهاجرين من أوروبا ، هم الذين وفدوا ليغتصبوا أراضيهم ويدمروا حياتهم ، هكذا كانت السياسة الأمريكية الثابتة منذ ذلك الحين ، انطلاقا من "الخطيئة الأولى" بحق الهنود والأرقاء السود[4].

ويستشهد "جارودى" على ذلك بأقوال "سيمون بوليفار" ، أحد أبطال محاولات الإستقلال في أمريكا اللاتينية في أواسط القرن التاسع عشر حيث قال "يبدو أنه كُتب على الولايات المتحدة أن تقوم بتعذيب وإذلال القارة باسم الحرية" ، كما يستشهد "جارودي" أيضاً بأقوال "بتوكفيل" وغيره على بربرية المستعمرين تجاه الهنود الذين استخدموا أسلحة لا يمكن مقارنتها بأي مقياس بأسلحة الغزاة . والذي وصف بسخرية لاذعة ، وإنسانية دامية انتصار "الحرية" ، تلك المسيرة المظفرة للحضارة عبر الصحراء قائلا "في قلب الصحراء ، وفي أواسط الشتاء ، حيث كان

(١)- المصدر نفسه ، صـ ٦٩ .

(٢)- جارودى : الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٢٣ .

(٣)- الموضع نفسه .

(♥)- الآربانت : هو قياس فرنسي .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ ٢٤ .

البرد قارصاً جداً ، قام ثلاثة آلاف أو أربعة آلاف بمطاردة الأعراق البدوية من الموطنين الذين كانوا يفرون أمامهم ، حاملين مرضاهم وجرحاهم ، وأطفالاً ولدوا حديثاً ، وشيوخاً على حافة الموت" ، وتابع يقول "إن المشهد كان مثيراً ولم يُمح من ذاكرته أبداً [١].

ويقول"جارودي": "وفي فترة أقرب إلينا ، حدد "ودرو ويلسون" واجبنا الخاص ، تجاه كل شعب مستَعمَر ، وهو: "أن نعيد لهذا الشعب النظام والسيادة". وندربه على القانون والتعود عليه وإطاعته". وهذا يعني من الناحية العلمية الخضوع لـ "حقنا " في سرقة هذا الشعب واستغلاله . وشرح "ويلسون" باختصار الدور الذي تلعبه القوة الأمريكية في هذا المشروع قائلا : "انطلاقا من حقيقة أن التجارة ، ليس لها حدود قومية ، وانطلاقا من أن الصناعي يريد امتلاك العالم من أجل الأسواق ، فإن على علم بلاده أن يتبعه أينما ذهب ، وعلى الأبواب المغلقة للأمم الأخرى أن تخلع ، وعلى وزراء وسفراء الولايات المتحدة أن يمنحوا إمتيازات للأمريكيين أصحاب رؤوس الأموال ، حتى ولو أدى ذلك إلى إنتهاك سيادة الأمم الأخرى المتمردة . حيث يجب خلق المستعمرات أو الحصول عليها ، بحيث لا نهمل أو نتغاضى عن أصغر زاوية في العالم"[٢] .

ولما لا والولايات المتحدة وريثة أكبر دولة إستعمارية وكانت تطلق على نفسها الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس ، لاتساع رقعة مستعمراتها ، وكذا باقي الدول الإستعمارية الأخرى أدت إلى نهب هذه المستعمرات وإفقارها ، ولذا يقول "جارودى": "أدت خمسة قرون من الإستعمار إلى نهب ثروات ثلاث قارات وإلى تدمير إقتصادياتها ، وتكبيلها بالديون"[٣] . ويرى "جارودى" أن خير نموذج على ذلك هو الهند ، حيث عانت الهند المصائب الثلاث وهي :

١- خلق طبقة متميزة من العملاء يخدمون المستعمر نظير أجر عالٍ على حساب بقية الشعب .

٢- نهب خير البلد .

(١)- المصدر نفسه ، صـ ٢٥ .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ٢٦ .

(٣)- جارودى :حفاروا القبور ، مصدر سابق ، صـ ١٧.

٣- تسخير الإقتصاد كله لخدمة المستعمر ، بشكل يصعب الفكاك منه حتى بعد التحرر من الإستعمار .

ويستشهد "جارودى" على ذلك بأقوال السفير المقيم في "مورشيد آباد" في عام ١٧٦٩م الذي قال : "إن هذا البلد الجميل الذي كان مزدهراً في ظل أكثر الحكومات استبداداً وتعسفاً ، أصبح على شفا الخراب ، منذ اشتراك الإنجليز في إدارته ، كما يستشهد أيضاً بكلام مسئول آخر وهو اللورد "كورنواليس" الحاكم العام للهند عام ١٧٨٩م ، حيث قال: "يمكنني أن أعلن بكل ثقة أن ثلث أراضي الشركة في هندوستان أصبحت الآن غابة تسكنها الحيوانات المتوحشة فقط" . وقد أدت السياسات الإقطاعية إلى اغتصاب الأرض من الفلاحين مما أدى إلي المجاعة ووفاة مليون شخص فيما بين عامي ١٨٠٠و ١٨٢٠، ووفاة ٥ ملايين فيما بين عامي ١٨٥٠ و١٨٧٥ ، ووفاة ١٥ مليوناً فيما بين عامي ١٨٧٥ ، ١٩٠٠ (١).

كما أتاحت الثورة الصناعية الإنجليزية حسب رأي "جارودى" إستغلال بقية شعوب العالم ، فالهند التي كانت في ذلك الوقت مصدره للمنسوجات القطنية إلى جميع أنحاء العالم ، تحولت إلى مستورد للمنسوجات القطنية الإنجليزية ، مما أدى إلى تهديد ١٨% من السكان العاملين في صناعة النسيج بالبطالة وانعدام الدخل ، كما احتفظت رؤوس الأموال الأجنبية بسيطرتها على هذا البلد بعد استقلاله في عام ١٩٤٧ ، فكان لها ٩٧% من البترول ، ٩٣ % من الكاوتشوك ،٦٢ %من الفحم ، ٧٣ % من مناجم الحديد ... الخ (٢) .

ويرى "جارودى" أن ما فعلته وتفعله إلى ألان انجلترا ينطبق بنفس الإسلوب على باقي الدول الإستعمارية الأخرى (فرنسا وبلجيكا وهولندا وإيطاليا) "نادي قدامي المستعمرين" ، فقد أعطى الغرب الإستعماري منذ خمسة قرون – والعرض مستمر – مثال التطرف الأكثر فتكاً ، وهو الإدعاء بامتلاك الثقافة الوحيدة الحقيقية والدين العالمي الوحيد ونموذج التنمية الوحيد ، مع نفي أو تدمير الثقافات الأخرى والديانات الأخرى والنماذج الأخرى للتنمية (٣).

فما فعلته فرنسا في الجزائر وتونس ، وما فعلته إيطاليا في ليبيا ، وما فعلته أسبانيا في المغرب ، وما فعلته إنجلترا في مصر والسودان والشام كل ذلك خير دليل من الماضي . وهناك

---

(١)- الموضع نفسه .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ صـ ٢١- ٢٠ بتصرف .

(٣)- المصدر نفسه ، صـ ٢٢ .

غير ذلك من الأدلة التي كثرت وتكثر حتى اليوم . وما تفعله أمريكا في العراق اليوم خير دليل من الحاضر ، وقد أراد الأمريكان طبقاً لهذه النظرية تطبيق النموذج الأمريكي للديمقراطية والتنمية في العراق حسب إدعائهم ، لذا احتلوا الأرض ونهبوا خيراتها وأزالوا حكومة قائمة ونكلوا بالشعب ومنعوا الحريات واغتصبوا النساء والرجال على حد سواء وعذبوا المساجين والمعتقلين بالكهرباء والكلاب البوليسية ، وغيرها من الأساليب البشعة ، وما يحدث في "جونتنامو" خير دليل أيضاً ، من حجز وتعذيب دون محاكمة لسنوات ، كما يسعون لإشعال نار حرب أهلية في العراق ، وبهذا فقد فشل المعلمون الأمريكان أنفسهم في تطبيق ما أرادوا تعليمه للعراقيين على أرض الواقع وهو احترام حقوق الإنسان ، فهل ينجح التلميذ فيما فشل فيه معلمه؟[1] ، بالطبع لا ففاقد الشيء لا يعطيه . لأن الهدف الحقيقي للغرب كان هو تدمير العراق ، تلك الدولة الوحيدة في العالم الثالث التي قد تملك الوسيلة لمنع الغرب وإسرائيل من تحقيق أهداف الهيمنة على الشرق الأوسط [2]. ولكن الضعف السياسي الذي أصاب "صدام حسين" بعدما وقع في الفخ الذي نصبته له الولايات المتحدة مرتين (من خلال غزوه لإيران ، ثم عملية الكويت) ، قدم للمصنع العسكري الصناعي مبرر للتدخل الضخم الذي أعد له من ثلث قرن منذ مشروع تأميم البترول الذي قدمه "مصدق" في إيران [3].

وقد حاول "جارودي" بنفسه تجنيب الشعب العراقي تلك الأزمة التي كان يتوقعها ، فسافر لـ"صدام حسين" لينحيه عن فكرة إعادة ضم الكويت لأصلها كما كانت ، فيقول : "عندما استقبلني "صدام" في بغداد في ٥ ديسمبر عام ١٩٩٠ ، حاولت خلال ساعتين من الحوار الذي تم في حضور اثنين من وزرائه واثنين من القيادة العليا أن أقنعه بشيئين : أولاً أنه لا يوجد تماثل بين موقفه وموقف الأمريكان ، فله جيش وشعب ، أما الأمريكان فهم جيش فقط ، وبالتالي المتضرر الأكثر هو الشعب ، وعرضت عليه ثانياً فكرة الإنسحاب والإستعانة بقوات عربية بديلة ، وإجراء إستفتاء للكويتيين ، فذكرني بفكرته التي قدمها في ١٢ أغسطس : أن تنسحب القوات العراقية من الكويت إذا طبقت جميع قرارات الأمم المتحدة ومنا ضم القدس" [4]. ومن المعروف أنه منذ نهاية الإنتداب البريطاني على العراق ١٩٣٠ ، أصبحت شركات البترول الغربية والتي اندمجت في شركة واحدة وهي "العراق بتروليم" تمتلك ٩٤% من الآبار العراقية

---

(١)- جريدة الأهرام المصرية :عدد الجمعة ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٤ ، صـ ٥ .

(٢)- جارودي : كيف صنعنا القرن العشرين ، مصدر سابق، صـ ١٢٤ .

(٣)- الموضع نفسه .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ ١٢٥ .

، وعندما قررت الثورة بقيادة الجنرال "عبد الكريم قاسم" أن تسحب منهـا تلـك الإمتيـازات ، فرضت إنجلترا عام ١٩٦١ من خلال تهديدها بالتدخل العسكري إستقلال الكويت ، وضمتها إلى الأمم المتحدة في عام ١٩٦٣ (١). فكانت الحرب التي استوحاها الأمريكان من المجازر وحرب الإبادة الجماعية التي فعلها الغرب بالهنود الحمر من أجل السيطرة والإستغلال لثـروات تلـك الأرض مبررين تلك المجازر بقيم أخلاقية مثل نشر الحرية والحضارة وإقامة العدل وتحريـر الكويت ، وقد أعلن القائد الأمريكي بفخر عقب وقف إطلاق النار في ٢٨ فبراير عام ١٩٩١ أنه أطلق في أربعين يوماً مائة ألف طن من المتفجرات على العراق ، أي ما يعادل أربع مرات ما ألقي على هيروشيما(٢).

كما رأى "جارودى" أن ما سمي حتى الآن بالحربين العالميتين لم يكن في حقيقة الأمـر إلا حربين أوروبيتين ، لا عالميتين ، ولم تسمى الحرب الأولى عالمية إلا لأن الدولتين المتحالفتين إنجلترا وفرنسا ضمتا إلى جيوشهما "فرق الملونين" التي تشكلت من مواطني مستعمراتهما مـن الجنود السنغاليين ، حتى جنود الشمال الأفريقي ، بالنسبة لفرنسا ، وجنـود ممتلكـات التـاج البريطاني الممتدة من كندا حتى استراليا ، بالنسبة لبريطانيا ، وجرى الأمر نفسه في الحـرب العالمية الثانية ، التي انفجرت أيضاً بسبب صراع أوروبي أوروبي ، مـع فـارق أن الحلفـاء الغربيين ، أشركوا في هذه الحرب الشعوب التي كانت خاضعة لهم . فإنزال البروفانس مثلاً ، ضم ٧٠ % من عناصره ، جنوداً مغاربة ، (ونسبة قتلى المغاربة إلى نسبة القتلـى الآخـرين أعلى بكثير) ، وكان الهدف تحرير فرنسا . وجرت الحرب الأمريكية اليابانية في نفس السياق ، إذ لم تكن حرباً بين حضارتين ، إنما بين خصمين يطوران نفس النظام الصناعي (٣). كمـا أن صندوق النقد الدولي (IMF) والبنك الدولي ، وآخرون مثل الجات ، أنابوا عـن هـذا النظـام الإستعماري ، واستمروا في فرض قواعد السوق الغربي ونمطه في التنمية علـى دول العـالم الثالث (٤).

وظل الغرب على نفس الطريق سواء في الفكر أو السياسة أو الفعل ، بـالحرب والتـدمير والإستغلال فكان غزو الصومال من قبل الأمريكان مباشرة مرة ، وبالإنابة عن طريق إثيوبيـا مرة أخرى ، وغزو الشيشان وأفغانستان والعراق بعد غزو فلسطين . حتى منظريهم مشوا على

---

(١)- نفس الموضع .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ١٢٧ .

(٣)- جارودى : الولايات المتحدة طليعة الانحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٣ .

(٤)- جارودى : حفاروا القبور ، مصدر سابق ، صـ ٢٣ .

نفس المنوال ، وهو رفض الآخر واستغلاله وتدميره ، ومن الأمثلة والإستشهادات التي يقدمها "جارودى" على ذلك الكاتب "هنتنجتون" الذي يعتقد بما يسميه بـ" الحرب الحضارية" .

إذ يقول : "أن الحرب الثالثة إذا ما انفجرت ، ستكون من نوع جديد ، إذ لن تكون نتيجة تنافس الأوروبيين ، فيما بينهم ، بل مجابهة بين حضارتين : حضارة المركز (الغرب) وحضارة المحيط (بلدان الإستعمار القديم) . كما يعطي لهذين الطرفين مفهوماً دينياً : وهو الصدام بين حضارة "يهودية نصرانية" وبين حضارة " إسلامية كونفوشيوسية(*) " ، ولئن طرحت المشكلة بشكل سيئ ، إلا أنها مشكلة حقيقية : فبعد انهيار الاتحاد السوفيتي ، واستبدال "الشيطان السوفيتي" ، "بالشيطان الإسلامي" وحلفائه المحتملين ممن نطلق عليهم اسم العالم الثالث ، ثم تدمير العراق "كي يكون مثالاً للآخرين ، فمن الممكن حدوث الحرب العالمية الثالثة[1]. كما نجد مُنظراً آخر وهو "فوكوياما"(**) الذي أكد على نهاية التاريخ بوصول الغرب إلى قمة العالم . ورأى "فوكوياما" أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الدولة صاحبة السيادة ، والتي تلعب دور الأب ، حيث أن الطبيعة قد منحتها ما لم تمنحه أحداً غيرها ، ومن ثم فهي في منزلة السيد وما عداها فهو في منزلة العبد ، وهكذا يجب الرضا والخضوع لتلك الرؤية الواقعية والمشيئة الإلهية ، كما رأى "فوكوياما" أن الإنسان الذي يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية هو خاتم البشر ، وصاحب السيادة ، منحته الطبيعة بعض الخصائص التي تؤهله لكي يكون سيداً علي البشر ، وما عداه يكون عبدا له [2] .

٣- العولمة :

أ- العولمة لغة : تعني اصطباغ عالم الأرض بصبغة واحدة شاملة لجميع أقوامها ، وكل من يعيش فيها ، وتوحيد أنشطتها الاقتصادية والاجتماعية والفكرية ، من غير اعتبار لاختلاف الثقافات والأعراق والأديان والجنسيات [3].

(*)- كونفوشيوسية : نسبة إلى الفيلسوف الصيني "كونفشيوس" والذي كان يدعوا للتمسك بالأخلاقيات الإجتماعية الجيدة والفضائل الإنسانية السمحة .

(١)- جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ٤ .

(**)- فوكوياما : عالم اجتماع ومفكر أمريكي من أصل ياباني ، عمل بمعهد "راند كوبوريشن" للبحوث الإستراتيجية ، ونائباً للتخطيط السياسي بوزارة الخارجية الأمريكية ، ويعمل حاليا أستاذاً بجامعة "جورج ميس" الأمريكية ، وقد ذاع صيته في الأوساط العالمية بعد مقالة نشرها بمجلة "ناشيونال إنترست" بعنوان نهاية التاريخ ، بعددها الصادر في صيف ١٩٨٩ ، وقد صدر له كتابا بنفس العنوان في عام ١٩٩١ ، وقد تراجع عن أفكاره تلك في كتاب صدر له في عام ١٩٩٩ بعنوان "الإنفراط العظيم" . نقلا عن عطية الويشي : حوار الحضارات ، مصدر سابق ، صـ٤٣ .

(٢)- فرانسيس فوكوياما : نهاية التاريخ وخاتم البشر ، ترجمة حسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣ ، صـ٢٤٢ -٢٤٦ بتصرف .

(٣)- د. فلاح كاظم المحنة : العولمة والجدل الدائر حولها ، الوراق للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، صـ٧ .

ب- العولمة اصطلاحاً :

هي تعبير عن وضع تُزال فيه الحواجز بين الدول مثل الحدود والقيود الجغرافية والسياسية والثقافية أمام الإنتقال الحر للسلع والخدمات والمعلومات والعادات بحيث أن ما يحدث في الغرب يُسمع صداة في الشرق في ذات اللحظة والعكس صحيح[١] .

وينبغي العلم بأن صياغة تعريف دقيق للعولمة تبدو مسألة شاقة ، نظراً لتعدد تعريفاتها المتأثرة بانحياز الباحثين أيديولوجياً ، واتجاهاتهم الفكرية إزاء العولمة قبولاً أو رفضاً . وعموماً فالعولمة هي ترجمة للمصطلح Globalization وترجمها البعض بـ الكونية والبعض بـ"الكوكبة" [٢]. ويرجع بعض المثقفين مصطلح العولمة إلى تنبوئات عالِم الاتصال "مارشال ماكلوهان" بأن العالم قد أصبح بفضل قنوات الاتصال قرية كونية "Global village" [٣].

والعولمة ليست ظاهرة جديدة على الحضارة ، حيث أن كل حضارة تجد نفسها أقوى حضارة في زمانها ، تريد بالتالي أن تفرض على الآخرين منهجها في التعامل والفكر والدين والحياة بصفة عامة . فطريق الهيمنة الذي أخذ اليوم إسم العولمة أصبح ممهداً جداً ، وهذا الطرق يضرب بجذوره إلى آلاف السنين منذ أسطورة الشعب المختار التي بررت إبادة الآخرين ، حتى الإمبراطورية الرومانية التي ادعت أنها تضم في حدودها كل العالم المعروف آنذاك ، وهذا ما سمته أوربا بالحضارة كما لو كانت حكراً عليها لكي تعطي لنفسها الشرعية لاستعباد واستعمار الشعوب الأخرى [٤]. فحين أراد "الإسكندر الأكبر" غزو بلاد الشرق ، عارضه معلمه "أرسطو" في ذلك "حتى لا يقضي على التمايز الجنسي لدى اليونان"ـ وهذا ما يؤكد رفض اليونان للآخر وازدراءهم له ـ رد عليه الإسكندر قائلاً "إنه يغزو بلاد الشرق حتى يجعل الثقافة اليونانية والفكر اليوناني هما فكر العالم وثقافته"[٥] .

---

(١)- رضا عبد السلام : نهاية التاريخ أم نهاية العولمة ، دار الإسراء للطبع والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، صـ٢٠.

(٢)- عبد الرحيم تمام أبو كريشة : التراث والعولمة ، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر ، ط١ ، ١٩٩٩ ، صـ٢٤ .

(٣)- د. فلاح كاظم المحنة : مرجع سابق ، صـ٧ .

(٤)- جارودي : الإرهاب الغربي ، ج١ ، مصدر سابق ، صـ ٤٩ .

(٥)- د.عبد الرحمن خليفة ، د.فضل الله محمد إسماعيل : الايدولوجيا والحضارة والعولمة ، مكتبة بستان المعرفة ، ط١ ، ٢٠٠١ ، صـ٣٧٥ .

ويرى "جارودى" أن ما نطلق عليه "عولمة" لا يعبر عن حرية تشارك فيها كل الثقافات ، وتقود إلى وحدة سيمفونية للعالم ، بل على النقيض ، نجد أن الإنقسام يتزايد بين الشمال والجنوب ، وقيام اتحاد إمبريالي يمهد إلى تدمير التنوع الحضاري وفرض أحادية ثقافية تطمع في الهيمنة على هذا الكوكب . فما نطلق على "الحرية" كنظام "للتبادل الحر" أو "السوق الحرة" يسمح للأقوياء أن يفرضوا قواعدهم الدكتاتورية غير الإنسانية ، التي تسمح لهم بافتراس الضعفاء (١).

والعولمة ستؤدي إلى مجتمع خُمسه ثري وأربعة أخماسه فقراء ، ومن جانب آخر فإن العولمة تحول العالم بفضل تكنولوجيا الاتصالات العالمية وانخفاض تكاليف النقل وحرية التجارة الدولية إلى سوق واحد ، الأمر الذي أدى إلى منافسة أشد وطأة وأكثر شمولية ليس فقط في سوق السلع وإنما في سوق العمل أيضاً (٢) . فالعولمة تسعى إلى تحقيق وحدة إمبريالية للعالم بين الولايات المتحدة وتوابعها الأوربيين ، في عالم يكلفه هذا النمو ٣٠مليون ضحية في العام ، بينهم ١٣مليون طفل بسبب المجاعة والحروب التي يؤججها الكبار وذلك وفقاً لأرقام منظمة اليونيسيف العالمية (٣). حيث جعل قادة الولايات المتحدة مهمتهم التي كلفهم بها القدر هي قيادة العالم لإقامة نوع من العولمة أي نظام وحيد لما سماه أحد منظريها "بقانون السوق"(٤). كما وأن "للعولمة" نتائج أخرى ألا وهي "الجات" والتي لها نتائج أخرى أكثر خطورة ، ومن أهمها البعد الثقافي أو "العنف الثقافي" ، والذي تمارسه القوى الكبرى على سائر الدول الضعيفة وسائر الثقافات الأخرى ومنها ثقافتنا العربية ولذا يجب علينا مواجهة ذلك (٥).

ويرى"جارودي" أن "الغرب النهّاب" قد تسبب بهذا في مشكلات كثيرة للبشرية وبخاصة للعالم الثالث وأهمها الفقر والجوع الذي يعصف بملايين المستَعمَرين ، والبطالة في البلاد الصناعية ، والهجرة (التي ما هي إلا إنتقال عالم الفقر والجوع إلى عالم البطالة والإقصاء) ؛ وهذه المشكلات تجسدها مشكله واحدة وهي العولمة ، وهي إسم مرادف لطموحات الهيمنة

---

(١)– جارودى : الإرهاب الغربي ، ج٢ ، ترجمة عبد المسيح فلي ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ١٤٢٥ ، صـ١٠ .

(٢)– هانس – بيتر مارتيني ، هار الدشومان : فخ العولمة "الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية" ، ترجمة ، د.عدنان عباس علي وآخر ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ، عدد ٢٣٨ ، أكتوبر ، ١٩٩٨ ، صـ ٢٩ .

(٣)– جارودي : الإرهاب الغربي ، ج١ ، مصدر سابق ، صـ ٤٠ .

(٤)– المصدر نفسه ، صـ ٤٩ .

(٥)– د. مصطفي عبد الغني : الجات والتبعية الثقافية ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٩٩ ، صـ ٧٢ .

العالمية لدى الولايات المتحدة والتابعين لها والذي يقودنا في القرن الواحد والعشرين إلى انتحار كوني[١].

ويعتقد البعض أن العولمة كانت نتاجاً محتوماً لما سمي بالنظام العالمي الجديد بعد الحرب العالمية الثانية والأزمة الاقتصادية العالمية والدعوة إلى إنشاء منظمة التجارة الدولية ، وقد تأثرت هذه الدعوات بأفكار "كينز"، وخاصة من أجل العمل على تثبيت أسعار المواد الأولية عن طريق تثبيت الأسعار ، وفي مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والاستخدام United Nation Conference on trade and Employment والذي عقد في لندن عام ١٩٤٦ ، فقد شكلت لجنة من ١٨ دولة إجتمعت في نيويورك في ١٩٤٧ ، وفي جينيف ١٩٤٧ أيضاً ، وأخيراً في هافانا في مارس ١٩٤٨ ، حيث صدر ميثاق هافانا [٢] . وبهذا فُتح الستار على عملية المنافسة العالمية الكونية ، حلفاً ثلاثياً يتشكل من الدول المتقدمة ، والشركات دولية النشاط والمؤسسات الدولية[٣].

كما أنه من خلال سيطرة رأس المال يتم تجويع ثلث الإنسانية عن طريق البطالة والإستعباد حتى في الدول الإستعمارية السابقة ، وكذلك عن طريق اصطياد جميع الشعوب في عملية العولمة والتي تسمح على المستوى الدولي للأكثر قوة بافتراس ونهب الأكثر ضعفاً . كما يحذرنا "جارودي" من أن نتجاهل أن الجريمة على المستوى الفردي لها علاقة جدلية بالجريمة الجماعية التي تضلع فيها الأمم الإمبريالية أو الشركات متعددة الجنسيات ضد الدول والشعوب الضعيفة[٤].

ولذا يحذر "جارودى" من الشركات متعددة الجنسيات ، حيث اعتبرها نوع آخر من السيطرة الغربية ، لأنها نمط جديد من أنماط استغلال العالم الثالث ، فالشركات متعددة الجنسيات هي شركات أجنبية داخل حدود الدول الوطنية ، تنظم في الواقع عملية نهب ، ليس فقط على المستوى القومي ولكن على المستوى العالمي ، معتمده في بعض الأحيان على القوى الكبرى

(١)- الموضع نفسه .

(2)- B. Dasgupta : **structural Adjustment , Global trade and the new political Economy of Development** , Zed Books, London , 1988 , P. 137.

(٣)- السيد يسين : العولمة والطريق الثالث ، ميريت لنشر المعلومات ، القاهرة ١٩٩٩، صـ٦٧ .

(٤)- جارودي : الإرهاب الغربي ،ج٢ ، مصدر سابق ،صـ ١٢٣ .

"الولايات المتحدة" على سبيل المثال ، التي تقوم بتوجيه اقتصادها وسياستها وتلجأ في بعض الأحيان إلى آلتها العسكرية "كما هو الحال في جواتيمالا ، وفيتنام والعراق" [1].

وتقع الشركات الاحتكارية الدولية و الشركات متعددة الجنسيات في قلب النظام الإقتصادي العالمي ، ومشرف على إدارة النظام الإقتصادي العالمي ، وتحتكر التجارة الدولية والتقنيات الحديثة وتتحكم في السيولة النقدية الدولية ، وتسيطر على وسائل الاتصال والإعلام وصنع الثقافة . كما تمكنت الشركات متعددة الجنسيات بأساليبها المختلفة أن تعتمد على اقتصاديات الجنوب ، وتحوله إلى فريسة سهلة المنال ، لإلتهام أكبر قدر من الأرباح ، حيث بلغ إجمالي ما استنزفته هذه الشركات في الربع الأول من عقد الثمانينات ١٤٠ آلف مليون دولار [2] .

وتتبع هذه الشركات كل الوسائل القانونية الخبيثة التي تشمل التزييف والإفساد والتدخلات السياسية والإنقلابات العسكرية ، وغير ذلك من أجل استمرار نهبها لموارد الجنوب ، وبقاء هيمنتها على الاقتصاد العالمي ، وإذا ما واجهتها أي مشاكل من حكومات هذه الدول فإنها تلجأ إلى حماية ومساعدة الدول الرأسمالية الكبرى ، والتي عادة ما تمارس التهديد بالغزو العسكري والإطاحة بالحكومات والحصار الاقتصادي ، وبهذا يظهر تصاعد الدور السياسي للشركات متعددة الجنسيات ، ومدى تحكمها الاقتصادي في العالم المعاصر ، وهو انعكاس طبيعي لصعود الإمبريالية وتحكمها في العلاقات والإرتباطات التجارية والنقدية في العالم [3].

وتقوم تلك الشركات على فكرة تحويل العالم إلى سوق واحدة كبير ، والتخطيط المركزي للإنتاج والإستهلاك العالمي الواحد . والهدف من هذه الشركات هو السيطرة التامة على النشاط الإقتصادي العالمي وتحويله إلى نشاط واحد ، يتعدى حدود السلطات المحلية للدول ، ويتمركز في إدارات ومكاتب هذه الشركات ، ورغم ضخامتها وتنوع نشاطاتها وانتشارها الجغرافي الواسع ، إلا أن هذه الشركات تدار بنظام مركزي موحد [4].

وليس هناك من شك في أن النتائج الإيجابية للعولمة ، وما تفتحه من أفاق لن تظهر إلا في حجر المجتمعات المركزية التي تتحكم بأدواتها ومواردها الرئيسة ، وفي المقابل سوف تؤدي

---

(١)- جارودي : الإرهاب الغربي ،ج١ ، مصدر سابق ،ص ١١٩ .
(٢)- يوري بوبوف، مرسمف في الاقتصاد السياسي"الإمبريالية والبلدان النامية" ، دار القلم الموسكي، ١٩٨٤ ، صـ٥٠ .
(٣)- جوزيف كاميللر : أزمة الحضارة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٣ ، صـ١٣٧.
(4) Richard Barnet and Ronald Muller: Global Reach , Simon and Schuster , New York , 1974 , P.14 .

هذه العولمة في إطار ثورة المعلومات إلى الإفقار الموسع لجمهور متزايد في القارات المختلفة وتقود حتماً إلى نشر البطالة والإضطراب ، بل والخراب في العديد من البلاد والمجتمعات [١] .

وبهذا تعد العولمة وتوحيد السوق والشركات متعددة الجنسيات في نظر "جارودي" من ضمن الآليات التي يستخدمها الغرب لتفتيت الآخر ، وإزالته أو تذويبه داخل الهيمنة الأمريكية ، حيث تؤدى العولمة والشركات متعددة الجنسيات لتوحيد السوق" والذي ولد نوعاً من الإستقطاب المتزايد للفئة الغنية المضاربة ، التي قد تمتهن أحيانا أساليب المافيا ، وقد كان ذلك لأقلية قليلة العدد في مقابل البؤس والشقاء الذي تعاني منه الأغلبية [٢]. وبالتالي فإن ما نطلق عليه "تنمية" يعبر عن نمو اقتصادي بلا نهاية ، يتزايد إنتاجه بمعدلات متسارعه بغض النظر عن كونه مفيداً أو ضاراً ، أو حتى فتاكاً أو قاتلاً ، مثلما هو الحال في إنتاج الأسلحة والمخدرات بكافة صورها المتنوعة ، وهنا لا تهتم التنمية بالبشرية ، لأن هذا سيؤدي إلى البطالة ، مع إضافة أن أكثر من ثلث العالم لم يعد في مقدورهم تأمين حاجاتهم الأساسية من أجل مجرد البقاء على قيد الحياة الكريمة ، أو حتى الهجرة ، ولا يعبر هذا إلا عن تردد العالم بين المجاعة والبطالة والإستعباد[٣].

وفي النهاية يرى "جارودى" أن الغرب هو أكبر مجرم في تاريخ البشرية إلى أبد الآبدين ، حيث يوزع ما يعادل خمسة أطنان من المتفجرات على هامة كل مواطن على سطح الأرض ، وكذلك يستمر في الإستنزاف الإمبريالي لثروات الطبيعة ، أضف إلى ذلك التلوث الذي يتسبب فيه ؛ وبهذا نساهم نحن الغربيون في تخريب بيئتنا الحياتية ونقص الطاقة وتزايد الفوضى [٤]. ويتجلى هذا النموذج في المفهوم ألا إنساني عن العلاقات الإنسانية ، هذا المفهوم القائم على فردية مُفرقة لم تخلق سوى مجتمعات متنافسة ، ولم تولد إلا أنماط الصدام والعنف ، فلا ترى إلا تكتلات اقتصادية أو سياسية طاغية عمياء تسترق أو تلتهم الأضعف منها ، أضف إلى ذلك النظرة اليائسة إلى المستقبل التي لا تهدف إلى أي هدف إنساني ، وإنما للواقع المحض فقط ، دون التوجه إلى التسامي بأفاق حياتنا لنخلع عليها شيئاً من معنى وننجوا بذلك من الهلاك [٥] .

---

(١)- د.برهان غليون ، د. سمير أمين : ثقافة العولمة وعولمة الثقافة ، دار الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ ، صـ صـ ٣٣- ٣٤ بتصرف .

(٢)- جارودى : الإرهاب الغربي ، ج٢ ، مصدر سابق ،صـ صـ١٠- ١١ .

(٣)- الموضع نفسه .

(٤)- روجيه جارودى : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ٣٩ .

(٥)- الموضع نفسه .

ثانياً :ـ علاقة الغرب مع الآخر لدى"دانييل" :

لقد تأثر المستشرقين عموماً بسيادة النزعة الوضعية التي ظهرت في أوربا ، خاصة فيما يتعلق بالتاريخ الإسلامي ، ذلك لأن سيادة النزعة الوضعية ، وظهور المنهج التجريبي في القرن الثامن عشر الميلادي ، أدى إلى تأثرهم بمناهج هذه المدرسة في كتاباتهم التاريخية عن الإسلام ، وبما أن المنهج الوضعي لا يؤمن إلا بالوجود المادي المحسوس والملموس ، فإن المستشرقين الذين تأثروا به شككوا في العديد من المظاهر الإسلامية ، التي لا يستطيعون تفسيرها ، وأكثر من ذلك هو عدم إمتلاك المستشرقين الإيمان الديني اللازم لفهم أحداث التاريخ وتفسيرها [١]، هذا على افتراض عدم وجود الرغبة المبيتة في الإهانة للإسلام و أهله ، والذي يسيّر هذه المنظومة الاستشراقية ، وبالقطع إنه هو العامل الفعال الذي يقودها مهما ادعي الغرب عكس ذلك ، (إنها حرب العقيدة) !!!

وهذا رد فعل طبيعي فالمستشرق إبن بيئته ، كما أن العامل التاريخي له دور كبير بكل تراكماته الثقافية المشوهة عن التاريخ الإسلامي في أوربا عبر العصور، ولابد وأن المستشرق متأثر بكل ما كُتب عن الإسلام والمسلمون ، وما قرأه في مجتمعه من صور باطلة وافتراءات مزيفة وثقافة متشبعة بروح العداء للإسلام وأهله عبر قرون طويلة ، لذا فإن هذا هو ما يفسر أخطاء المستشرقين ، وبخاصة من يُعدوا معتدلين ويُعدهم المؤرخون أنصفوا الإسلام نسبياً أكثر من غيرهم ، فمهما حاول المستشرق أن يكون متجرداً من الأهواء الأوربية فإنه يشتط بوعي أو بدون وعي ، لينزلق في المظاهر المشوهه للإسلام وأهله ، المتراكمة في الفكر الأوربي عبر القرون الطويلة [٢]. وقد كان المستشرق "نورمان دانييل" من ذلك الصنف الذي حاول التجرد ، ولكنة يرجع في النهاية إلى طبيعته الأوربية الحاقدة ، وغيره هناك الكثير والكثير ....

١ - طبيعة الفهم النصراني للعقيدة الإسلامية :

يرى "دانييل" أن هناك خلافاً بين النصرانية والإسلام حول نقاط كثيرة في العقيدة ، وما زالت هذه النقاط لم تتغير حتى الآن حيث قال : "إن النصارى يميلون دائما إلى نفس الإنتقادات الموجهة للمسلمين ، حتى إنه في العصور الحديثة Modern Times حاول بعض المؤلفين

(١)- د . فاروق عمر فوزي : مرجع سابق ، صـ ٢٧.
(٢)- المرجع السابق .صـ صـ ٢٨- ٢٩ بتصرف .

بدافع شخصي أن يعتقوا أنفسهم من المواقف النصرانية المتشددة ، لكنهم بوجه عام لم يحققوا النجاح الذي توقعوه [١]" .

وكانت نقطة الخلاف الرئيسة لدى "دانييل" بين الفريقين هي طريقة كشف الله عز وجل عن ذاته (الوحي) ، وقد أكد على ذلك بقوله: "يهتم الإسلام والنصرانية Christianity بشكل جلي وواضح بنفس الموضوعات ، وبشكل رئيسي يختلفون حول الطرق التي يكشف بها الله عز وجل عن ذاته ، حيث اختلفوا حول طبيعة هذا الوحي Revelation ، وما يجمعهم هو القول بأن الكشف كان عن طريق "المسيح" Christ ﷺ ، بينما يجتمع المسلمون على القول بأن الكشف أو الوحي كان أيضاً عن طريق سيدنا محمد ﷺ" [٢]. وبعد الفتوحات الإسلامية التي حدثت في أوربا وتقاسم الديانتين المقاطعات التي كانت أوربية ، يؤكد "دانييل" "أن النصارى قد عاشوا تحت الحكم الإسلامي في أسبانيا ومصر وسوريا والعراق على وجه التحديد منفصلين ، ولم يتوحدوا مع المسلمين ....، ويبدوا أن المرء النصراني قد أقنع نفسه أن المجتمع الأجنبي شيء خطير ، إن لم يكن هو عدوه "[٣].

ويبدوا أن" دانييل" نسى أو تناسى بحكم غربيته وتأثره بأبناء جلدته ، ما فعلة الصليبيون بهؤلاء النصارى الذين يخاف عليهم الآن من المسلمين ويتعاطف معهم ، من قتل وسلب ونهب ، عند دخولهم بيت المقدس وكذا في القرى والبلاد المجاورة مما دفعهم إلى الوقوف بجانب المسلمين في محاربتهم .

ثم يستطرد "دانييل" مؤكدا أيديولوجية الصراع ورفض الآخر حتى على المستوي الفكري حيث قال "وقد عدلت الحقائق وحُرفت كي تتلاءم مع الجو العام ، ومن هنا تكون الإيمان برفض الآخر ، هذا وقد عرّفت الحقيقة لدى النصارى على أنها هي تلك التي تتباين مع ما يقول به العدو ويؤمن به "[٤]. وأصبح التدنيس والشجب لكل ما يؤمن به المسلمون هو السائد لدى الغرب ، سواء فيما يتعلق بالإله أو المسيح ، حتى لو توافق مع معتقداتهم في بعض الأحيان [٥].

---

(1) - Normal Daniel: Islam and the West , Op .Cit , p.1.

(2) -Ibid : p.1.

(3)– Ibid : p.2.

(4) -Loc .Cit .

(5)– Ibid : p.3.

وعن بداية اهتمام الغرب بالإسلام ، يحدثنا "دانييل" مؤكداً إبتداءها في القرن الثاني عشر "حيث بدأ الإسلام يعالج بجدية عند كتاب الغرب ....، وفي نهاية القرن الثالث عشر كانت هناك الكثير من الأفكار عنه ، وبحلول منتصف القرن الرابع عشر أصبحت تلك الأفكار الإسلامية واسعة الإنتشار ، حيث كانت هناك تبادلات تجارية مع الدول الإسلامية" (١).

ويظهر لنا "دانييل" تعاطفه مع المسلمين وانتصاره لهم بقوله :"إن الصورة المشوهه للإسلام في الغرب هي التي أدت إلى نسخ حكايات غيبية غير صحيحة وغير سارة عن تاريخ محمدﷺ ، وتعاليم الإسلام وممارساته(*) (٢). ثم يعود لطبيعته الصليبية الحاقدة في نهاية حديثة عن نبوة "سيدنا محمد ﷺ "والوحي الذي كان ينزل عليه ، حيث رأى أنه ما هو إلا عبارة عن نوبات من مرض الصرع حيث قال: إن الوحي قد بداء بالنزول غالباً في نوبة مرض الصرع Epileptic...، وقد تكون الرغبة في استعطاف زوجته "السيدة خديجة"هي التي دفعته إلي القول بذلك ... ، وقد يكون أقنعها بالآداب والفنون السحرية" (٣). كما يفسر "دانييل" قول النبي بالوحي بقوله ": بأنه ادعى أو زعم النبوة كي يعلل بها نوبات الصرع التي كانت تنتابه"(٤). كما يستشهد على ذلك أيضاً بآراء بعض المستشرقين أمثال "مارك Mark " الذي نسب عنف النوبات المرضية مثل الصرع وتملك الشيطان من النبي ﷺ إلي الأسلوب المحير والمشوش Important Defect للقرآن الكريم " (٥).

كما يستشهد برأي مستشرق آخر وهو "سان بيدرو San Pedro " فقال "دانييل" :إن "سان بيدرو" أشار إلى محمد ﷺ "كفرد مَمْسُوْس As One Possessed " ولم يدع أي فرصة إلي البعد عن العنصر الشيطاني Demoniac Element (٦).

---

(1) -Ibid: p.7.

(*)- هذه عادة "دانييل" حيث دأب على إظهار التعاطف بكلمات بسيطة مع الإسلام والمسلمين والإعجاب بهم ، ثم يردد في نهاية أكثر الموضوعات نفس الإدعاءات النصرانية ، وفي حالات نادرة فقط يرفض تلك الإفتراءات . فمهما أظهر من تعاطف ونصرة للمسلمين لا يجب أن ننخدع بإسلوبه الجميل هذا ، فهي كلمة حق يراد بها باطل .

(2) -Ibid: p.9.

(3) - Ibid : p . 27.

(4) - Loc - Cit .

(5) - Ibid: p.28.

(6) - Ibid : p . 30.

ويظهر لنا "دانييل" الحقيقة النهائية في موضوع الوحي من وجهة نظره فيقول :"وفي الحقيقة أنا أقول لك يا "محمد"– ﷺ– إنك لست" نبي Prophesy "ولكنك تقول أشياء محددة كما اعتاد أن يقول العرافين Diviners ، هذه الأيام ، باستحضار "وشعوذة الشياطين Conjuration Of Demons " أو بعض الطرق الأخرى "(1).

وتلك كانت هي رؤية "دانييل" لموضوع الوحي الذي نزل على سيدنا محمد ﷺ ، والتي رأى فيها أنه ﷺ قد برر ما كان لديه من مرض وهو مرض الصرع ، بالقول بالوحي ، وسبب هذا الصرع كان عبارة عن مس شيطاني ، قد ألم به ﷺ . ولقد صدق فيهم قول الله تعالي ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً ﴾ (الكهف/٥) صدق الله العظيم .

ولا يزال هذا الموقف هو السمة المشتركة لمعظم المفكرين الغربيين ، رغم أن بعضهم قد تنازل ووصف النبي ببعض الصفات الإيجابية كقائد سياسي ، أو مصلح إنساني ، أو إنسان طموح ، ولكن ليس كنبي يوحى إليه . وأخطأ كثير منا في فهم دلالة هذه العبارات ، والتي تطير بها وكالات الأنباء العربية والإسلامية ، وكأنها تمثل تحولاً فكرياً في نظرة الغرب للنبيﷺ . فكم تغنينا بعبارة أن "العظماء مائة وأعظمهم محمد" وغيرها من العبارات التي يكثر تقديمها في هذا السياق .

واستمرّت الهجمة على الإسلام والمسلمين وعلى شخصيّة الرّسول الكريم ﷺ حتى عصرنا الحاضر ، فما حدث في دولة الدينمارك من نشر لصور تُسيء لشخصه الكريم ليس ببعيد ، كل ذلك بهدف إهانة وهدم الإسلام ، لذا تُنشط الكنائس الغربيّة ومؤسسات التنصير المختلفة مثل تلك الأفعال والأقوال ، حتى أنّ بابا الفاتيكان السابق "يوحنا بولس الثاني" قام بجولة في عدد من دول أفريقيا لتشجيع البعثات التنصيرية على العمل ، وحدّد لهم الهدف بأنْ يعملوا على جعل أفريقيا قارة نصرانيّة بحلول عام ٢٠٠٠م ، وكان يطوف بنفسه من بلد إلى بلد ليزيد الحملة ضراوة(٢). ولكن خاب ظنّه وتخطيطه . وقد مرّت سنوات على هذا التاريخ ومازال الإسلام قوياً في أفريقيا ، ويزداد الإقبال عليه بفضل الله تعالى(٣).

---

(1) - Loc - Cit .

(٢)- الإمام محمد الغزالي : هموم داعية ، دار البشير ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صـ ٤٤ .

(3)-http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1679 .

فإن كان الأوروبيون يزعمون أن جذور الفكر الغربي هي الجذور اليهودية – النصرانية فإن ما يقف ويقاوم هذه الجذور الفكرية ، وينال القبول في أنحاء العالم هو الإسلام ؛ لذلك لا بد من الحَمَلات المحمومة التي نحن بصددها وما سيتلوها ، والتي لا تخرج أهدافها عن السعي إلى هدم الإسلام والقضاء عليه ، وذلك من خلال تشويه هذا الدين ومعتقداته وشريعته ، وتشويه صورة نبيّه ﷺ.

ومن المؤكد أن الغرب قد درس هذه الحملة دراسة عميقة ودقيقة قبل أن تنطلق ، فلا شك أنها ستخدم أهدافه ، وتحقق له ما يريد ؛ ونجد الإعلام العربيّ الإسلاميّ منشغل باللهو والترفيه والتسلية في غالبه . ففي الوقت الذي تتعدد القنوات الفضائيّة التصيرية ومحطات الإذاعة ، نجد أن الإعلام الإسلاميّ منحصر في عدد محدود من القنوات . فالقنوات الفضائيّة العربيّة التجاريّة تصب جام غضبها على الإسلام والدعاة المسلمين ؛ لأنها تسير في ركاب الإعلام الغربي في محاربته للإسلام ، ولأنّ هذا الإعلام ارتبط الإسلام عنده بـ" التطرّف" و "العُنف" و "الأصوليّة" مع أن الدّعاة المسلمين والحركات الإسلاميّة" في غالبيتها العظمى" تدعو إلى العودة الصحيحة إلى الإسلام وتطبيقه في شؤون الحياة كلها: العقديّة والتشريعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعيّة والثقافيّة [1] . ولنا الله حيث أن إعلامنا الجليل بدافع من الحكومات الموالية للغرب للحفاظ على عروشها نشرت الضّعف الشعبيّ العام تجاه هذه القضية ، وذلك لأن وسائل إعلامنا انشغلت بملء وقتنا بالتفاهات والتّسلية والتّرفيه ، فكيف نهتم بالقضايا الكبرى ولا شغل للإعلام الفضائيّ سوى الفنانين والفنّانات والإهتمام بما يزعمونه "الإبداع في الغناء والرقص والتّمثيل"؟! أين العناية بالإبداع في الكتابة والتأليف العلمي والديني والعسكري للدفاع عن الإسلام وأهله ؟!

٢– طبيعة القرآن :

كما اتهمت قريش سيدنا محمداً ﷺ بتأليف القرآن الكريم سابقاً ، كذلك يرى "دانييل" أن هناك تشابهاً كبيراً بين ما جاء به الكتاب المقدس "الإنجيل" وبين ما جاء به القرآن الكريم ، سواء في التعاليم العامة أو في حياة بعض الرسل "عليهم الصلاة والسلام" ولكن للأسف كعادة المستشرقين لا يرجعون ذلك التشابه إلى وحدة المصدر ، ولكن للإقتباس من التوراة والإنجيل ، ويدلل "دانييل" على ذلك كعادته بآراء بعض المستشرقين أمثاله ، فذكر على سبيل المثال رأي "بيدرو دي الفونسو Pedro De Alfonso "والذي قال بدورة : "إن القرآن لم يتم كتابته بيد الرسول ﷺ

(1)–http://nosra.islammemo.cc/onenew.aspx?newid=1679 , Op – Cit.

ولكن بيد أصحابه ، والذين ألفوه وكوّنوه بعد وفاته ، حيث أن كل فرد من أصحاب محمد ﷺ قد أحضر ما ألفه إلى "عثمان بن عفان" ، ليكّون هو من خلال التنسيق بين تلك المؤلفات الفردية ما يعرف الآن بالقرآن الكريم" (١).

وقد أخذ "دانييل" يردد آراء وأقوال بعض من سبقوه في الكتابة عن (القرآن الكريم) ، من المستشرقين الصليبيين ، والذين وصفوا (القرآن الكريم) بأنه ـ والعياذ بالله ـ كما قال المستشرق الصليبي (ريكولدو) : "إن القرآن غير منطقي لأنه غير معزز بالمعجزات ، وذلك بسبب شرور وفسق المؤسس ، حيث يظهر كذبه وتناقضه مع نفسه ؛ ولذا فهو جائر"!! (٢).

كما استشهد أيضا بأقوال " تريبولي Tripoli" والذي قال : "إن وحي محمد ﷺ كان موضوعاً في كتاب بعد وفاته ، والحقيقة "الكاثوليكية" أنه بعد خمسين سنة من وفاته ، تقابل أصدقائه ليناقشوا تجميع الكتاب ، والذي سلموه إلى "عثمان بن عفان" ، وقد أثبت عدم انتظامه Unequal، وقد مُنح "عثمان" المساعدة القوية Forced Assistance من النصارى واليهود ، الذين لم يجدوا أهمية في حياة الرسول والعقيدة ، ولهذا اخترعوا Invented القرآن"(٣).

وبهذا يرى "دانييل" أن القرآن الكريم ما هو إلا تجميع من الكتب السابقة عليه ، ويستشهد على ذلك بقصه خيالية قالها "أوليفر Oliver " الذي قال :"أنة حقاً يشبه بشكل تام الغراب Crow الذي أخذ ريشاً من كل الألوان من طيور أخرى ، وتزين بها وذهب في اجتماع مجلس الطيور، واعتقد أنة طائر سماوي Heavenly وآتٍ من السماء ، لكن حينما تبين أنه غراب تزين بريش طيور أخرى ، وعندما خلع هذا الريش ، ثار كل الطيور عليه من الضحك . هكذا يُعد الكتاب الذي نتحدث عنه ، فهو أسود كالغراب ، ليس به ريش من محمد "الإسلام" ﷺ سوى السواد وعدم الإتساق ، وهو مزين بقصص وتعاليم جميلة Beautiful Authorities من النصوص الإلهية Divine Scriptures المأخوذة من اليهود والنصارى ، الموجودة

(1) - Normal Daniel, "Islam and the West , Op- Cit , p30.

(٢)- د. مازن صلاح مطبقاني : منهج المستشرق "برنارد لويس" في دراسة الجوانب الفكرية في التاريخ الإسلامي ، رسالة دكتوراه ، إشراف أ.د. محمد خليفة حسن أحمد ، كلية الدعوة ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالمدينة المنورة ، رمضان ١٤١٤هـ ، ص ٢٠٧ . نقلا عن.http://www.madinacenter.com/post.php?DataID=257&RPID=256&LID=7

(3) - Normal Daniel, "Islam and the West , Op- Cit., p30.

Inserted داخله " (1) . وتلك النظرة كانت نظرة كل من مدرسه "تريبولي Tripoli s`" و"منديفيل Mandeville " وأتباعهم أيضا (2).

وكذلك ردد المستشرق"جولدتزيهر Goldziher" نفس تلك الشبهات فهو ينسب المعرفة الدينية التي تلقاها سيدنا محمد ﷺ إلي عنصرين الأول خارجي والآخر داخلي ، فهي مزيجاً من معارف وآراء دينية عرفها بفضل اتصاله بالعناصر اليهودية والنصرانية ، ولقد تأثر بهذه الأفكار تأثراً وصل إلي أعماق نفسه ، فصارت عقيدة انطوي عليها قلبه واعتبر هذه التعاليم وحياً إلهيا (3).

ويمكن القول أن دعوى إقتباس القرآن من التوراة قد دأب المستشرقون على ذكرها (4) ، وذلك لأن هؤلاء لا يبحثون عن الحق ليهتدوا به ، وإنما همهم كله هو محاربة الإسلام ، والقضاء عليه حسداً من عند أنفسهم ، وبغياً بينهم بعد ما جاءهم العلم ، وافتراض حسن النية فيما كتبوا مستحيل ، لأن البغضاء قد بدت من أفواههم ومما كتبوا (5).

ولرد تلك الشبهة على أصحابها يمكن القول : بأن عنصر المعجزة لا يفارق القرآن حتى ولو صح الاتهام . فإذا ثبت أن محتويات القرآن مقتبسة من اليهود والنصارى والفرس فإن صياغة القرآن ليست منهم لأن لغاتهم أعجمية ، ولغة القرآن عربية في مستوى الإعجاز. وإذا بقي عنصر المعجزة في القرآن ــ ولو من ناحية واحدة ، وهي ناحية الصياغة ــ يكون دليلاً على أنه من الله ، ولا تبقى حاجة إلى إثبات أن القرآن معجزة في محتواه ، كما هو معجزة في صياغته(6). كما وأن التشابه بين الكتب السماوية راجع على وحدة المصدر والمبادئ ، وقد اختلطت التهمة بالدفاع ، فـ﴿ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَـذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل/١٠٣) ، وهذا يعبر عن مدى صدمة القرآن لعقلية الجزيرة العربية والناس أجمعين . وقد ذكر لنا الله تعالى هذا في كتابه الكريم فقال سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلا إِفْكٌ افْتَرَاهُ

---

(1) -Ibid: p.165.

(2)- Loc - Cit .

(٣)- تقرير مكتب التربية العربي لدول الخليج التابع لجامعة الدول العربية :مناهج المستشرقين في الدراسات العربيه والإسلاميه ،ج١ ، طبعة المنظمة العربية للعلوم والتربية ، تونس ،١٩٨٥ ، صـ ٣١ .

(٤)- د. عبد العظيم المطعني : مواجهه صريحة بين الإسلام وخصومة ، دار الأنصار ، القاهرة ،١٩٨٠ ، صـ١٤٥ .

(٥)- د. عبد العظيم المطعني :الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤١٣-١٩٩٢ صـ ١٣٠.

(6)-http://www.ebnmaryam.com/msadar_alquran.htm

وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْماً وَزُوراً) (الفرقان/٤) . ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ (الفرقان/٥) .كما قال أيضاً : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (النحل:١٠٣) .

كما يمكن الرد على زعم "دانييل" وغيره من النصارى بأن القرآن من عند رسول الله ﷺ وليس كلام الله تعالى بالأدلة الآتية:

١- إن إسلوب القرآن الكريم يخالف مخالفة تامة أسلوب كلام سيدنا محمد ﷺ ، فلو رجعنا إلى كتب الأحاديث التي جمعت أقوال سيدنا محمد ﷺ وقارناها بالقرآن الكريم ، لرأينا الفرق الواضح والتغايير الظاهرة في كل شيء ، في أسلوب التعبير ، وفي الموضوعات ، فحديث سيدنا محمد ﷺ تتجلى فيه لغة المحادثة والتفهيم والتعليم والخطابة ، في صورها ومعناها المألوف لدى العرب كافة ، بخلاف أسلوب القرآن الكريم الذي لا يُعرف له شبيه في أساليب العرب (١).

٢- يستشعر القارئ بفطرته عند قراءة الحديث النبوي شخصية بشرية وذاتية تعتريها الخشية والمهابة والضعف أمام الله تعالى ، بخلاف القرآن الكريم ، الذي يتراءى للقارئ من خلال آياته ، ذاتية جبارة عادلة حكيمة خالقة بارئة مصورة ، رحيمة لا تضعف حتى في مواضع الرحمة مثل قوله سبحانه في شأن أتباع عيسى عليه السلام ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (المائدة/١١٨) ، فلو كان القرآن من كلام سيدنا محمد ﷺ لكان إسلوبه وإسلوب الأحاديث سواء . ومن المسلم به لدى أهل البصر الأدبي والباع الطويل في اللغة أن من المتعذر على الشخص الواحد أن يكون له في بيانه أسلوبان يختلف أحدهما عن الآخر اختلافاً جذرياً (٢).

٣- سيدنا محمد ﷺ أمّيّ ما درس ولا تعلم ولا تتلمذ ، فهل يُعقل أنه أتى بهذا الإعجاز التشريعي المتكامل دون أي تناقض ، فأقر بعظمة هذا التشريع القريب والبعيد ، المسلم وغير المسلم ؟ فكيف يستطيع هذا الأمي أن يكوّن هذا القرآن بإعجازه اللغوي الفريد الغريب وإعجازه التشريعي المتكامل اجتماعياً واقتصادياً ودينياً وسياسياً ....، هل يمكن لهذا الكتاب أن يكوّن من عنده ؟! وهل يجرؤ على تحدي ذلك بقوله ﴿ أفلا يتدبرون القرآن

(١)- تقرير مكتب التربية العربي لدول الخليج : مرجع سابق ، صـ ١٤٠ – ١٤٤ .
(٢)- المرجع نفسه ، صـ ١٤٥ .

ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا ﴾ (النساء/٨٢) . هذا تحدٍ واضح لغير المسلمين فهو يدعوهم لإيجاد أي خطأ فيه [١].

٤- إن نظرة القرآن الكاملة الشاملة المتناسقة للكون والحياة والفكر والمعاملات والحروب والزواج والعبادات والاقتصاد ، لو كانت من صنع سيدنا محمد ﷺ ، لما كان سيدنا محمد ﷺ بشراً. إن هذه التنظيمات وهذه التشريعات والآراء تعجز عن القيام بها لجان كثيرة لها ثقافات عالمية وتخصص عميق ، مهما أتيح لها من المراجع والدراسات والوقت . فرجل واحد أياً كانت عبقريته ، وأياً كانت ثقافته ليعجز عن أن يأتي بتنظيم في مسألة واحدة من هذه المسائل ، فما بالك بكلها مع تنوعها وتلون إتجاهاتها ، وهل يتسنى لأمي أن يأتي بهذه النظرة الشاملة في الكون والحياة والفكر ؟[٢]

٥- لماذا يؤلف سيدنا محمد ﷺ القرآن وينسبه إلى غيره ؟ فالعظمة تكون أقوى وأوضح وأسمى فيما لو جاء بعمل يعجز عنه العالم كله ، ولكان بهذا العمل فوق طاقة البشرية فيُرفع إلى مرتبة أسمى من مرتبة البشر ، فأي مصلحة أو غاية لسيدنا محمد ﷺ في أن يؤلف القرآن – وهو عمل جبار معجز– وينسبه لغيره ؟[٣]

٦- في القرآن الكريم أخبار الأولين بما يُغاير أخبارهم في الكتب المتداولة أيام سيدنا محمد ﷺ ، فإن القرآن الكريم يحتوي على معلومات كثيرة لا يمكن أن يكون مصدرها غير الله تعالي. مثلاً : من أخبر سيدنا محمد ﷺ عن سد ذي القرنين – مكان يبعد مئات الأميال شمالاً– ؟ وماذا عن سورة الفجر وهي السورة رقم (٨٩) في القرآن الكريم حيث تذكر مدينة باسم إرَم "مدينة الأعمدة " ولم تكن معروفة في التاريخ القديم ، ولم يكن لها وجود حسب معلومات المؤرخين . ولكن مجلة الجغرافية الوطنية ، وفي عددها الذي صدر في شهر كانون الأول لعام ١٩٧٨، أوردت معلومات هامة ذكرت أنه في عام ١٩٧٣ أكتشفت مدينة إلبا في سوريا . وقد قدر العلماء عمرها بستة وأربعين قرناً ، لكن هذا لم يكن الإكتشاف الوحيد المدهش ، بل إن الباحثين وجدوا في مكتبة المدينة سجلاً للمدن الأخرى

---

(١)– نفس الموضع .

(٢)– نفس الموضع .

(٣)– المصدر نفسه ، ص ١٤٧ .

التي أجرت معها إلبا تعاملات تجارية ، وكانت إرم إحدى تلك المدن ! أي أن مواطني إلبا تبادلوا معاملات تجارية مع مواطني إرم [1]!

٧- ماذا عما فيه من إعجاز علمي في الكون والحياة والطب والرياضيات....وذلك بالعشرات بل والمئات ، فهل يُعقل أن هذا الأمي قد وضعها ؟ كيف عرف الأمي : أن الأرض كروية بشكل بيضاوي لقوله سبحانه ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا﴾ (النازعات/٣٠) ، وكيف عرف الأمي أن الحياة ابتدأت من الماء . ولا يمكن إقناع من عاشوا منذ أربعة عشر قرناً بهذا ، فلو أنك وقفت منذ أربعة عشر قرناً في الصحراء وقلت :"كل هذا الذي ترى وتشير إلى نفسك مصنوع أغلبيته من الماء" فلن يصدقك أحد ، لم يكن الدليل على ذلك موجوداً قبل اختراع الميكروسكوب . كان عليهم الإنتظار لمعرفة أن السيتوبلازم وهي المادة الأساسية المكونة للخلية تتكون من ٨٠% من الماء[2] ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء/٣٠).

٣- قوانين الزواج والطلاق :

يرى"دانييل أن: "تعدد الزوجات والطلاق في الإسلام قد فُسر من قبل النصارى على أنهما برهاناً دامغاً على أن الإسلام دين حسي يهب معتنقيه حرية جنسية لا حدود لها ، ولذلك فهو دين زائف[3] ، ولكن من المؤكد أن الإنسان بفطرته ينزع إلى تعدد الزوجات ، ولا شيء يستطيع أن يقنعه بالزوجة الواحدة إلا أقسى العقوبات ، ودرجة كافية من الفقر والعمل الشاق ، ومراقبة زوجته له مراقبة دائمة [4] ولذا أباح الإسلام التعدد ، كما أن "دانييل" نفسه يقر بأن المسلمون لديهم درجة أكمل من الأوربيين في أدب التصرف مع النساء Relation to Women ويقر "دانييل" بأنه طبقاً لهذا لا يجب أن يوصف الإسلام بهذا الوصف [5].

ويرى "دانييل" أن الدليل لدى النصارى علي شهوانية الرسولﷺ هو قصة "زيد" وزوجته "زينب" التي طلقها وتزوجها الرسول ﷺ بأمر إلهي Divine Command ، والسبب الحقيقي

---

(1)-.http://www.ebnmaryam.com/msadar_alquran.htm , Op – Cit .

(٢)- تقرير مكتب التربية العربي لدول الخليج ، مرجع سابق ، صـ١٤٨.

(3)-http://www.assiyasi.com/link.asp?ino=20&id=453&pg=16&title=16.

(٤)- ول ديورانت : قصة الحضارة (٢١-٢٢) ، النهضة والإصلاح الديني ، ترجمة ، محمد بدران ، ج٤ ، المجلد الخامس ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، صـ ٨٩ .

(5)- Norman Daniel : The Arabs and Mediaeval Europe , Op- Cit . P. 234 .

لدى النصارى هو أنه ﷺ قد برر رغباته الشخصية بالقول بأن ذلك وحي وأمر إلهـي مـن الله تعالى (١).

واستشهد "دانييل" على ذلك بأقوال "ريكالدو Ricaldo" والذي قال "إن محمداً فعل ذلك لكي يبرر الزنا Justify Adultery وهو يبرر الخطيئة الأقل بواحدة أكبر" (٢). كما استشهد "دانييل" أيضاً على صدق حديثة هذا بآراء "سان بيدرو" حيث قال الأخير "إني أتعجـب أن الأرض لـم تبيد Devour محمد ، لما فيه من نوايا مرضية ، تهدف إلى الحصول على زوجات الرجـال الآخرين ، إنه زنا ، والواقع أن اللاتينيين الأصل قد اصـطدموا بـالواقع الأخلاقـي للمفهـوم الإسلامي عن الوحي المستجيب للرغبات الجنسية" (٣). كما أكد "دانييل" على أن" أوربا أخـذت منذ فترة العصور الوسطي عن الإسلام مفهوم الدين الزائف False Religion والدليل علـى ذلك هو الحرية الجنسية Sexual Freedom التي لدى المسلمين ، وكـذلك فكـرة الممارسـة للأخلاق الجنسية كدليل لإدانة الإسلام ، " حيث تبدو المرأة في التصوير الاستشراقي للإسـلام مخلوق يقدم المتعة للمسلمين لإعطائهم فكرة عن الجنة ."(٤).

وقد أكد "دانييل" على أن من المستشرقين من كان يترجم القرآن الكريم ترجمة غير أمينـة أمثال "روبرت" حيث أنه كان دائماً يبالغ في ترجمة نص غير عدائي كي يضفي عليـه طابعـاً كريهاً أو إباحياً أو لتفضيل تفسير غير محتمل ومكروه على تفسير محتمل ومقبول (٥).

ونلاحظ هنا أن الغرب قد استخدم التعابير والصور الشرقية للدلالة على الإباحية والأعمال الجنسية ، واستخدمت التعبيرات والإيحاءات الجنسية للدلالة على الشرق ، وذلـك فـي سـياق مشروع استشراقي يعبر عن رغبة أوروبية وخدمة المخططات الجيوسياسية نحـو الـشرق . فالشرق تختصره في الذهن الغربي الاستشراقي كلمة "الحريم" ، هذا التجمع النسوي المفتـرض أن يكون معزولاً عن الغرباء سواء في الحمامات العامة أو غيرها ، فيطلق ذلك مخيلة التلصص الذكوري الغربي ، الذي يعيد إنتاج نفسه بهذا التلصص الخيالي متظاهراً أنه ينقل صورة الآخر.

---

(1) - Normal Daniel, "Islam and the West , Op- Cit . p . 31.

(2) - Loc- Cit .

(3) - Loc- Cit .

(4)- Normal Daniel: Islam Europe and Empire , Op- Cit , p . 239 .

(5) - Normal Daniel, "Islam and the West. , Op- Cit , p . 32.

فتركيز الخطاب الاستشراقي على الحمامات التركية قد خدم وظيفة تصوير المرأة الشرقية علي أنها منهمكة جداً ، وعلى نحو مغالي في جسدها ، ومن هنا فهي شهوانية فاسقة ، وهذا خلاف للبرجوازية الأوروبية المجددة ، المضحية بنفسها ، وغير الجنسية أساساً ، وعلاوة علي ذلك، فان هذه الجنسانيه المتأصلة قد عملت ضد قدرة الآخر علي حكم نفسه ، ومن ثم فقد خدمت كحجة لمصلحة الاستعمار . ولكن من المسلم به لدينا نحن المسلمين أن العفة والطهارة والبعد عن الزنا والأفعال القبيحة موجود في الإسلام وليست موجودة في الغرب ، والذي به متاجر لهذا الغرض ، تُعرض فيه النساء في "فاترينات" زجاجية في الشوارع ودور الدعارة المصرح بها رسمياً من قبل الحكومات الغربية ، كأي سلعة لمن يرغب فيها ، وكذا الحرية الجنسية الشديدة لدي المراهقين ، لذا فالغرب يوزع حبوب منع الحمل كل صباح على الفتيات المراهقات في المدارس ، لعلمهم بمدي الشهوانية الجنسية لديهم (١). كما أنه في فترة الحروب الصليبية خرجت المومسات للترفية عن الجنود المدافعين عن المسيح حسب زعمهم(٢) والمسيح منهم براء . فمن هو الذي لديه انحرافات أخلاقية وحرية جنسية ؟

وبخصوص أمر سيدنا "زيد ابن حارثة" فقد انزل الله تعالى به قرآناً يتلى ، وقد كان السبب هو إبطال عادة جاهلية ألا وهي عدم الزواج من مطلقة ما كان يعرف بالابن بالتبني ، فأبطل الله تعالى التبني وأحل الزواج من زوجة ذلك الإبن سابقاً حيث قال تعالى :﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً﴾ (الأحزاب/٣٧) . كما لو أن سيدنا محمد ﷺ كان يسعى للجنس فقط لما تزوج وهو في ريعان شبابه وبكر ، زوجة في الأربعين من عمرها ومات عنها زوجان ولها منهما أولاد ، وفارق السن كبير ، وكان هذا غير مألوف في ذلك الزمان (٣).

(1)–http://www.alarabonline.org/print.asp?fname=/data/2005/06/06-13/445.htm .

(٢)– د. جمال عبد الهادي : برنامج صفحات من التاريخ ، قناة الناس الفضائية ، بتاريخ ١٧-٦-٢٠٠٧ .

(٣)– عبد الرحمن يعقوب : زاد المحبين من سيرة النبي الأمين ﷺ ، مكتبة عباد الرحمن ، ط١ ، ١٤٢٣هـ –٢٠٠٢م ، ص ٣٢ .

٤- الحروب الصليبية :

يرى "دانييل" أن الحروب الصليبية هي حروب مشروعة وعادله بل ومقدسة ، ويؤكد على ذلك بقوله "إن التبشير بالصليب Preaching Of Crusade عامة كافي أن يجعلنا نتذكر دائماً كونها حرب مقدسه Holy War في المقام الأول ، لأنها كانت تعتزم إسترداد الأراضي التي تنتمي بحق إلى النصارى ، ..... ، حيث أن النصارى كانوا هم الأمة الوحيدة التي سلبها الإسلام عند نشأته وظهوره ثلاثاً من أفضل مقاطعاتها Best Provinces .... ويرجع المؤلفين مراحل الفقدان والخسارة إلى الخلفاء الأوائل الذين اتبعوا قدوة " محمد ﷺ " في العدوان Aggression" (١).

بل ويرى بالإضافة إلى ذلك أنها من أعظم أحداث التاريخ ، وتعتبر بمثابة "أسطورة" ، فقال "دانييل": "أن أسطورة Myth الحملة الصليبية يتم معاملتها كواحدة من أعظم أحداث التاريخ ، حيث قال"روبرت Robert" إن هذا العمل ليس للرجال ولكن من الله" (٢) . حيث أن الإسلام لم يكن فقط اللص أو السارق للمقاطعات التي فقدتها النصرانية ، بل كان العقبة الكبرى أمام وحدة العالم(٣).

كما يرى "دانييل" أنه كان يجب على نصارى تلك المناطق مساعدة الصليبيين في تلك الحرب حيث قال:"من الضروري أن يكون معلوماً لدى الجميع أن تلك المقاطعات المفقودة كانت تنتمي في الحقيقة إلى الكنيسة اللاتينية ، ولذا ناشد القديس "بيرنارد" المؤمنين أن يدافعوا عن المسيح في تلك البلاد ، وقد أوجب هداية أو إبادته Conversion Or The Extermination المسلمين في تلك المناطق ، حيث اعتبر أن الإسلام قد أضل الشرق Seduced The East عن النصرانية ، كما اعتبره "رودريك Roderick" كمضلل لأسبانيا ، وهذه الفكرة كانت هي الفكرة العامة المسيطرة على النصارى ككل" (٤).

ويري "دانييل" بالإضافة لما سبق أن الصليبيين في علاقتهم مع المسلمين لم يكن لهم هدف سوى إبادة المسلمين وتدميرهم وتدمير الإسلام حيث قال: "إنه لمن الواضح أن النصرانية قد

---

(1) - Normal Daniel: **Islam and the West**, Op- Cit. p.109.

(2)- Norman Daniel : **The Arabs and Mediaeval Europe**, Op- Cit . P. 120

(3) - Normal Daniel : **Islam and the West**, Op - Cit . p . 192 .

(4) -Ibid: p.109.

اعترفت بالعلاقة التي هدفت أوليا إلى تدمير الإسلام Destruction Of Islam ، وكان الفضل لحماس المبشرين ، علاوة على ذلك كان أمل الكنيسة هو تقليل الإتصال بالمسلمين إلى أدنى حد" (١). ويستشهد على ذلك برأي أحد أبرز المستشرقين وهو "ليل Lull" والذي كان أستاذاً للغة العربية في بريطانيا والذي قال :"إن الإسلام يمكن أن يعامل بسماحة في الظاهر ، لكن الحل الوحيد والأخير له هو التدمير (٢).

وكان لهذه الحرب حسب رأي "دانييل" فائدة دينية كبرى ، حيث سهلت عمل المستشرقين والمبشرين منهم على وجه الخصوص ، الذين تم إرسالهم بواسطة "سان رامون San Ramon" إلى المقاطعات الإسلامية ، حيث قال :"وفي هذا الإتصال فإن هناك أهدافاً مهمة للدعوة النصرانية في المقاطعات الإسلامية ، وقد كانت أهداف هذه الدعوة في إفريقيا وأسبانيا على سبيل المثال كالتالي :

١- الاهتمام بالجنود النصارى الذين يتشوقون إلى كلمة الله Word Of God.

٢- الاهتمام بالنصارى أبناء البلد الذين يتحدثون العربية ، والذين كان لا يهتم الرهبان بهم.

٣- عودة المرتدين Renegades الذين كانت ردتهم بسبب الفقر أو إغراءات المسلمين .

٤- إعادة تحسين صورة النصرانية المشوهة في الشرق ، وذلك ليس على يد المسلمين فقط ولكن أيضاً على يد بعض النصارى الذين تم خداعهم Duped بواسطة النصارى اللاتينيين الذين كانوا وثنيين أو عباداً ظاهريين .

٥- إرشاد وتعازي ومواساة الأسرى النصارى لدى المسلمين (٣).

٦- إظهار خطأ معتقدات الخصم ، بل وجعل هذه المعتقدات بغيضة وكريهة ، حتى تجعل فكرة التحول لهذا الدين فكرة غير مطروحة بالمرة (٤).

---

(1) -Ibid: p.123.

(2) -Ibid: p.118.

(3) -Ibid: p.119.

(4)- Normal Daniel : **Islam Europe and Empire** , Op- Cit . p . 4 .

ويكمل "دانييل" قائلاً :"ومما سبق يتضح لنا كم كان من النادر التعاون والتواصل من أي نوع مع المسلمين ، وكذا الأمل الضعيف في تحويلهم عن دينهم ، ولكن يجب عدم اليأس من ذلك طالما هناك وعظ وتبشير[(١)].

ونرى هنا كم يُعَول "دانييل" من الأهمية على الاستشراق ودوره في هداية المسلمين للنصرانية ، وكذا إعادة النصارى المرتدين عنها ورعايتهم ورعاية كل النصارى . وقد برر "دانييل" استخدام القوة ضد المسلمين ، بأنهم قوم قساة القلوب ، والحرب هي لغتهم منذ بداية انتشار الإسلام وحتى الآن ، حيث قال :"إنهم يمجدون القوة ، ولذا أمروا أن يسرقوا وأن يأسروا ويسجنوا ويقتلوا أعداء الله ورسوله ، وأن يدمروهم بكل طريقة ، واستشهد على ذلك بأقوال "بيدرو دي الفونسو"........، كما أن التوسع السريع للمسلمين تحت حكم الخلفاء الأوائل كان شأن المسلمين المحاربين الأقوياء ، كما كان هناك تمييز لدى المستشرقين بين النصارى الذين دخلوا الإسلام خوفاً من السيف ، والآخرين الذين دخلوه بالوعد بمكافئات أو بالجنة" [(٢)].

ويرى "دانييل" أيضاً أن هناك سبب آخر للحملات الصليبية ألا وهو الخوف من الأتراك ، والذي كان جزءاً مهماً من الصورة المركبة في الغرب عن الإسلام [(٣)]. لكن عندما تبدد الخوف منهم جاءت الحملات الصليبية ، وفي العصر الحديث أتت الحملة الصليبية بقيادة "نابليون" إلى مصر تحت مبرر شن الحرب على المماليك فقط دون الشعب ، حيث أنها كانت تهدف إلى تحرير الشعب من ظلم المماليك وبطشهم ، وحماية نصارى مصر منهم [(٤)].

ونرى هنا مدى التشابه الكامل بين موقف "دانييل" من تبرير الحروب على الإسلام ، وصبغها بصبغة أخلاقية ، وبين تبرير الحروب الصليبية السابقة ، وكذا الحروب الأمريكية الآن على الدول الإسلامية ، وصبغها بنفس الصبغة ، مثلما حدث في العراق وأفغانستان والصومال وغيرها الكثير والكثير ، والعرض مستمر، وما أشبه الليلة بالبارحة.

وبهذا مثلت المرحلة الصليبية فترة مظلمة في تاريخ العلاقات بين أوربا والعالم الإسلامي ، فهي مرحلة مليئة بالعنف والحروب والنهب والمذابح الوحشية وتدمير المدن ، وتصاعد الحقد والكراهية وعدم الاستقرار. ومن جانب آخر كانت مناسبة لاكتشاف كل طرف الطرف الآخر

---

(1) - Normal Daniel, "Islam and the West , Op- Cit . p119.

(2) -Ibid: p.123.

(3)- Normal Daniel : Islam Europe and Empire , Op- Cit. p . 4 .

(4) -Ibid: p.97.

عن قرب ، وعبر التعامل المباشر [1]. وقد بدأت الخطوة الأولى من الحروب الصليبية ، عندما وجه الإمبراطور البيزنطي "طالكسيوس كومونيس Alexius Communes" (حكم ١٠٨١ــ ١١١٨م) نداءات متكررة طالباً مساعدة بابوية لمواجهة إحتلال الأتراك السلاجقة جزءاً من أراضي الإمبراطورية. ورداً على استغاثته ، ألقى البابا "أوربان الثاني Urban II" (١٠٨٨ ــ ١٠٩٩م) خطاباً في عام ١٠٩٥م ، جنوب فرنسا ، قريباً من الحدود الإسلامية لأسبانيا . وكان خطابه مليئاً بالإشاعات عن وحشية المسلمين وفظاعتهم ، ملمحاً إلى الأطماع الشخصية ، ومؤكداً على أتباعه "ضرورة دخول الطريق إلى الضريح المقدس ، وانتزاعه من العنصر الشرير ، ووضعه بأيديهم" . ورفع شعاراً دينياً يبرر الحملات المرتقبة ويشجع الناس عليه ، فكان شعار (هذه مشيئة الله) هو القادر على تعبئة الجماهير . وسرعان ما انتشرت دعوة البابا مثل النار في الهشيم من فرنسا إلى بقية الأوربيين ، غني وفقير ، شاب وكهل . وقد تبنى التبشير بالحركة الصليبية "بطرس الناسك" ، الذي كان يتمتع بالفصاحة والقدرة على التأثير ، فطاف أقاليم فرنسا ليخرج منها بخمسة عشر ألف متطوع معهم نساؤهم وأطفالهم ، وبحلول عام ١٠٩٧ كان هناك ١٥٠،٠٠٠ محارب صليبي قد وصلوا القسطنطينية ، معظمهم قدم من فرنسا والنورمان [2]. وكان من الشائعات التي روج لها المغرضون : نشر بعض الصور لما يعتقدون أنه المسيح عليه السلام وهو ينزف دماً من الضرب قبل مماته ، ويقف بجواره من فعل به ذلك ، وهو سيدنا محمد ﷺ ، مما أثار الأوربيين ودفعهم إلى السعي لتحرير القدس ممن عبث بقبر المسيح . وغيرها الكثير والكثير من الأكاذيب ومن الأماني لما سيجدونه في الشرق من أموال وخيرات [3]. وعندما دخلوا القدس لم يفرقوا بين المسلمين والنصارى واليهود ، فارتكبوا في الجميع أفظع المذابح التي عرفها التاريخ .

---

(1)-http://www.darislam.com/home/esdarat/dakhl/alaam/data/16.ht .

(2)-Loc – Cit .

(٣)- د. جمال عبد الهادي : مرجع سابق .

٥- الجهاد :

يرى "دانييل" أن الجهاد هو شيء مقدس لدى المسلمين فقانون القتل والإبادة هو شـريعتهم في حروبهم ، وكانوا يحوّلون الناس عن دينهم بحد السيف ، ولذلك يرفضون الجدال مع غيـر المسلمين ، وذلك لأن شريعتهم ودياناتهم غير مقنعة للعقلاء ، ولذا فهم يرفضون الجدال في تلك الموضوعات مع أهل الكتاب من اليهود والنصارى . حيث قال :"إن تحول الناس عن النصرانية كان بحد السيف ، فقد كان المسلمون يسوقون الرعية بالقوة كالحيوانات وليس بالإقناع كالبـشر وإن سيدنا محمد ﷺ والإسلام لم ولن يسمحوا بالمجادلات العقلانية "(١) .

ويستشهد "دانييل" على ذلك برأي "بيتر Peter" القائل " يا محمدﷺ لو أنك لم تفعل شيئاً آخر سوى توجهك أنت وأتباعك نحو" الله عز وجل"، فهل من الممكن أنني كنت سـأتبعك وأصـدق رسالتك ؟ هل من ممكن أنني كنت أثق أنك رسول الله ؟ هل كنت سأصَدق دينك ؟ ولو صدقتك فلم أكن سوى أكثر من مجرد حمار لو أنني فعلت ذلك " (٢).

كما يرى "دانييل" أن ذلك مرجعه إلى عدم ثقة النبي ﷺ في دينه ، لذا يحرم الجدال العقلـي حيث قال:"فلو أن محمد ﷺ لدية الثقة الكافية في دينه ، فلماذا يحـرم علـى أتباعـه الجـدال Dispute ؟ ولو أنه غير واثق فلماذا يكتب أشياء لا يمكنهم الدفاع عنها ؟ ولكنه عرف (أو مع الاعتذار" لمحمد ﷺ") أن الشيطان Satan الذي يتحدث بداخله يعلم مدى قوة النصارى واليهود ودياناتهم لذا يرفض الجدل معهم (٣). كما استشهد "دانييل أيضا بـرأي "بطـرس" الـذي حـذر المسلمين من أن المزيفين فقط هم الذين يسعون خلف الظلام ، وأكد للمرة الثانية على رفـض النقاش والجدال ، ولم ينس أيضا الحديث عن عنف المسلمين ، فالكلمات تعجز كما يقول عـن وصف وحشية المسلمين"(٤) .

كما يرى"دانييل" أن قانون التعامل في الحرب لدى المسلمين كان هو :"أن الأعداء لابد من قتلهم وسبي نسائهم وأطفالهم ....، وبهذا استخدم الرسول ﷺ القوة والسلاح ، كي يظهر معجزاته

---

(1) - Normal Daniel, "Islam and the West , Op- Cit . p . 124.

(2)- Loc - Cit .

(3)- Loc - Cit .

(4) - Loc - Cit .

للناس ليؤمنوا به"[١]. كما استشهد "دانييل" في تلك النقطة برأي "اليفر بدروبرن" الذي قال :"في الإسلام إما أن تقتل أو تقتل كي تفوز بالجنة Paradise ... وإن الدين الإسلامي قد بدأ الإنتشار بحد السيف Sword وسوف يستمر بالسيف ، وسوف ينتهي Ended أيضاً بالسيف " [٢].

واستشهد أيضاً برأي" فيتري Vitry" الذي قال بدوره "إن استخدام الإسلام للقوة كان مشتق من تصرفات "محمد ﷺ" . وكذا استشهد برأي " هيوم بيرت Hum Bert" الذي قال: "إن المسلمون الأوائل أجبروا Forced النصارى على ترك ديانتهم والدخول في الإسلام كرهاً ، ومن لم يفعل كان مصيره القتل ، ولازال المسلمون يفعلون نفس الشيء حتى وقت قريب ، فالمسلمون متعصبين Zealous لدينهم ، وعندما تسمح لهم الفرصة ويمتلكوا القوة فإنهم سرعان ما يطيحوا بأي شخص يقف في وجههم وفي وجه دينهم [٣]".

ثم يعرض"دانييل" لموقف "تريبولي Tripoli" الذي اتخذ الإكراه والإلزام –على حد تعبير "دانييل" – الموجود في الإسلام ليؤكد هو أيضاً أن الإسلام سوف ينهار بحد السيف مثلما انتشر به. وكذا أكد " فيدينزيو Fidenzio" على أن "الإسلام يتسم بالوحشية "[٤]. وفي النهاية يرى "دانييل بعد تقصي وتحليل الموضوع أن "هناك اتفاق جماعي على أن الإسلام دين وحشية وانتشر بحد السيف ، سواء أكان مما قيل عنه أو في طريقة انتشاره "[٥].

ومن المعلوم أن الهجوم علي الإسلام ليس جديداً على الغرب ، فهي إستراتيجية قديمة لجأ إليها أقطاب الكنيسة الغربية منذ ظهور الإسلام ، ثم تأجج عندما دفعت الأسباب الإستراتيجية الطرفان للصدام العسكري في ساحة المشرق العربي . أما على الصعيد الفكري فقد رأى هؤلاء أن عقيدة الإسلام هي نقيض للنصرانية ، وخصوصاً عندما تطورت في الغرب ، وداخلتها مبادئ وعقائد لم تكن معروفة من قبل ، لذلك التزم آباء الكنيسة الكاثوليكية السخرية من القرآن، لإضعاف تأثيره بين الناس تماماً مثلما فعل الجاهلون قديماً ، حيث يقول القرآن الكريم عن الجاهلية العربية : "وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون" (فصلت/٢٦).

---

(1) - Loc - Cit.
(2) - Loc - Cit.
(3) - Loc - Cit.
(4) - Loc - Cit.
(5) - Loc - Cit.

كما يمكن الرد على ذلك بأقوال "نورمان دانييل" ذاته حيث قال "كلما تركز الإسلام واتسع نفوذه ، كلما ازدادت الحملة عليه من الكتاب الغربيين" وهي حملة لم تلتزم الإنصاف والقواعد العلمية ، وإنما السخرية والتهجم بهدف سحق الخصم بصرف النظر عن الحقيقة (١).

كما يمكن الرد أيضاً من أقوال المستشرقين الآخرين أنفسهم على تلك الفرية ، وهي انتشار الإسلام بحد السيف . حيث أن المؤرخ الفرنسي "لوبون " في كتابه "حضارة العرب" يؤكد أن سر انتشار الإسلام في عهد الرسول ﷺ ، وفي عصر الفتوحات من بعده ، هو الدعوة وليس السيف ، إذ يقول:"قد أثبت التاريخ أن الأديان لا تفرض بالقوة ، ولم ينتشر الإسلام إذن بالسيف بل إنتشر بالدعوة وحدها وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب ... وبلغ القرآن من الإنتشار في الهند – التي لم يكن العرب فيها غير عابري سبيل– مبلغاً عظيماً ما أدى لازدياد عدد المسلمين إلى خمسين مليون ... ولم يكن الإسلام أقل انتشاراً في الصين التي لم يفتح العرب أي جزء منها قط (٢) ." كما أن الحرب في الإسلام كانت حالة طارئة ، تقتضيها الظروف القهرية من أجل صد العدوان وتثبيت دعائم الدولة (٣) ، ونشر كلمة لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله . والحرب في الإسلام بوجه عام بخلاف الحرب الهمجية التي يكون الغرض منها الإسراف في القتل والسلب والنهب كما في الغرب (٤).

فلقد مكث الرسول ﷺ ثلاثة عشر عاماً يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولذا دخل الإسلام خيار الناس من الأشراف ، وكان أغلبهم من الفقراء ، ولم يكن لديه ﷺ قوة سيف ولا ثروة يغري بها هؤلاء الناس للدخول في الإسلام . وأكد على ذلك أيضاً المستشرق "توماس كارليل" حيث قال في كتابة "الأبطال وعبادة البطولة": (إن اتهام محمد ﷺ بالتعويل على السيف في حمل الناس على الإستجابة له ولدعوته سخف غير مفهوم ، إذ ليس مما يجوز في الفهم أن يشهر رجل فرد سيفه ليقتل به الناس ، أو يستجيبوا له ، فإذا آمن به من يقدرون على حرب خصومهم

---

(1) –Ibid : p. 272 .

(٢)– د. محمود حمدي زقزوق : حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ،١٤٢٣، ٢٠٠٢ ، صـ ٤١٠ .

(٣)– د.أحمد فؤاد رسلان : نظرية الصراع الدولي ، دراسة في تطوير الأسرة الدولية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ ، صـ ٧٦ .

(٤)– د. محمد إبراهيم الفيومي : الاستشراق رسالة استعمار "تطور الصراع الغربي مع الإسلام" دار الفكر العربي ، ١٤١٣هـ ، صـ صـ٣٨–٣٩ بتصرف .

فقد آمنوا به طائعين ، مصدقين ، ولقد تعرض المسلمون للحرب من غيرهم قبل أن يقدروا عليها[1] .

وفي الختام نستدل بالقرآن الكريم وهو خير ختام حيث أن الله تبارك وتعالى قد كرم رسوله الكريم ﷺ في قوله وفعله وخلقه وعلمه وجميع شمائله ، فقال تعالي حين كرم منطقه ﴿ما ضل صاحبكم وما غوى*وما ينطق عن الهوى﴾ (النجم /٢،٣).

وكرمة في علمه فقال: ﴿علمه شديد القوى﴾ (النجم /٥).

وكرمة في خلقة فقال: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (القلم /٤).

وأكد على رحمته فقال: ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لنفضوا من حولك﴾ (آل عمران /٥٩).

كما أمره تعالى بتلك الرحمة فقال﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء /١٠٧).

وقال تعالي أيضاً لنفي الإجبار على الدخول في الإسلام : ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ (البقرة /٢٥٦). كما قال تعالي: ﴿لكم دينكم وليّ دين ﴾ (الكافرون /٦)

فكيف يمكن بعد كل هذا أن يخالف سيدنا محمد ﷺ أمر الله تبارك وتعالي ، ويحمل السيف عدواناً وظلماً على الناس . ووالله لقد صدق على هؤلاء الظالمين المفترين على الله ورسوله الكذب ، قوله تبارك تعالي : ﴿كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً﴾ (الكهف /٥) .

وبعد هذا العرض نجد أن "جارودي" يتفق مع "دانييل" حول علاقة الغرب مع الآخر حيث رأى "جارودي" أن الغرب يمارس على الآخر فرض الهيمنة والسيطرة لتحقيق المصالح الغربية أولاً وأخيراً وذلك من خلال الغطرسة الأمريكية والتي تستخدم آليات متعددة لتفتيت الآخر وتشويه صورته ، وذلك لتحقيق أهداف إستعمارية للغرب على حساب الآخر . ورأى "دانييل" أن الغرب قد قام بتشويه صورة المسلمين تحديداً من أجل ترسيخ البغض لهم في داخل القلوب الغربية ، الأمر الذي نتج عنه الصراعات والحروب المستمرة حتى اليوم . وإن كان في خلال عرضه لذلك قد تجنى على الإسلام أيضاً بذكر الآراء والافتراءات التي لصقت به من قبل أقرانه من المستشرقين ، ولم ينفيها إلا في أضيق الحدود ، بل وكان مؤيداً لبعضها الآخر ، مما يدل على عدائه أيضاً للإسلام وبغضه له .

(١)– د. محمود حمدي زقزوق ، مرجع سابق ، صـ ٤١٠ .

الفصل الرابع

نقد جارودى ودانييل للحضارة الغربية

تمهيد :

يتناول هذا الفصل نقد المفكران للحضارة الغربية ، وسيتم تناول هذا الموضوع لدى "جارودي" من خلال نقده لعداء الغرب للإسلام ومساندتهم لليهود ، ثم يعرض لمظاهر اضمحلال الغرب والحضارة الأمريكية ، وانتقاده للمساعدات التي يقدمها الغرب للدول النامية ، ثم يعرض لعلاقة الغرب بالقومية العربية ، والصهيونية العالمية ، ثم يتم عرض بعض الأخطاء التي وقع فيها "جارودي" ، وهي إنكاره لخروج اليهود من مصر ، وعدم أحقية اليهود في القدس ، وتعطيله لحد السرقة ، وقوله بعدم صلاحية التشريع الإسلامي لكل زمان ومكان ، والقول بصلب المسيح ، وسياسة المركز الحضاري بقرطبة . ثم نقد "دانييل" للحضارة الغربية من خلال : عرضه لأيدلوجية الغرب تجاه الإسلام ، وما يسمى حوار الأديان ، والحملة الفرنسية على مصر ، ورعب الغرب من الخلافة الإسلامية .

أولاً :ــ جارودي :

ينقد "جارودي" دائماً مساوئ الحضارة الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً ، وهو لا يطرح نظرية للحضارة ، لكنه يقدم كماً هائلاً من التفاصيل الدقيقة التي تكشف عن فهم استيعابي للحضارة الغربية عموماً والأمريكية خصوصاً ، وللأسس الفلسفية التي قامت عليها . ومن أهم ما انتقد به "جارودي" الحضارة الغربية ما يلي :

١ – عداء الغرب للإسلام :

سعت الدراسات الغربية إلى تشويه صورة الظاهرة الإسلامية المتنامية بشتى الوسائل ، كالإتهام بالعمالة والتطرف والعنف والجمود والرجعية والتعصب والحكم على معتقداتها ومناهجها بمقاييس تجربة الغرب المُرة مع الكنيسة ، أو بمقاييس المذهبية العلمانية الرافضة للدين ، أو الإدعاءات الزائفة ، كما سعت إلى تخويف الغرب حكومات وشعوباً من الإسلام والإسلاميين ، ومن العودة إلى الحكم الإسلامي ، وتخويف حكومات البلاد الإسلامية ، والأقليات غير الإسلامية والتكتلات المناهضة للإسلام ، من الظاهرة الإسلامية ، هذا بالإضافة

إلى تحسينها صور التيارات والحركات والدعوة المذهبية المعادية للإسلام كالقومية العرقية والعلمانية الدنيوية ، أو اللادينية والوطنية الضيقة ، ثم دعمها وتزكيتها لدى الأنظمة الحاكمة[1].

وأصبحت الحضارة الأوربية المعاصرة تستند في تكوينها العقلي إلى حد كبير على حركات فكرية تتابعت في تاريخها الحديث مثل حركة النهضة الأوربية والإصلاح الديني وحركة التنوير ، وقد ذادت هذه الحركات من رسوخ ملامح الصورة المشوهه التي كونتها أوربا عن الإسلام ونبي الإسلام ﷺ في القرنين الحادي عشر والثاني عشر ، وذلك كنتيجة لترديد التهم الباطلة التي ألصقت بالإسلام ونبيه والقرآن الكريم ، "فدانتي" الشاعر الإيطالي المشهور وأحد أعمدة حركة النهضة ، صور الرسول ﷺ وقد ألقي في الدرك الثامن والعشرين من جهنم ، وقد شُطر إلى نصفين من رأسه إلى منتصفه ، وصوره وهو ينهش بيديه في جسمه عقاباً له على ما اقترفه من فضائح وآثام وشقاق بين الناس ، وهو في رأيه تجسيد كامل للروح الشريرة ، وصور الإسلام كمن سبقوه : زندقة أنتجت ظلاً مخيفاً خيم على العالم كله [٢]. كما عرض "فولتير" لشخصية سيدنا محمد ﷺ كنموذج للتعصب الديني والتسلط السياسي . وكل ذلك كان يسخر لخدمة المشاحنات الأيدلوجية الغربية ، لا كدراسة حقيقية للشرق ككيان مستقل[٣] . كما أن "نابليون" أضاف إلى ذلك أثناء احتلاله لمصر علاقة جديدة بين الغرب والشرق وهي الخداع والسيطرة[٤]. كما قدم "فيكتور هيجو" والمتحمس لدراسة الشرقيات شرقاً تافهاً في أعماله المتنوعة [٥].

ومن الملاحظ أن العداوة الغربية للإسلام هي أمر ثابت منذ وقت طويل ، وقد اتخذت الحرب ضد الإسلام بعد أحداث "١١ سبتمبر" منعطفاً جديداً لم يكن مألوفاً من قبل ، ولعلها أكبر هجمة عليه بعد الحروب الصليبية ، التي لم يكن هناك في حينها لا إعلام ولا أقمار تنقل الصور والبشاعات ، فقد أصبح الإسلام مستهدفاً بشكل كبير باعتباره عدواً للحضارة الغربية تارة ، وتهديداً للغرب أخرى ، وإرهاباً تارة ثالثة ، وهمجية تارة رابعة . وقد وجد الكثيرون في الحادث فرصة للنيل من الإسلام وشن حرب إعلامية ودعائية قوية ضده ، مستفيدين هذه المرة من الأجواء المشحونة ضده في أمريكا وأوربا ، لتأليب الرأي العام العالمي والغربي على

(1)- http://www.kitabat.com/i16023..htm.

(2)- http://www.balagh.com/woman/hqoq/j7olpqlx.htm-3ok .

(٣)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١٣٥ .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ ١٣٦ .

(٥)- الموضع نفسه بتصرف .

المسلمين ، وخلق حالة من "الفوبيا" الخطيرة التي تهدد بقطع جذور التواصل الحضاري [1]. وليس في الأمر مفاجأة ففي كل مراحل التاريخ كان الإسلام في جوهر الصراع العالمي العقائدي والسياسي .

ولكن الأمر لم يتوقف عند حد اتهام المسلمين والإسلام بالإرهاب والعنف والهمجية ، بل تعداه إلى المس بشخص الرسول ﷺ وإلصاق التهم الرخيصة به ، وهي زيادة في الكيد تبين أن الأمر يتجاوز كونه نتاج سوء فهم أو تقدير بقدر ما هو حرب حقيقية ولكن ﴿يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾ (الأنفال/٣٠) ، وصدق الله وعده ونصر عبده ودينه حيث دخل تحت راية الإسلام بعد الهجمة على الإسلام عقب أحداث ١١سبتمبر عشرات الآلاف ، وأعلنوا اعتناقهم للدين الإسلامي ، وصاروا يدعون إليه كلٍ بطريقته ، الأمر الذي زاد من حقد البعض المريض وأخذ يتهجم على الإسلام في جميع وسائل الإعلام والفضائيات وعلى مواقع الشبكة الدولية "الإنترنت" [٢]. وفي خلال كل هذه المواقف المتتابعة ، منذ ما قبل ١١ سبتمبر وما بعدها بدا الأمر وكأن هناك "حلفاً مقدساً" في الغرب وفي أمريكا بالذات يستجمع قوته للهجوم على الإسلام.

إن هذه الحملات كلها ما هي إلا حلقة في سلسلة ممتدة عبر تاريخ العلاقة المهتزة بين الغرب والإسلام ، كانت ترتفع أحياناً وتهدأ أخرى ، لكنها لم تبرح ذاكرة الغرب ونخبه ومثقفيه ، وأخذت دفعة قوية بعد انهيار الشيوعية وزوال الإتحاد السوفيتي ، لتأخذ دفعة أقوى بعد أحداث سبتمبر ، والتي اعتبرها االأصوليون النصارى المتطرفون واليهود مناسبة لا يجب أن تفوتهم ليجعلوا منها عنواناً لصراع الحضارات الأثير لديهم . ولذا ظهر المنظر "هنتجتون" الذي قال بما يسميه "الحرب الحضارية" حيث قال :"إن الحرب العالمة الثالثة إذا ما انجرت ، ستكون نوع جديد إذ لن تكون نتيجة تنافس الأوربيين فيما بينهم ، بل مجابهة بين حضارتين ، حضارة المركز (الغرب) وحضارة المحيط (بلدان الإستعمار القديم) ، كما يعطي "هنتجتون" لهذين الطرفين مفهوماً دينياً : وهو أن الصدام سيكون بين حضارة يهودية نصرانية ، وبين حضارة إسلامية كونفوشيوسية[٣] .

---

(1)- http://www.islamtoday.net. /imazaaslmna130.htm .

(٢)- احمد حامد : لماذا أسلم هؤلاء من قارات العالم إلى الإسلام ، مطابع وزارة الأوقاف ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م، صـ ٦.

(٣)- روجيه جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٢ .

وتبقى النقطة الحساسة في حدود الإمبراطورية الأمريكية في رأي "جارودي" وهي "عتبات الإمبراطورية" والمتمثلة في الخليج العربي ، لأنه محاط بأغزر أبار البترول في العالم ، وسيبقى لعشرات السنين "عصب التنمية الغربية". وفوق هذه العتبات ، يتحقق لوحدانية السوق أحدث نصر ، إذ جرى تدمير العراق عبر حرب خاضتها الولايات المتحدة بتأثير من اللوبي الصهيوني والشركات متعددة الجنسيات في الولايات المتحدة اللتان دفعتاها لفتح نار المعركة[1].

٢ – مساندة اليهود :

تسعى الولايات المتحدة لمساندة إسرائيل بالمال والسلاح ، والدعم السياسي الدولي وذلك لأسباب منها ، أن الصوت اليهودي في أمريكا يمثل عاملاً حاسماً في تحديد من يحصل على الأغلبية في الإنتخابات [2]. كما تمثل إسرائيل للغرب موقع مهم وحيوي ،لذا فهي حليف قوي بالنسبة لهم ضد الإسلام [3]. كما أن موقعها هو موقع استراتيجي للغرب وموقع اقتصادي ، لوقوعه في قلب منطقة تحتوي على نصف بترول العالم ، كما تقنع إسرائيل الغرب بأنها في المنطقة لمواجهة الشر بدلاً منهم ، وتحاول حمايتهم من الإرهاب الإسلامي [4].

ويرى "جارودي أن كل ما يهم الأمريكيين هو الحفاظ على جيش من مرتزقة أمريكيين ، يرتدون ذي الجيش الإسرائيلي ، كما وأن قوة القبضة اليهودية تأتي من القفاز الفولاذي الأمريكي الذي يغطيها ، ومن الدولارات التي تبطنها"[5]. ولذا أصبح الجيش الإسرائيلي بفضل الإمدادات المالية التي تدفقت عليه من أمريكا وألمانيا وأسبانيا أصبح قوة ضاربة تفوق قوة الدول العربية مجتمعة [6] (*).

(١)– المصدر نفسه ، صـ ٤ .

(٢)– روجيه جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، ترجمة محمد هشان ، تقديم محمد حسنين هيكل ، دار الشروق ، ط٥ ، ٢٠٠٢، صـ ٢٥٥.

(٣)– روجيه جارودي : محاكمة الصهيونية الإسرائيلية ، بدون مترجم ، دار الشروق ، ط٢ ، ٢٠٠٠ ، صـ٣٥ .

(٤)– روجيه جارودي : جارودي يفضح الصهيونية الإسرائيلية ، ترجمة رانيا بوناصيف ، وبيار ريشا ، مراجعه هنري رغيب ، عويدات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ ، صـ صـ ١١٠ – ١١١ بتصرف .

(٥)– محمود فوزي : جارودي والإسلام وغضب الصهيونية ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ ،صـ ١٢١.

(٦)– روجيه جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، مصدر سابق ، صـ ٣٠٩ .

(*) يرى الباحث أن في ذلك مبالغة من "جارودي" ، متناسياً أنه شهد هزيمة هذا الجيش مرتين متتاليتين على يد حزب الله ، وهو جيش غير نظامي ، يتبع إسلوب حرب العصابات . الأولى حين انسحب من جنوب لبنان ليلاً دون سابق إعلان ، والثانية حين أراد إسترداد الأسرى الإسرائيليين ، ففقد المئات من جنوده ودباباته وطائراته ، وعاد مرة ثانية مهزوماً دون استردادهم .

كما وأن هناك دعم مخابراتي تكنولوجي بالتعاون مع أكبر شركات الكمبيوتر الأمريكية ، حيث قامت هذه الشركات بإنتاج برنامج يطلق عليه "وعد Promise" ودسه داخل أجهزة الكمبيوتر ، فيسمح هذا البرنامج للأمريكان باختراق بنوك المعلومات للجهاز ، وتقوم الأجهزة المعنية ببيع هذا الجهاز لجميع دول العالم ، ليصبح العالم كتاباً مفتوحاً أمام الأمريكان ، وقدم الأمريكان هذه التقنية لإسرائيل ، والذين بدورهم باعوا الأجهزة للفلسطينيين ، لتعمل داخل مكاتب المياه والكهرباء ، فاستطاع اليهود من خلال متابعة معدلات الإستهلاك كشف تحركات ونشاطات الفلسطينيين ، ومعرفة المنازل التي تكتظ بالسكان والخاوية منها (١).

ويرى "جارودي" أن كلمه الإرهاب في وجهة النظر الغربية تشمل كل أشكال مقاومة الشعوب دفاعاً عن استقلالها مع استبعاد كل أشكال الإرهاب التي تمارسها الولايات المتحدة والتي تهدد استقلال هذه الشعوب ، فعلى سبيل المثال يزعمون أن مقتل جندي إسرائيلي في الجزء المحتل من جنوب لبنان ، بمعنى أن يُقتل من قبل المقاوم ، كما حدث في الماضي في فرنسا أيام الإحتلال النازي ، هو عمل إرهابي ، أما مذبحة المدنيين في قانا والقصف الإسرائيلي الذي وصل لحدود مدينة بيروت فهو "دفاع مشروع" ، تماماً كما هو مشروع تصفية النازيين لأربعين من رجال المقاومة في "شاتوبريان" انتقاماً لمقتل ضابط ألماني في باريس (٢). وبهذا سيزداد العنف والصراع في المنطقة طالما هناك ازدواجية في المعايير. لذا أكد بعض المفكرين الغربيين أمثال "جاك ميلس" أن الإرهاب سيزداد إذا لم تضيق الهوة بين الغرب والعالم الإسلامي حيث ينزلق العالم إلى الإرهاب و"الإرهاب المضاد Opposite Terrorism". لذا أوجب البدء بالحوار مع المسلمين والشعوب الإسلامية بداية بمسلمي الغرب (٣).

ويرى"جارودي" أن "خطة السلام" المزعومة في فلسطين هي النموذج الأكثر تعبيراً عن المناورات الأمريكية ، فهذه الخطة لا تقدم للفلسطينيين إلا غبار ما كان يتمتع به المواطنون السود في التنظيمات الإدارية في ظل نظام التمييز العنصري في إتحاد جنوب إفريقيا "البانتوستان" ، ويمثل أقل من ٦% من الأراضي الفلسطينية محاطاً بطرق تصل المستعمرات الإسرائيلية بحماية الجيش الإسرائيلي . وقد شارك حزب العمل في هذا التفتيت الذي اخترعه "بيجن" تحت اسم الحكم الذاتي ، والذي تابع خلفاؤه من الليكود وكاديما ، الذين تسلموا السلطة

---

(١)- د. سعيد اللاوندي : أمريكا في مواجهة العالم ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٣ ، صـ ٥٥ بتصرف

(٢)- جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٥ .

(3)- Miles , Jack :"the Ology and the Clash Of Civilizations" Cross Currents ,Vol.51 ,Winte 2002 , P. 4

اليوم تنفيذه بسعي حثيث [1]. فاليهود لا يسعون للسلام مع المسلمين ، لكن هدفهم هو المماطلة ليس أكثر ، لأن اليهود يكرهون الآخر عموماً والمسلمين خصوصاً ، ولذا كانوا في بعض الفترات يحرّمون على أنفسهم شرعاً الزواج من نساء غير اليهوديات ، كي يحافظوا على نقاء العرق والدين ، ولتجنب امتزاج الدم اليهودي بالأمم التي يعيشون بين ظهرانيها [2]. فهم يريدون القضاء تماماً على المسلمين والسيطرة على العالم ، لأنهم يزعمون أنهم أمة نقية وشعب مختار من قبل الله تعالي ومفضل على باقي الشعوب .

وأما عن الهدف الذي يسعى إليه الكيان الصهيوني والذي يحتل فلسطين ويسمى نفسه دولة إسرائيل يرى "جارودي" أنه قد أفصحت عنه مجلة "كيفونيم" أي "توجهات" حيث قالت ما نصه :"لقد غدت مصر باعتبارها كياناً مركزياً مجرد جثة هامدة لاسيما إذا أخذنا في الإعتبار المواجهات التي تزداد حدة بين المسلمين والنصارى ، وينبغي أن يكون تقسيم مصر إلى دويلات منفصلة جغرافياً هو هدفنا السياسي على الجبهة الغربية ، خلال سنوات التسعينات[3] . وبمجرد أن تتفكك أوصال مصر وتتلاشى سلطتها المركزية ، فسوف تتفكك بالمثل أوصال دول أخرى مثل ليبيا والسودان وغيرها من البلدان الأبعد ، ومن ثم فإن تشكيل دولة قبطية في صعيد مصر بالإضافة إلى كيانات إقليمية أصغر وأقل أهمية من شأنه أن يفتح الباب إلى تطور تاريخي لا مناص من تحقيقه على المدى البعيد ، وإن كانت معاهدة السلام قد أعاقته في الوقت الراهن ، وهذا سيطبق في سوريا والعراق ولبنان ، فالبناء العرقي لسوريا يجعلها عرضة للتفكك مما قد يؤدي إلى قيام دولة شيعية على طول الساحل ودولة سنية في منطقة حلب وأخرى في دمشق ، بالإضافة إلى كيان درزي قد ينشأ في الجولان الخاضعة لنا وقد يطمع هو الآخر في تشكيل دولة خاصة ، ولن يحدث هذا لا إذا انضمت إله منطقة حوران وشمالي الأردن "[4].

وبالفعل استطاع اليهود تنفيذ هذا المخطط في العراق حيث يوجد الآن حكومة للأكراد في الشمال ، ويريد الأمريكان إكمال هذا التقسيم بين الشيعة والسنة في باقي الأراضي العراقية .

---

(١)– جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٨ .

(٢)– جارودي : إسرائيل بين اليهودية والصهيونية ، ترجمة حسين حيدر ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٠ ، صـ٥٣ .

(٣)– جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، مصدر سابق ، صـ٢٧٠ .

(٤)– جارودي . حفارو القبور ، مصدر سابق ، صـ ٤١–٤٦ ؛ جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، صـ ٢٦٧ ؛ جارودي : الإرهاب الغربي ج٢ ، مصدر سابق ، الغلاف ؛ أمينة الصاوي ، عبد العزيز شرف : جارودي وحضارة الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١٥١ ؛ جارودي : محاكمة جارودي ، مصدر سابق ، صـ صـ ٤٩–٥٠ .

٣- اضمحلال الغرب والحضارة الأمريكية :

يؤكد الغربيون أنفسهم أن الغرب بوجه عام وبخاصة أمريكا يعانون مشكلات كثيرة منها الإنهيار الأخلاقي والإنتحار الثقافي والتفكك السياسي ، وزيادة في السلوك غير الأخلاقي مثل الجريمة وتعاطي المخدرات ، وأعمال العنف بوجه عام ، وكذا التفكك الأسري ، وارتفاع نسبة الطلاق والأطفال غير الشرعيين ، وحمل الفتيات الصغيرات ، والتدهور في الرأسمال الإجتماعي (١).

كما يرى "جارودي" أن الرخاء الإقتصادي الذي شهدته الولايات المتحدة فيما بين عامي ١٩٢٠/١٩٣٣م تحول إلى تهتك مع نمو نشاط المافيا المتآمرة مع أجهزة الشرطة من خلال قانون منع الخمور الذي صدر عام ١٩١٩م ، والذي ازدهرت خلاله الحانات غير القانونية والملاهي وبيوت الدعارة السرية ، ونشاطات مهربي الخمور(٢). كما أن الولايات المتحدة خرجت من الحرب العالمية الثانية وهي في وضع السيطرة الشاملة وهو وضع لم يسبق له مثيل في التاريخ ، فالمنافسين الصناعيين قد دموروا أو أصابهم الضعف إلى حد كبير ، ولهذا فقد تضاعف الإنتاج الصناعي الأمريكي خلال سنوات الحرب أربع مرات ، وأصبحت الولايات المتحدة في نهاية الحرب مالكة لنصف ثروات العالم ، بينما كانت خسارتها البشرية متواضعة جداً بالمقارنة بما قدمه العالم كله (٣).

وكان هناك خوف كبير في الولايات المتحدة قد برز مع تصاعد أزمة ١٩٢٩م ، عندما أدى انهيار سوق الأوراق المالية في ٤ تشرين أول نتيجة المضاربات المالية ، إلى إفلاس عدد لا يحصى من المصارف والمؤسسات وارتفاع مذهل في معدل البطالة ، وفي عام ١٩٣٠م وصل عدد العاطلين عن العمل إلى أربعة ملايين ، وارتفع عام ١٩٣١ إلى سبعة ملايين ، ثم بلغ عام ١٩٣٢ أحد عشر مليوناً (٤).

ويرى"جارودي" أن وصول "روزفلت" وأركان حكمه من المنظرين إلى السلطة عام ١٩٣٢م أدى إلى بروز مبدأ جديد للدولة في ميدان الإقتصاد أطلقوا عليه "الصفقة الجديدة" والذي يظهر بعجلة دون أن يتمكن من حل الأزمة ، لذا انخفض الناتج القومي عام ١٩٣٧ بنسبة ١٣% ،

---

(١)- صمويل هنتجتون : صدام الحضارات ، مرجع سابق ، صـ ٤٩٢ .

(٢)- جارودي :الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٢٨.

(٣)- المصدر نفسه ، صـ ٢٨ .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ ٣٣ .

وانخفضت معدلات الإستخدام بنسبة ٣٠% ، وكانت الحرب العالمية الثانية وحدها القادرة على إخراج الولايات المتحدة من أزمتها ، وفي الوقت الذي رفض فيه "روزفلت" تقديم العون لفرنسا المهزومة منذ عام ١٩٤٠ ، فقد بذله لبريطانيا ، بموجب قانون خاص وهو "الإعارة والتأجير" وأدى تطبيقه إلى إنعاش الإقتصاد الأمريكي عن طريق تصنيع آلاف عربات الشحن والطائرات والدبابات والمدافع [1].

ويرى "جارودي" أن الولايات المتحدة ادعت أن وجود الإتحاد السوفيتي يشكل بحد ذاته عدوانا وهذا يوجب أن تدافع عن نفسها في كل بقعة من بقاع العالم . وهكذا تحددت بوضوح ملامح الحرب الباردة ، وحددت وثيقة جهاز التخطيط في الخارجية الأمريكية هذه الموضوعات على أساس أن الصراع بين قوى النور والظلام لا يهدد فقط جمهوريتنا ، إنما المدنية بأسرها . وإن الإنقضاض على مؤسسات العالم الحر يشمل المعمورة كلها ، ويضع على كاهلنا من خلال مصالحنا الخاصة مسئولية ممارسة "القيادة للمعمورة كلها" [2]. وهو ما يذكرنا بما ادعته آلة الحرب الإعلامية الأمريكية قبيل الحرب على العراق وأفغانستان ، والبقية تأتي والمسلمون نيام.!!!

وبعد انهيار الإتحاد السوفيتي وفشل التجربة الشيوعية رأى"جارودي" أن أمريكا لم تتعظ ، بل رأت أنه يجب عليها البحث عن بديل لإمبراطورية الشر ، فقال :"هنا تزودنا حرب المخدرات بادعاء جديد لعمليات التدخل ، حق التدخل الإنساني ، أو الدفاع عن هذا الحق . ثم وجدوا في العراق إمبراطورية الشر الجديدة" [3]. وبهذا ثبت فشل الاتجاهين ، الرأسمالي والشيوعي ، وتم أيضاً إثبات فشل العلم التجريبي والتكنولوجيا بنجاح [4].

كما يرى "جارودي" أن الولايات المتحدة قد تحولت من أكبر دولة دائنة في العالم إلى أكبر دولة مدينة في العالم ، ومعدل الإستثمار فيها يعد الأقل بالنسبة للدول الصناعية الكبرى ، وذلك بسبب الهشاشة الإقتصادية المتخفية وراء القناع العسكري الضخم [5]. وعلى الرغم من قوتهم التي تأتي من تقنية ضغط الزر ومن جيشهم الذي لا يحركه أي مشروع إنساني ولا يحلم شأنه

---

(١)- نفس الموضع .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ٣٦ .

(٣)- نفس الموضع .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ٣٩ .

(٥)- روجيه جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ٣٦ .

شأن البنتاجون إلا بحروب يكون فيها الهلاك حتى الصفر ، وتظهر هذه البلاد التي يريد قادتها أن يصبحوا سادة العالم كجبار بقدمين من الصلصال بسبب هشاشته الإقتصادية المموهة لبعض الزمن بالمضاربات المالية التي حولت المصارف إلى كازينوهات وحيث تضاعف إفلاسها بعد إفلاس صناديق التوفير[1] . ولذا تراهن الولايات المتحدة على سياسة التسليح لمواجهة صعود عمالقة آخرين ليس فقط بالتسليح المبالغ فيه لمرتزقتهم الرئيسيين في الشرق الأوسط "إسرائيل" ، ولكن أيضاً بتأخير بزوغ الصين وغيرها ممن يسعون للصعود [2].

ويرى "جارودي" أن النظام المركز يسعى عبر القوة التقنية الفريدة للأسلحة أن يجعل من سيادة دول "المحيط" سيادة محدودة وأن يحتكر لنفسه حق التدخل مموهاً ذلك عند الإمكان بأنه تدخل إنساني تحت غطاء مؤسسات يفتعلها مثل الأمم المتحدة وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي[3] . ويضيف "جارودي" أن الإقتصاد التجاري سيبقى دعماً دائماً في هذه السوق الأساسية ويلعب الفساد دوراً شبيهاً بالخطة وليس هناك كلام أفضل من هذه العبارات في نظام يباع كل شيء فيه ويشترى ، يتوقف الفساد ، بل وحتى الدعارة عن كونها انحرافات فردية ليصبحا قانونين بنيويين في صلب هذا النظام ، والعهر السياسي هو المثال الأكثر فضحاً ، فالبعض أيد حرب الخليج من أجل حفنة من الدولارات ، والبعض برر نزول عشرات الآلاف من الجنود الأمريكان إلى أرض مقدسة ومحرمة على كل الكفار ودفع نفقاتهم [4].

ومن أهم الأدلة التي أوردها "جارودي" على همجية الغرب وعداءه للمسلمين هو أن ما ألقي على العراق خلال الحرب ، كان أكبر من قنبلة هيروشيما بثماني مرات ، وقد أباد حسب أدنى الإحصائيات التي أعلنها الصليب الأحمر الدولي ٢١٠ ألف ضحية ، أما الحظر التعسفي الذي فرض على العراق فقد أدى لوفاة ٥٠٠٠٠٠ فرد بسبب نقص الغذاء والدواء . هذا هو معيار الدفاع عن الحق الدولي ، الذي يحمل معنى وحيد . إنه حق لم يعرف الرحمة عندما ألحقت الكويت ، ولكنه ينسى إلحاق القدس ، والقدس مدينه مقدسة ، ولكن مدينة الكويت مقدسة ألف مرة أكبر من القدس مادامت تقع وسط حقول النفط [5] ، فكان التدمير الكثيف هو الإسلوب الذي استخدمه الغرب ضد العراق ، أما الهدف فكان إعطاء مثال يقنع العالم الثالث بأكمله وخاصة

---

(١)- المصدر نفسه ، صـ ٨ .

(٢)- الموضع نفسه .

(٣)- المصدر نفسه ، صـ ٦ .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ ١٨ .

(٥)- جارودي : حفاروا القبور ، مصدر سابق ، صـ ١٥ .

إيران وليبيا الهدفين الأقربين باعتبارهما يملكان مصدر نفط [1] . وبعد حرب الخليج أصبحت السيطرة العالمية التي تمارسها الولايات المتحدة شاملة ، وأصبح ما يحدث في بقية العالم إنعكاس إلى حد ما لما يحدث في أمريكا ، ولكن إذا استسلمنا لهذا فسوف نتحرك جميعاً نحو الفساد ، ذلك لأن أمريكا تسعي اليوم لإرهاب العالم [2].

ويرى "جارودي" أنه كان لا بد من ضرب المثل لكل العالم الثالث بحيث أنه من غير المسموح تحت طائلة التدمير لأي شعب أن يرتقى لمستوى تقني عالٍ أو يستثمر بنفسه ثرواته الوطنية ، "البترول في حالة العراق" دون مراقبة الدول العظمى لأسعارها ، ويشمل المنع بشكل خاص محاولة التخلص من الديانة التي لم تجرؤ هذه القوة على تسميتها والتي فرضتها على العالم الثالث بأكمله وهي "وحدانية السوق ووثنية المال" [3].

وليس هذا جديد على الغرب ، فمبادؤهم دائماً هي ما قال به "هوبز" الإنسان ذئب لأخيه الإنسان ، وكذلك مقولة "فرويد" إن الإنسان لديه الشراسة كامنة في انتظار إيقاظها ، كما تكشف هذه الشراسة عن وجهها كلما واتتها الظروف . عندئذ يظهر البشر بمظهر الوحوش الضارية[4]. لذا كان الغرب هو أكبر معتدي في العصور الحديثة بشهادة الغربيين أنفسهم [5]. وبهذا يتضح أن العنف في المجتمع الغربي هو السمة المميزة له ، حيث أصبح الإنسان الغربي أكثر ميلاً للإجرام من ذي قبل [6].

ويرى "جارودي" أن هذه الحضارة مؤهلة للانتحار وذلك لفقدان الهدف ، ويشهد على ذلك الفرار إلى المخدرات والإنتحار بأعداد كبيرة لدى المراهقين وذلك في أغنى أصقاع العالم[7]. حيث تشير دراسة أجرتها وزارة الصحة العالمية أن استخدام المهدئات عند المراهقين في سن ١٢/١٧ عام قد ازدادت بنسبة ٨٧% فيما بين عامي ١٩٩٢/١٩٩٥م ، وقد ارتفع استهلاك حبوب الهلوسة مثل حبوب "ل.س.د" إلى ١٨٣% (٥٤%بين عامي ١٩٩٤/١٩٩٥م) ، وارتفع

---

(١)– جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـــ ٩٩ .

(٢)– جارودي : حفاروا القبور ، مصدر سابق ، صـــ ٦٩ .

(٣)– جارودي : الولايا ت المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـــ ٤١.

(٤)– سيجموند فرويد : الحب والحرب والحضارة والموت ، دراسة وترجمة د. عبد العظيم الحفني، دار الرشـاد ، ط١ ، ١٩٩٢ ، صـــ ١٦.

(٥)– أرنولد توينبي : العالم والغرب ، ترجمة عبد الواحد الإمباني ، مراجعة صالح جودت ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ ، صـــ ٤ .

(٦)– د. إبراهيم طلبة عبد الخالق : الإنسان والحضارة في فلسفة أورتيجا ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، إشراف د. صلاح سليمان قنصوه ، د. محمود سيد احمد ، جامعة طنطا ، ١٩٩٥ ، صـــ ٢٢٨ .

(٧)– جارودي : حوار الحضارات ، مصدر سابق ، صـــ ٣٧ .

استهلاك الكوكايين إلى ١٦٦% ، والمارجوانا إلى ١٠٥% (٣٧% ما بين عامي ١٩٩٤/١٩٩٥م) ، واعترف ١٠,٤% من الشباب الأمريكي من نفس الشريحة العمرية أنهم تناولوا المخدرات خلال الشهر السابق على الاستطلاع الذي أجرته وزارة الصحة . وتدل دراسة رسمية أخرى أن حالات الإسعاف التي سجلتها المستشفيات بسبب الإسراف في تعاطي المخدرات قد ازدادت ٩٦% في حالات تعاطي الكوكايين ، ومن الملاحظ أيضاً أن عودة الرأسمالية إلى بلدان شرق أوربا ، قد رافقها ارتفاع مجنون في إنتشار البغاء (١).

فإن كنت تعيش في بلد لا يستطيع ٤٤ مليون نسمة فيه القراءة ، وربما ما يقرب من ٢٠٠ مليون شخص يستطيعون القراءة ، لكنهم لا يقرؤون ، فهذا يعني أننا نحيا في مكان مخيف ، أمة لا تقتصر فقط على تفريخ الطلبة الأميين ، بل تتعمد أيضاً أن تظل جاهلة وغبية ، ولا ينبغي لمثل تلك الأمة أن تدير شئون العالم ، على الأقل حتى يتمكن أغلب أبنائها من معرفة مكان أي بلد تقصفها على الخريطة (٢).

وأضاف "جارودي" أن هناك ٣٣ مليون أمريكي يعيشون تحت خط الفقر ، وأن هناك طفلاً من كل ثمانية أطفال ، لا يأكل ما يكفي لسد جوعه ، كما أن مأزق الإقتصاد الأمريكي يتمثل في أن الدولة الأمريكية تفضل أن تغطي نفقاتها عن طريق الاقتراض بدلاً من الضرائب ، وبالتالي فإن الأسر ترفع مستوى معيشتها لا وفقاً لدخلها وإنما عن طريق القروض ، وأوضح "جارودي" أن العجز في ميزانية الدولة الأمريكية كان عام ١٩٩٥م نحو ٦٢٠ مليار دولار ، وارتفع عام ١٩٩٨م إلى نحو ١٥٥٠مليار ، وسيصل إلى ٣٤٥٠ مليار دولار مع نهاية عام ٢٠٠٠ ، أي ما يعادل ٣٦% من صافي الدخل القومي ، كما أن ديون القطاع الخاص تتجاوز مبلغ ٥٠٠٠ مليار دولار " كما أشار "جارودي" إلى أنه على الرغم من التخفيضات المتتالية على قيمة الدولار فإن الميزان التجاري الأمريكي في حالة عجز . وهنا يجب أن نتوقف عند مسألة الزبائن المشتريين:ـــ

أولاً : كلما ازداد الفقر والبطالة في العالم الثالث وحتى في الدول النامية انخفضت القوة الشرائية للزبائن ،

---

(١)– جارودي :الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ــ صـ ٢٠ .

(٢)– مايكل مور : رجال بيض أغبياء ، ترجمة د. فاطمة نصر، دار سطور ، ط١ ، ٢٠٠٣ صـ ١٠٦ .

ثانياً : إن هذه المعادلة تؤكد أن الولايات المتحدة لا تستطيع أن تتحمل أبداً خسارة مليار أو مليارين من زبائنها ، إذ سيؤدى ذلك إلى الانهيار الفعلي للاقتصاد الأمريكي [1].

ولهذا فالولايات المتحدة مهددة بانفجار رأسمالي أسوأ مما حدث في عام ١٩٢٢ ، مما دفع "بول ماري دوجلاس" إلى أن يطلق عليها لقب الإمبراطورية الأخيرة ، وذلك لكونها تسعى لتوسيع القدرات والسلطات التقنية دون النظر والتأمل في الغايات الإنسانية [2]. لذا فالحل الأمثل للتخلص من الهيمنة الأمريكية يتمثل في ثلاث نقاط رئيسية وهي:

١- مقاطعة البضائع وصفقات الأسلحة الأمريكية وتجنب الحروب ، حيث أنه يمكن ضرب أهم الصناعات الأمريكية من السيارات إلى المخدرات ، والتي يمثل التهريب الدولي لها واحد من أهم المصادر الرئيسية لتمويل رجال السياسة الأمريكية ، ويمكن أن توجه المقاطعة أولاً إلى عدة منتجات لها قيمة رمزية للتغلغل الأمريكي بداية من الأفلام والاسطوانات الأمريكية ، وحتى السجائر والكوكاكولا [3]. ومطالبة الحكومات بالانسحاب من المنظمات التي تشكل ذراع الأفعى الأمريكية في العالم ، كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي الذي دمر العالم ، حيث أدت الخصخصة التي فرضها وعمليات الدمج وتخفيض الضمانات الإجتماعية ورفع الدعم ، إلي مرونة في الأجور عكس صالح العمال ، وإلى تصعيد عمليات التسريح [4].

٢- إرساء إسلوب المقايضة والتجمعات الإقليمية في مجال التجارة الدولية ، وذلك وصولاً إلى إلغاء الدولار كعملة عالمية ، والوصول بكل شعب على تحقيق حالة نمو حقيقي مبنية على طبيعته وظروفه ومسيرة تاريخه وثقافته ، وبما يمكنه أن يحققه من مساهمة في التقدم [5].

لذا دعا "جارودي" المسلمين للصمود في وجه الهجمة الأمريكية على العالمين العربي والإسلامي ، معتبراً أن أمريكا ستصبح إمبراطورية آيلة للسقوط بفضل هذا الصمود ، وطالب "جارودي" على عكس "هنتجتون" بوجود تحالف إسلامي نصراني للتصدي للولايات المتحدة

---

(1)- http://www.palestine-info.com/arabic/moqata/articles/articles6.htm.

(٢)- فوزية عبد الله شمسان سعيد : مرجع سابق صـ ٩٣ .١

(٣)- جارودي: حفاروا القبور ، مصدر سابق ، صـ ١٢٠ .

(٤)- جارودي : الإرهاب الغربي ، ج٢ ، مصدر سابق ، صـ ٩١.

(٥)- المصدر نفسه ، صـ ٥٠ .

وحليفتها دولة الكيان الصهيوني ، محذراً من أن الهدف التالي لأمريكا بعد أفغانستان والعراق هو إيران ، وقال "جارودي" ما من شك أن هناك إستراتيجية أمريكية واضحة للسيطرة على العالمين العربي والإسلامي سياسياً واقتصاديا انطلقت منذ مدة ، وكانت أفغانستان والعراق هي البداية ، وأشار إلى أنه بعد غزو العراق واحتلاله من قبل القوات الأمريكية والبريطانية من الواضح أن الهدف التالي سيكون إيران ، وشدد على أن صمود العالم الإسلامي والعربي أصبح ضرورة للتعجيل بسقوط الإمبراطورية الأمريكية الآيلة للسقوط أصلاً (١).

٤- المساعدات المالية للدول النامية :

يري "جارودي" أن البلدان الفقيرة قد تابعت مساعداتها المالية للدول الغنية ، حيث تتجاوز فوائد القروض التي تأخذها الدول الغنية قيمة القروض الأصلية عدة مرات ، ويبلغ عائد كل دولار دولارين أو ثلاثة ، تذهب إلى جيب الدائن وغالباً ما تساوي فوائد القروض قيمة الصادرات محققة بذلك "التنمية الممكنة" ، إذ ليس هناك بهذا المنوال بلد على طريق التنمية كما يسمونه نفاقاً ، وإنما بلاد محكوم عليها ببؤس متنام ، من خلال تبعية متنامية ، فكل دولار يُعطى لهذه الدول يكون لشراء منتجات منها فيعود اثنان أو ثلاثة له مرة أخرى (٢).

كما تشكل "المساعدات المزعومة" لبلدان العالم الثالث أحد العوامل الأكثر تأثيراً لفرض التبعية والتقهقر حيث أن المساعدة المعلنة والمتعددة الأشكال تمثل ٠,٧% من إجمالي الناتج القومي للدول المانحة ، ورغم تواضع هذا الرقم فإن نصفه هو الذي يمنح فعلاً ويشكل "تصنيع" بلدان العالم الثالث ونقل التكنولوجيا لإفريقيا على سبيل المثال وسيلة أخرى للهيمنة وزيادة منافع الدول الغنية (٣). حيث أصبحت القارة الإفريقية لا توجد فيها بلد إلا ومسته دورة الفقر والجوع والمرض وتهديد البيئة (٤).

ولذا فالمعونة المزعومة لدول العالم الثالث هي أحد العوامل الأكثر فعالية لتقوية خضوع هذه الدول واستمرار تأخرها (٥). فالمعونة المالية والتكنولوجية للدول النامية من خلال

---

(1)- http//.www.arabrenewal.com/index.php?rd=ai&ai0=1602.

(٢)- روجيه جارودي : البديل ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الآداب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، صـ ٦٠ .

(٣)- جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٩٢ .

(٤)- فيليب عطية : أمراض الفقر "المشكلات الصحية في العالم الثالث" ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ ، صـ ٤٩ .

(٥)- جارودي: حفاروا القبور: ، مصدر سابق ، صـ ٣١ .

الإستثمارات لم تحقق أي تنمية أخرى غير تلك الخاصة بالشركات متعددة الجنسيات المغروسة في هذه الدول ، حيث الأيدي العاملة الرخيصة ، كما سمحت هذه المعونة أيضاً للشركات الغربية بالحصول على مكاسب أعلى بكثير من التي تحصل عليها في بلادها ، والناتج هنا هو زراعة أحادية وإنتاج أحادي ، أدى لتراجع الزراعة القومية والحرف الوطنية الأصلية ، وخضوع واستغلال متزايد للأيدي العاملة ، وتفاقم للدين بفعل تزايد الواردات . والنتيجة النهائية حاسمة ، حيث انخفض دخل الفرد بنسبة ١٥% في أمريكا اللاتينية ، ٢٠% في أفريقيا منذ بداية الثمانينات(١) ، وبالنظر لأحوالنا في مصر نجد الأمر نفسه وأكثر. لذا يرى "جارودي" أن المساعدات هي صدقات(♥) تمنحها دول (مريضة) إلى دول (مخدوعة) ، تؤدى إلى تفكيك بنيانها وثقافتها ، عن طريق الشروط التي تضعها تلك الدول لتلقي هذه المساعدات (٢). لذا يجب على الأمة الإسلامية الإعتماد على الإستقلال في مصادرها الداخلية ، لإشباع حاجاتها الأساسية والاقتصادية من السلع الإستهلاكية والإنتاجية والإجتماعية ، ولذا يجب إقامة تكامل اقتصادي بين الأقطار الإسلامية وهو مطلب دنيوي وديني أيضاً (٣).

ويكمن الحل الوحيد للخروج من الهيمنة الأمريكية لدى "جارودي" في الدول العربية ، "لأنها الوحيدة التي يمكن أن تكون الطليعة الرائدة في العالم ، نظراً لدورها الرائد في منظمة الدول المصدرة للنفط ، ولأنها الوحيدة التي استطاعت أن تبرهن على وجودها الملموس عام ١٩٧٣(♥♥). وبهذا يرغم الغرب على تغيير إسلوبه في التنمية مما يعود على الغرب نفسه بالنفع والفائدة ، فتقوم هذه الدول بفرض وصايتها على أسعار باقي المواد الأولية المصدرة إلى الغرب من العالم الثالث ، وعلى أسعار المواد المصنعة المستوردة من الغرب ، وإنشاء مصرف للمستقبل ، بدلاً من إيداع الأموال لدى البنوك الغربية ، ويمنح هذا المصرف قروضاً غير مشروطة بشروط سياسية ، خلافاً لما يفعله البنك الدولي ، وهذه المساعدات تعمل على مساعدة العالم الثالث في إحياء التنمية في الزراعة والصناعة وغير ذلك من المجالات الحيوية لعملية

---

(١)- المصدر نفسه ، صـ ٣٢ .

(♥)- لا يصلح هذا الاسم لأن الصدقة تعطى دون مقابل ودون شروط ، ولتحقيق منفعة للمتصدق عليه ، اما ما يحدث في هذه الحالة فهو غير ذلك .

(٢)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ٢٤٩ .

(٣)- عطية الويشي : حوار الحضارات (إشكالية التصادم.. وافاق الحوار "حقائق ومفاهيم لا ينبغي ان تغيب" ، تقديم د. محمد عمارة ، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ – ٢٠٠١م ، صـ ١٩١.

(♥♥)- امتنعت الدول العربية عن تصدير البترول إلى الدول التي تساند إسرائيل في حربها ضد مصر وسوريا ، مما أدى إلى تغيير في مواقف كثير من الدول أثناء الحرب ، الأمر الذي ساند القضية الإسلامية ، وأدى لارتفاع شديد في أسعار البترول العالمية بعد ذلك .

التنمية في تلك الدول" (١). والعمل على أنشاء سوق إسلامية مشتركة والتخلي عن تلك المساعدات ، ودعم التعاون بين الدول الإسلامية تمهيداً للوحدة الإقتصادية والسياسية والجغرافية بين جميع الأقطار في الدول الإسلامية ، وذلك بهدف الوصول إلى الوحدة الإسلامية تحت راية الخلافة الواحدة . فهي الأمل الوحيد لعودة الهيبة للأمة الإسلامية مرة ثانية.

٥- الغرب وفكرة القومية العربية :

يدرك الغرب جيداً أن مصدر قوة المسلمين هو دينهم وأنهم يسيّرون الدنيا والدولة على منهج الدين ، ويدركون أنه لن تقوم قائمة الإسلام . مرة أخرى إلا في ظل التوحيد بين الدين والدولة على نظام الخلافة ، وبهذا يكون الحكم بما أنزل الله هو قانون هذه الدولة وهنا توحيد بين السلطة الدينية والدنيوية ، لذا حرص الغرب عندما ضعفت شوكة الدولة الإسلامية واحتلوا أرضه ، على تمزيق شمل الخلافة في هذه الأمة حتى يستطيعوا السيطرة على أمصار الأمة كلٍ على حدة ، فهم يريدون الفناء للإسلام وأهله ، ويريدون تدمير العقيدة الإسلامية أولاً ، وذلك لعلمهم بأن دور العقيدة الدينية يفوق دور العصبية والوطنية والعرق لأن هذه العلاقة تربط الإنسان بالوجود العام وليس بجزء من الوجود ، كالقومية والعلمانية وغيرها (٢). لذا حرص الغرب على تصدير العلمانية وغيرها للدول الإسلامية . ذلك لما نتج عنها من فساد أخلاقي في الغرب بعد تطبيقهم لها(٣) .

كما أن هناك حملة شرسة من الغرب وأتباعه لدينا على منع ختان الإناث ، والتي لم تفعل مع التدخين أو المخدرات بأنواعها أو الخمور التي تودي إلى أمراض متعددة ، بل وحالات موت أكثر من تلك الحالات النادرة التي قد تحدث من جراء الختان . كما يدعوا لدينا لخروج النساء سافرات ومتبرجات ، وللإختلاط الماجن في دور العلم والمواصلات العامة ، الأمر المؤدي إلى ويلات على المسلمين وضياع الفضيلة وانهيار القيم والمعايير والمبادئ والأخلاق ، ثم انهيار المجتمع ، ولكن أمريكا تأمر وعلينا التنفيذ ، وكانوا هم أيضاً أشد الناس حرصاً على تصدير فكرة القومية للمسلمين . وهي سياسة خطيرة يستخدمها الغرب ضد الآخر لتفتيت عقيدته والقضاء عليه وهي سياسة (فرق تسد) ، ويسعوا هم إلى الوحدة الأوربية الشاملة الآن ، وبالفعل انتشرت هذه الدعوة الملعونة كالنار في الهشيم في كلٍ من مصر والشام والعراق وشمال

---

(١)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ،صـ ٢٥٧ .

(٢)- العقاد : حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صـ ١٥ .

(٣)- روجيه جارودي : أصول الأصوليات والتعصبات السلفية ، بدون مترجم ، مكتبة الشروق ، ١٩٩٦ ، صـ ١٧ .

إفريقيا وفارس والهند وإندونيسيا ... ، وكانت مظاهرها في كل تلك البلاد واحدة وكانت أساليبها متشابهه أيضا[1].

"والقومية " حسب رأي "جارودي" هي اختراع أوربي ، ولا حاجة بنا لاستذكار تاريخ تشكلها في أوربا وخاصة منذ معاهدة "وستفال" ، ولقد قرعت هذه المعاهدة أجراس موت النصرانية التي كانت توحد أوربا ، فتأسست القوميات على أساس اقتصاد السوق ، وهو اقتصاد تحميه دولة وجيش[2]. وبعد تصدير الفكرة للمسلمين بدأت الإمبراطورية العثمانية في طريقها إلي الإنهيار نتيجة تغلغل الروح القومية بين الشعوب الإسلامية ونجاح بعضها بالفعل في الإستقلال [3].

وأدت تجزئة الإمبراطورية العثمانية على أيدي غزاة الحرب العالمية الأولى إلى رسم حدود البلاد العربية في الشرقين الأدنى والأوسط حسب أطماع الدولتين المتنافستين ، فرنسا وإنجلترا اللتين توصلتا إلى تسوية بموجب اتفاقية "سايكس بيكو" ١٩١٧ ، ويستطيع المرء أن يضاعف الأمثلة لعملية تصدير القومية وأيديولوجيتها في العالم أجمع مع بدأ الإستعمار الأوربي [4]. كما أنهم طبقوا نظام الإنتداب أو الوصاية على الدول المنهوبة ، والتي استولوا عليها من الألمان والأتراك ليعيدوا تقدمها ورخائها ، ولتحقيق الأمن والديمقراطية والحرية في تلك البلاد ، وبهذا تم تغليف الوجه القبيح للإحتلال بغلاف إنساني رقيق [5]. تماما كما يحدث في العراق الآن . كل ذلك بغية تدمير الخلافة الإسلامية وإزالته الوحدة بين الأقطار المسلمة ، لأنه كان في وحدتها القوة والمنعة ، حيث كان لمحمد الفاتح من شعبه الطموح الذي دُرب على تحمل المشاق ... ومن جيشه المحترف المتمرس ، وطوابير مدافعه الجيدة ، ما أعطاه ميزة السبق على أعدائه الذين كانوا منقسمين على أنفسهم قبل ذلك[6].

وبدأ الصدام بين الأمم المحررة مع انحسار الإستعمار ، وكان الانتصار الذي حققه الإستعمار بعد موته هو استخدام القوميات الواحدة ضد الأخرى ، وقد كانت جامعة الدول

---

(١)- محمد محمد حسين : حصوننا مهددة من الداخل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ط٧ ، صـ ٥٠ .

(٢)- جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٩٩ .

(٣)- عبد العظيم رمضان : تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث ، الهيئة العالمة للكتاب ، ج٢ ، ١٩٩٧ ، صـ٦٢ .

(٤)- جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ١٠١ .

(٥)- هـ . ا .فيشر : تاريخ أوربا الحديث ، ترجمة احمد نجيب هاشم ، وديع الضبع ، دار المعارف مصر ، ١٩٤٦ ، صـ ٥٧٤ بتصرف بسيط .

(٦)- هربرت فيشر : اصول التاريخ الاوربي الحديث ، ترجمة د. زينب عصمت راشد ، د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، مراجعة د. أحمد عزت عبد الكريم ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧٠ ، صـ ٨٩ .

العربية حلماً إنجليزياً قديماً لفصل العرب أثناء تفكك الإمبراطورية العثمانية عن الإمامة الإسلامية ، في الوقت الذي كانت فيه أيدلوجيا القومية التركية من صنع أوربي هو "فامبيري" أما في المخطط السياسي فالتاريخ يعمر بألف مثال ، وسيسمح هذا المخطط لنا أن نشهد بعد فترة طويلة إثارة الصراع بين العرب والإيرانيين ، وتجهيز العراق عسكرياً بغية إضعاف إيران بانتظار تدميره[1].

ومن المعروف أن تجارب الوحدة بين الدول الإسلامية مرة أخرى دون الإعتماد على العامل الديني ، كلها قد باءت بالفشل ، ولعل الطامعين في وحدة اقتصادية وغيرها بغير زخم حضاري إسلامي هي ﴿كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت﴾ (العنكبوت/٤١) . كما تتعامل أوربا مع الدول الإسلامية كل دولة على حدة ، ومع بعض الدول دون الأخرى مما يعنى تضارب المصالح والمنافع بين الدول الإسلامية نظراً للتشتيت القائم بين الدول الإسلامية وهذا لتكريس الجهل والفقر والتبعية الإقتصادية ولضرب أي محاولة للتكتل الإسلامي مرة أخرى [2].

وكانت هناك بعض المحاولات من قبل المسلمين لإقامة دولة إسلامية ، وتطبيق شرع الله بها ليكون هو قانونها الأول والأخير ، ولكن باءت جميعها بالفشل ، مثل حركة طالبان في أفغانستان ، الأمر الذي جعل أمريكا تتحين الفرص لغزوها والإطاحة بهم ، بعد أن ملئوا أرضهم عدلاً وسلاماً ، وكذلك محاولات الشيشانيين في دولتهم المستقلة عن روسيا ، الأمر الذي جعل دول العالم بما فيها الدول التي تدعي الإسلام ديناً لها تتغاضى عن ارتكاب الروس لأبشع المجازر في مسلمي الشيشان وداغستان ، والحال نفسه ينطبق على مسلمي الفلبين ، وحركة تطبيق الشريعة في باكستان بإقليم "سوات" المتاخم لأفغانستان . كما ينطبق على أهل الفالوجا حين أرادوا تطبيق الشريعة في بلدهم بالعراق ، مما جعل الأمريكان يدكونها من البر والجو . وكذلك محاولة المحاكم الإسلامية في الصومال ، مما دفع أمريكا أن تنيب عنها أثيوبيا في احتلال الصومال ونهب ثرواته بدعم من الجيش والمخابرات الأمريكية ، "وكذلك محاولة لتنظيم "الجهاد" في مصر أبادتها أجهزة الأمن المصرية ، والذي كان أعضائه يحاولون إقامة دولة إسلامية تحكم بالكتاب والسنة ، وحكم بالإعدام على أبرز أعضاء التنظيم وهم : صالح سرية ،

---

(١)– جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ١٠١ .

(٢)– عطية الويشي ، مصدر سابق ، صـ ٢٤٥ بتصرف .

وكارم عزت والأناضولي"[1] . والفارق كبير بين المحاولات السابقة وحركة الجهاد تلك ، سواء في العقيدة أو الإيمان ، لذا يختلف الباحث مع تنظيم الجهاد ومن على شاكلته اختلافاً كبيراً.

ويرشح "هنتجتون" تركيا لأن تكون هي المؤهلة لعودة الخلافة الإسلامية لها . وليس مصر أو السعودية أو غيرها من الدول الإسلامية ، نظراً لدخلها المرتفع وعدد سكانها وتاريخها ، بشرط أن تتنازل عن علمانيتها والتمسح في الغرب حيث قال :"يمكن أن تكون تركيا مستعدة لذلك إذا تخلت عن دورها المحبط والمهين ، كمتسول يستجدي عضوية نادي الغرب"[2]. حيث أسهمت تركيا بنصيب كبير في تقديم العون لمسلمي البوسنة ، ضد الكروات والصرب ، وتتفرد تركيا بين الدول الإسلامية بصلات قوية وتاريخية بمسلمي البلقان والشرق الأوسط وشمال إفريقيا وأسيا الصغرى [3].

٦- الصهيونية العالمية :

من أهم الكتب التي كتبها "جارودي" وأخطرها على الساحة العالمية والذي أعقبه ضجة إعلامية على جميع المستويات وجلب عليه الكثير من المتاعب هو كتاب "الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية" ، ولكن للأسف رفضت جميع دور النشر الفرنسية طبع الكتاب ، خوفاً من اللوبي الصهيوني ، وكدليل على سبق الإصرار والتعمد قام المؤلف بنشره على حسابه مطلع عام ١٩٩٦م ، وخلال شهر واحد كان الكتاب قد ترجم إلى أكثر من عشرين لغة ، وفي هذا دليل على سعة انتشاره وخطورته التي تجلت بتصدي "جارودي" للأساطير التي قامت عليها إسرائيل وتوسعت ، كما رأى أن "ثلاث من تلك الأساطير وهي : الأرض الموعودة و الشعب المختار والتطهير العرقي قد انتزعها الصهاينة انتزاعاً من العهد القديم من سفر "يشوع" ، ثم الأساطير المعاصرة وهي : معاداة الصهيونية[♥] للفاشية وعدالة محكمة "نورمبرج" ، وملايين الهولوكوست Holocaust [♥♥] الستة ، وفلسطين أرض بلا شعب لشعب بلا ارض ، المعجزة

(١)- كرم جبر : فؤاد علام "السادات ، المباحث ، الإخوان" ، دار الخيال ، ط١ ، ١٩٩٦ ، صـ ٢١ .

(٢)- صامويل هنتجتون : مرجع سابق ، صـ ٢٩١ .

(٣)- الموضع نفسه .

(♥)- صهيونية : مصطلح أطلق في عام ١٨٩٠ ، على الحركة التي جعلت هدفها عودة الشعب اليهودي إلى أرض فلسطين ، منذ ١٨٩٦ ، وارتبطت بالحركة الصهيونية السياسية التي أسسها "تيودور هرتزل" نقلا عن جارودي : محاكمة جارودي ، مصدر سابق ، صـ ١٠٣.

(♥♥)- هولوكوست : كلمة يونانية تعنى حرق القربان بالكامل ، وكانت في الأصل مصطلحا دينيا يهوديا يشير إلى القربان الذي يقدم للرب على سبيل التضحية ثم يحرق تماماً على المذبح ، وهو من أكثر الطقوس قداسة لدى اليهود ، وفي العصر الحديث أصبحت الكلمة تشير إلى عملية إبادة اليهود على أيدي النازيين ، وربما كان المقصود من استخدام الكلمة على هذا النحو هو تشبيه الشعب اليهودي بالقربان والذي حرق تماما لأنه أكثر الشعوب قداسة . نقلا عن جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، مصدر سابق ، صـ صـ ١٩-٢٠.

الإقتصادية الإسرائيلية [1]. ولذا قدم اللوبي الصهيوني "جارودي" للمحاكمة في فرنسا بسبب ما ذكره عن عدالة محكمة "نورمبرج" ، ودعوته للبحث العلمي في الرقم المقدس للهولوكوست "٦ مليون" ، ولم يكن "جارودي" أول من تكلم في هاتين المسألتين ، فقد سبقه كثير ومنهم يهود ، وهبط رقم ٦مليون إلى مليون ، إلا في الروايات وأفلام هوليود [2]. ومع ذلك فطبقاً لقانون "فابيوس جيسو"[*] تمت محاكمة "جارودي" وغرمه القاضي ٢٠ ألف دولار . وفي واقع الأمر فإن قانون "جيسو" ينشئ من جديد أوضعاً تتسم بالتمييز العنصري ، ويعود بنا إلى عبادة المقدسات التي تفرضها السياسة الأمريكية وعملاؤها في الدول الغربية ، والإسرائيليون على وجه الخصوص[3] .

وقد استأنف "جارودي" الحكم واعتدى صهاينة "بيتار"[**] على الصحفيين والإعلاميين العرب والإيرانيين على عتبة المحكمة ، وطاردوهم حتى محطة مترو الأنفاق وأصابوهم بما يستلزم علاجاً في المستشفى . ولم يقف الأمر عند هذا الحد حيث تم الآتي:

١- تلقى "جارودي" تسعة تهديدات بالقتل .

٢- قامت الصحف بحملة تشهير عنيفة ضد المؤلف ، رافضة إعطائه حق الرد .

٣- منع ظهور "جارودي" في وسائل الإعلام لحرمانه من إبداء الرأي ، بل وامتنعت كل منابر الإعلام إعطائه حق الرد على الإفتراءات التي كانت تُنسج حوله وحول كتُابه ، وهذا وحده كافٍ لإثبات أن حرية التعبير في المجتمع الغربي خاضعة لتوافق سياسي

---

(١)- روجيه جارودي : محاكمة جارودي ، ترجمة عزة صبحي ، دار الشروق ، ط٢ ، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٢م ، صـ٥.

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ٦ .

(*)- قانون فابيوس : هو الذي اضفى الطابع القانوني على جريمة الراي ، اضيف إليه إسم "جيسو" نسبه إلى النائب الشيوعي الذي تبنى مشروع القانون في شهر مايو عام ١٩٩٠ ، يتمثل هذا القانون في إدراج مادة في قانون حرية الصحافة الصادر عام ١٨٨٠ ، وهي المادة (٢٤/ب) والتي تقضي بالاتي : يعاقب بالعقوبات المنصوص عليها في الفقرة السادسة من المادة "٢٤" كل من أنكر .... وجود جريمة أو أكثر من الجرائم ضد الإنسانية ، كما حددتها المادة ٦ من القانون الأساسي للمحكمة العسكرية الدولية ، والملحق باتفاق لندن في ٨ أغسطس ١٩٤٥ . نقلا عن جارودي : محاكمة جارودي ، مصدر سابق ، صـ صـ ١٢-١٣ .

(٣)- روجيه جارودي : حق الرد ، ترجمة د. هدى محمد شامل أباظة ، مراجعة د. محمد شامل أباظة ، بدون تاريخ ، مكتبة مصر ، ١٩٩٦ ، صـ صـ ٧-٨ بتصرف .

(**)- بيتار : منظمة شبابية صهيونية تأسست في بولندا عام ١٩٢٣ ، ثم انتشرت فروعها في بلدان اخرى فيما بعد ، وكان هدفها إعداد أعضاؤها للاستيطان في فلسطين ، بتدريبهم عسكريا وتأهيلهم للعمل الزراعي . وتاثرت أفكار أعضاء المنظمة بأفكار الفاشية التي سادت أوربا أنذاك ، فكانوا يرون مثلاً أن الخيار الوحيد أمام الإنسان هو الغزو أو الموت ، وأن العنف هو السبيل الوحيد لبناء الدولة الصهيونية . نقلاً عن جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، مصدر سابق ، صـ ٩٢ .

تفرزه الأطر المؤسساتية الإقتصادية للمجتمع ، عبر قنوات مهمتها تصفية وغربلة الآراء والأفكار التي يُسمح لها بالشيوع والتداول .

٤- تم الاعتداء على المكتبات التي تبيع كتب "جارودي" في فرنسا وسويسرا واليونان ، وإحراق واجهاتها حتى امتنعت عن ذلك(١).

٥- تم الاعتداء جسدياً على موزع الكتاب وتشويه وجهه (٢).

وهذه الممارسات ليست منعزلة أو طارئة فلها سابقات عديدة منها :

أ- فصل البروفسير "روبيرفوريسون" من منصبه في جامعة "ليون" بسبب تشكيكه في وجود غرف الغاز ، و بذلك فقد تم اغتياله علمياً ومعنوياً .

ب- حصل الباحث "هنري روكيه" علي درجة الدكتوراه من جامعة "نانت" تحت إشراف أستاذ الجامعة نفسها ، وكان موضوع الرسالة "غرف الغاز" ولما تبين أن الباحث يشكك بوجودها أصلاً كانت النتيجة أن سحبت الدكتوراه منه (لأول مرة في تاريخ الجامعات الفرنسية) ، بالإضافة لفصل الأستاذ المشرف بقرار من وزير التعليم الفرنسي (٣).

ج- قدم جارودي نفسه للمحاكمة ٣مرات بسبب مقالة نشرها في جريدة "لومند" ، أدان فيها الغزو الإسرائيلي للبنان سنة ١٩٨٢(٤) .

كل هذا حدث "لجارودي" وأكثر ، مع العلم أنه لم يطعن في الديانة اليهودية ، ولا في العهد القديم ولا في أنبياء إسرائيل . وكل ما حوكم بسببه هو دعوته لمراجعة علمية لرقم ٦ مليون . ومن جراء هذه الدعوة ، حاكمت باريس ـــ عاصمة النور....والتنويريين ... وما إلى ذلك ... المفكر العالمي وأدانته . ولم تأخذ شبكة CNN ـــ وغيرها ـــ بذلك خبراً . مع أن مراسليها لا يفتئون يكررون علينا نفس الدرس صباحا ومساءاً ومن أنهم يتعقبون الأحداث في أي مكان في العالم ويبادرون إلى بثها لمشاهديهم في كل العالم . لم تأخذ CNN ولا غيرها خبراً بمحاكمة جارودي في باريس على فكره ، والتي استمرت ثلاث جلسات حتى الآن ، ولا عن التهديدات

---

(١)- الموضع نفسه .

(2)-http://www.radioislam.org/arabic/garaudy.htm.

(٣)- جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، مصدر سابق ، صـ صـ ١٧٤-١٧٥ .

(4)- http://www.al-vefagh.com/1385/850122/html/saghafe.htm.

التي تلقاها ، ولا الإعتداء على المكتبات التي عرضت كتبه . ربما لا يرقى ذلك لأهمية بث عملية ختان فتاة مصرية ، حية على الهواء مرة تلو المرة [1].

كذلك فإن الرئيس الأمريكي آنذاك "كلينتون" الذي استقبل "سلمان رشدي" في مكتبه ، ثم برر ذلك بأنه تجسيد لوقوف أمريكا خلف حرية الرأي ، لم يأخذ خبراً بتلك المحاكمة ، ولا الغرامة ولا التهديد بالقتل ، ولا الإعتداء على المكتبات التي توزع كتب "جارودي" . وأيضاً رئيس الوزراء البريطاني أنذلك "بلير" والذي دعا "سلمان رشدي" للعشاء في منزلة لم يسمع بذلك أو لم يهتم[2]. أو لأنهم (كلينتون وبلير) يشجعون من يسب الإسلام ، لأن "سلمان رشدي" حسب قول الفيلسوفة الألمانية الدكتورة "أنا ماري شيمل" لا حسب أقوال المسلمين فقط ، قد طعن في شخص نبي المسلمين ﷺ وأزواجه وأصحابه ، فاستفز بذلك المشاعر المقدسة لمئات الملايين من المسلمين[3].

وفي البيان الختامي لمرافعة "جارودي" عن نفسه ضد التعصب الصهيوني قال :"هذه المعركة هي التكملة الضرورية لمعركة حياتي من أجل الحوار بين الثقافات ، كما فعلت من قبل في داكار عندما قمت بمساعدة الرئيس "سنجور" في إنشاء جامعة "دوموتان" من أجل علاقات جديدة بين إفريقيا والغرب وكما فعلت في أسبانيا عندما أنشئت في قرطبة المتحف الوحيد والمركز الثقافي الوحيد المخصص للثقافة الإسلامية في الأندلس ، افتتحنا هذا المشروع منذ عشر سنوات من خلال "ندوة إبراهيمية" رئاستها مشتركة من الأسقف "دوم هيلدر كامارا"، والسيد "مختار أمبو" وهو مسلم وكان يشغل منصب مدير اليونسكو مع رسالة من "يهودى منوهن" وتوجد في هذا المركز الثقافي مؤلفات "لابن ميمون" اليهودي ، والمسلم "ابن رشد" ، والملك النصراني "الفونسو العاشر" ، ويزور هذا المتحف مائة ألف زائر سنوياً يأتون لمشاهده ثمار تعايش الرسالات الثلاثة والثقافات الثلاثة ، كما أقام "يهوى منوهن" حفلاً فنياً لمساعدتنا في تنمية المتحف والمركز"[4].

---

(١)- روجيه جارودي : محاكمة جارودي ، مصدر سابق ، صـ ٧ .

(٢)- الموضع نفسه .

(٣)- المصدر نفسه ، صـ ٨ بتصرف .

(٤)- المصدر نفسه ، صـ صـ ١٥١- ١٥٢ .

٧- أخطاء وقع فيها جارودي :

هناك عدة أخطاء وقع فيها المفكر "جارودي" ربما بحكم تخبطه بين الشيوعية والنصرانية والعلمانية قبل إعلانه الدخول في الإسلام ، ومن أهم هذه الأخطاء ما يلي:

١- إنكار خروج اليهود من مصر :

ففي خضم تشكيك "جارودي" في الأساطير اليهودية ، أخطاء حينما أقحم عقلة البشري فيما هو أعلى منه وشكك في واقعة "خروج اليهود من مصر" هرباً أمام جيش فرعون ، وابتلاع الماء لفرعون وجنده ، حيث قال :"إن أهون انتقال لموظف أو فصيلة عسكرية أو قبيلة من الرعاة في بحثها عن المراعي قد أشير إليه في سجلات حرس الحدود بين مصر وكنعان ... ولكن ليس هناك في هذه السجلات أي إشارة إلى عبور العبرانيين الذي يورده "سفر الخروج" القائل بعبور عدة جيوش وبأن كتيبة من العربات المصرية قد ابتلعها البحر وبأن الرب قد اغرق "فرعون وجيوشه في البحر" والأغرب سكوت المصريين عن أحداث على هذا الجانب من الأهمية ، وعدم تسجيله على المسلات والمعابد كما كانوا يفعلون دائماً [١].

لكن القرآن الكريم يؤكد صدق هذه الواقعة في أكثر من موضع حيث قال تعالى :﴿وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون﴾ (البقرة/٥٠) ، كما قال تعالى﴿ فانتقمنا منهم فأغرقناهم في اليم بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين﴾ (الأعراف/١٣٦) ، وقال أيضاً ﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين﴾ (يونس/٩٠) ، وقال أيضاً ﴿فلما تراءا الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون ، قال كلا إن معي ربي سيهدين ، فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم ، وأزلفنا ثم الآخرين وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ، ثم أغرقنا الآخرين﴾ (الشعراء/٦١-٦٦) ،﴿فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين﴾ (القصص/٤٠) . فكيف بعد هذا التأكيد من الله تعالى أن يشكك "جارودي في تلك الواقعة ، فهو بذلك ينكر كلام الله تعالى بل ويكذبه .

---

(١)- روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات السماوية ، ترجمة قصي أتاسي ، مشيل واكيم ، دار طلاس للدراسات والترجمة ، ١٩٩٠ ، صـ صـ ٦٣ - ٦٤ ؛ جارودي :الاساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، مصدر سابق ، صـ صـ ٤٣- ٤٤ ؛ جارودي : الإرهاب الغربي ، ج١، مصدر سابق ، صـ صـ٥١ ، ٥٩-٦٠.

وبشكل عام يفسر الأثريون عدم تسجيل المصريين لتلك الواقعة في سجلاتهم إلى أن أجهزة الأمن المصرية لم تورد هذه الواقعة لسببان الأول هو هول الصدمة الذي جعلهم لا يرغبون في تسجيل حادث قضى على الجيش المصري والملك بشكل مذل ومخز لجميع المصريين آنذاك ، والثاني : هو أن تسجيل ظهور إله جديد يخالف معتقداتهم أمراً غير جدير بالتسجيل بالنسبة لهم ، ورغبة منهم في عدم تخليد مثل هذا المعتقد حتى يتم نسيانه تماماً ولا تعتنقه الأجيال اللاحقة[1].

٢- عدم أحقية المسلمين لتملك القدس :

أعلن "جارودي" أنه ليس للمسلمين الحق في القول بملكيتهم للقدس ، حيث قال :"إنني أدعو إلى سلام قوامه الإحترام المتبادل دون أن يدعي طرف لنفسه الحق في الاستئثار بالقدس والتي كانت موقعاً لالتقاء الديانات الثلاثة ، والتي تستمد أصولها من رسالة سيدنا إبراهيم"[2].

مع العلم بأن جميع علماء المسلمين وحتى العامة يجمعون على أن القدس وفلسطين كلها بما في ذلك الجزء الذي يحتله الكيان الصهيوني ويطلق عليه دولة إسرائيل هو ملكية مطلقة للمسلمين ، لأنها مسرى رسول الله ﷺ ، وأمّ فيها جميع الأنبياء من لدن "آدم" عليه السلام إلى "عيسى" عليه السلام ، وبذلك انتقلت ملكيتها للمسلمين .

٣- عدم صلاحية تشريعات الإسلام لكل زمان ومكان :

"لجارودي" أقوال أخرى تنم عن أسلمته فقط وليس إسلامه ، منها قوله "وإن تفسيرنا للإسلام على أنه دين نجد فيه تشريعاً سياسياً مفصلاً في القرآن ، وصالحاً لكل الشعوب وفي كافة الأزمنة ، فهو تفسير ضيق لمستقبل الإسلام ، فالقرآن نفسه لم يتوقف عن التذكير بأن الله أرسل لكل أمة رسولاً قادراً على أن ينقل لهم الرسالة بلغة وثقافة هذا الشعب ، وفي هذا الزمن" [3].

وبهذا يؤكد "جارودي" أن التشريع الإلهي في القرآن لا يصلح لكل زمان ومكان . ومن المؤكد أن القول مخالف للعقل والدين والمنطق الإسلامي . ذلك لأن القرآن بالفعل لم يضع تفصيلات دقيقة لكل زمان ومكان ، بل وضع الأسس الرئيسة التي يسير عليها الناس في أمور

---

(١)- د. زاهي حواس للتلفزيون المصري ، القناة الثانية ، برنامج سؤال ، بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٩.

(٢)- جارودي : الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية ، مصدر سابق ، صـ ١٥٠ .

(٣)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ٨٣ .

حياتهم العامة ، لكنه في الحكم والشريعة وضع التفصيلات التي تطبق في البلاد الإسلامية في جميع العصور وعلى جميع الشعوب ، فالتشريع الإسلامي والأحكام القرآنية ثابتان في كل العصور . وربما قال "جارودي" ذلك كي يمهد للخطأ التالي وهو استنكاره كمسلم لتطبيق حد السرقة في هذا العصر .

٤- تعطيل حد السرقة :

تجاوز "جارودي" حدود عقلة البشري مرة أخرى في رفضه تطبيق أحد قوانين الخالق حين حاول كشف أمراض الأمة الإسلامية ، ومن تلك الأمراض في نظره الإصرار على تطبيق قانون عقوبات القرن السابع ، في القرن الواحد والعشرين ، حيث قال :"هناك أمراض كثيرة للمسلمين ومنها محاولة تطبيق قانون مثل قطع أيدي من يقترف جرم السرقة على المجتمعات . حيث أصبحت السرقة فيها صورة من صور المضاربة ، بل هناك سرقات أفظع وأشد هولاً لا تستخدم فيها الأيدي . ومنها سرقة الحياة الشريفة الكريمة العزيزة من ملايين البشر ، وسرقة أعمار الشباب وأحلامهم وطموحاتهم ، وسرقة البشرية من نفوس البشر ، ثم يضيف إن التطبيق الحرفي كان تطبيقاً تاريخياً خاصاً بزمان ومكان". ويعقب قائلاً إنها قضية خلافية تعطي صورة خاطئة للقرآن ويعد هذا بمثابة جريمة ضد الإسلام (١). "كما طالب بإعادة قرأه القرآن قراء جديدة مع التحرر من السطحية التي يقدمها العلماء من ناحية ثانية" (٢). لأنه يزدري هؤلاء العلماء ووصفهم بالجهل قبل ذلك ، مما يعني التخلي عن التراث العلمي لهؤلاء الأفذاذ ، وانسياق كل فرد ، حتى الجهلاء حسب هواه في التفسير للقرآن الكريم وأحكامه ، والتي كان يصعب على بعض العلماء تفسيرها ، وكذلك تفسير الآيات القرآنية كما حدث بين الصحابة أنفسهم قبل ذلك(*). فكيف بنا ونحن بعيدين أصلاً عن منهج الله تعالى كي يفتح علينا ويضيء نور قلوبنا كما أضاء قلوب العلماء السابقين .

وفي أقوال "جارودي" تلك وصف لله سبحانه بالجهل والعياذ بالله ، وأنه تعالى لا يعلم ما يجد في المستقبل وما يناسبه من العقوبة ، فالله تعالى هو الذي أمر بقطع يد السارق والسارقة إلى يوم القيامة ، حيث قال تعالى :﴿ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءاً بما كسبا نكالاً

---

(١)- جارودي : الإرهاب الغربي ، ج٢ ، مصدر سابق ، صـ ٦٠ .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ٦٥ .

(*)- يروى أن الصحابه تعجبوا من مصاحبة سيدنا عمر ﷺ لسيدنا عبد الله ابن عباس ﷺ وكان مازال صغيرا ، فقال لهم : ما تقولون في قوله (إذا جاء نصر الله والفتح ...) ؟ ، قالوا : إن الله تعالى يدعوا النبي لشكره لما حدث بعد الفتح ، قال عمر ﷺ : وما تقول يا ابن عباس ؟ قال :إن الله يعلم نبيه ﷺ بقرب انتهاء أجله ، فقال عمر ﷺ : لا أعلم منها غير ما قلت يا ابن عباس".

من الله ... ثم ختم الآية بقوله سبحانه ... والله عزيز حكيم﴾ (المائدة/٣٨)" ، فهو سبحانه يشرع لكل ذنب من العقوبة ما يناسبه ويمنع وقوعه في كل زمان ومكان ، لكن الفقه والتشريع في رأي "جارودي" على عكس ذلك ، حيث يمكن استخلاصه حسب كل مرحلة تاريخية لحل مشكلات هذه الحقبة فقط [1]. فهو اعتراض على الله في حكمة وكفى بذلك كفراً وإلحاداً . حيث قال الله تعالى ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ (المائدة/٤٤)، ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ (المائدة/٤٥) ، ﴿... ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ (المائدة/٤٧) .

٥- القول بصلب المسيح عليه السلام :

يؤكد "جارودي" قول الكافرين بصلب المسيح عليه السلام حيث قال: "لقد أعطانا يسوع النموذج من خلال بذل حياته وصلبه من أجل النضال ضد هيمنة الطقوس السرية ... وموت يسوع هذا مسجل في تاريخ النضال ضد الأقوياء وقمعهم وجورهم واضطهادهم المادي والروحي الذي يمارسونه ضد الضعفاء والفقراء" [2]. كما يقارن "جارودي" بين سيدنا محمد ﷺ والمسيح عليه السلام في التعرض للقتل ونذر المكافئة من قبل الكافرين لذلك فقال : "كما حدث مع عيسى قال الكهنة الصدوقيين "لبلاطس" ليس لنا إلا ملك واحد هو قيصر وكان أن فازو بصلب المسيح ، ولكن محمد الذي هدد بالقتل هو أيضاً نجح وأصحابه المخلصون من الإفلات من المؤامرة والوصول إلى المدينة[3]. وكذلك قوله عن مدينة أورشليم :"هذه المدينة التي شهدت استشهاد وموت يسوع"[4].

وفي هذه الأقوال تكذيب للقرآن الكريم ولله تعالى ، وهي من أقوال النصارى الكفرة ، حيث قال تعالى : ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا إتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيما﴾(النساء/١٥٧-١٥٨) .

---

(١)- المصدر نفسه ، صـ ٦١ .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ١٦٠-١٦١ .

(٣)- جارودي : الإرهاب الغربي ، مصدر سابق ، صـ٣٨ .

(٤)- المصدر نفسه صـ ١٠٢ .

٦- سياسة المركز الحضاري في قرطبة :

تقول الفلسطينية "سلمى التاجي" زوجة "جارودى" أسسنا المركز الحضاري بقرطبة والذي يعتبره "جارودي" حلم حياته فأطلق عليه "المجتمع الحر" وهو يقوم على أساس تقديم تجربة المجتمع العربي في الأندلس كنموذج للتعايش الخلاق والمثالي بين أتباع الديانات المختلفة ، وهدف المركز هو إبراز دور البلاد غير الغربية وإسهاماتها في الثقافة حتى يتوقف الحوار ذو البعد الواحد من جانب الغرب والقائم على عقدة التفوق لدى الإنسان الغربي (١). وهذا المركز عبارة عن مركز ثقافي ومتحف للفنون ومكتبة كبرى وهو في رأى "جارودي" أعظم خدمة للحضارة الإسلامية إذ أنه يكشف عن عظمتها وقدرتها على تقبل الآخر ، والتعايش معه ، وهو ما لم يتكرر كثيراً لدى الحضارات الأخرى بما فيها الحضارة الغربية (٢).

وبهذا يصل العالم إلى التعددية الثقافية والتي تقوم بسد ثغرة ثقافية هائلة حيث أن التعدد والاختلاف والتنوع كلها أفكار تميز العوالم الطبيعية والفيزيقية والثقافية (٣). كما أن التنوع في مجال الحضارة الكونية يمثل مصدر من أعظم مصادر تراثنا بما يتضمنه من خبرات ومعرفة وحلول متنوعة للمشكلات الإنسانية ، وبهذا يصبح من أهم سمات المجتمع حماية الصور المختلفة للحكم والنماذج المتنوعة للتعبير الثقافي وكذلك مختلف الأديان والعقائد (٤).

ومن أهم مبادئ هذا المركز ألا يدعي التفرد أي دين من الأديان(♥) الموحى بها ، ويستلزم تفرد وحدانية الله تعالى ، الذي تدعوا إليه الأديان وأن ندرك نقص كفايتنا وأهليتنا ولن يتم حوار طالما أن كل واحد يؤكد من البداية أنه يملك الحقيقة المطلقة كلها ، وعلى العكس من ذلك نستطيع أن نبدأ حوار بما يفتقده كل واحد من أدياننا والذي يمنعه من المشاركة في الإيمان الأوحد (٥). حيث أن العالم يحتاج إلى استيقاظ مزدوج للنصرانية والإسلام وكل البشر المؤمنين

---

(١)- محمد عثمان الخشت : روجيه جارودي لماذا أسلمت ؟ مكتبة القرآن ، ١٤٠٦- ١٩٨٦ ، صـ٥٨ .

(2)-http://www.islamonline.net/arapic/adam/2001/04/article16.shtml.

(٣)- راسل جاكوبي : نهاية اليوتوبيا ، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة ، ترجمة فاروق عبد القادر ، عالم المعرفة ، مطابع الوطن ، الكويت ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م ، صـ ٤٧ .

(٤)- السيد ياسين : الحوار الحضاري في عصر العولمة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، صـ ١٦ .

(♥)- لا يوجد ما يطلق عليه "الاديان" لان الدين عند الله الإسلام ، مصداقا لقوله تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران/١٨) ، كما قال أيضاً ﴿ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران/٨٥) ، فكل الأنبياء والرسل دينهم واحد وإلههم واحد ومنهجهم واحد . لذا يوجد رسالات وملل ونحل متعددة ، وليس ديانات متعددة . لأن الدين واحد لا يتعدد ، ولم يفرقه الله تبارك وتعالى أو يعدده .

(٥)- جارودي : الإرهاب الغربي ، ج١ ، مصدر سابق ، صـ٤٢ .

، حتى يمكنهم بناء وحدة روحية واقتصادية على حد سواء للعالم باسم الإيمان المشترك تدعمه الروحانيات الكبيرة مثل الطاوية ، بأن يكون الواحد في الكل"(١).

وبهذا فقد بدت محنة أخرى في ظاهرة من أبشع الظواهر المعادية للإسلام والمسلمين ؛ إذ نزعت في المواجهة نزعا عنيفا بوقاحة كيداً للمسلمين وطعناً في الدين وليا بألسنتهم لإفساد نزعة التدين بالإسلام والدخول فيه وتذويب شخصيته في معترك الديانات ومطاردة التيار الإسلامي وكبت طلائعه المؤمنة إلى ردة شاملة ، ولذا يقول الله تعالى﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم عن استطاعوا﴾(البقرة/٢١٧) ، وقوله سبحانه ﴿ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء .... ﴾(النساء/٨٩) .

ولذا فهي دعوة خبيثة ولها جذور قديمة حيث جهرت بها اليهود والنصارى من الدعوة الجادة إلى نظرية الخلط بين الإسلام وبين ما هم عليه من دين محرف منسوخ وزرع خلاياهم في أعماق البلاد في كل صقع ودار ، وصهر المسلمين معهم في قالب واحد فلا ولاء ولا براء، ولا تقسيم للملة إلى مسلم وكافر أبداً ولا لتعبدات الخلائق إلى حق وباطل ، فالكل مؤمن حسب رأي "جارودي" . ونصبوا لذلك مجموعة من الشعارات وصاغوا له كوكبة من الدعايات وعقدوا له المؤتمرات والندوات ، وفي ظل النظام العالمي الجديد ، جهرت اليهود والنصارى بالدعوة إلى التجمع الديني بينهم وبين المسلمين وبعبارة أخرى (التوحيد بين الموسوية والعيسوية والمحمدية) باسم الدعوة إلى التقريب بين الأديان ، ثم باسم نبذ التعصب الديني وباسم مجمع الأديان ، وله فتح مركز بسيناء مصرنا بهذا الاسم . ومن آثار هذه النظرية على الإسلام والمسلمين اقتحام العقبة وكسر حاجز الهيبة من المسلمين من جهة وكسر حاجز النفرة من الكافرين من جهة أخرى ، كذلك عقد المؤتمر الإبراهيمي في قرطبة بمشاركة أعداد من اليهود والنصارى ومن المنتسبين للإسلام من القاديانيين والإسماعيليين ، وكان انعقاده باسم مؤتمر الحوار الدولي للوحدة الإبراهيمية (٢).

ومن الغريب أن "جارودي" بعد أن أعلن دخوله الإسلام مازال يتمسك بمثل هذه الأفكار النصرانية الضالة ، وذلك دليل دامغ على أن الرجل ما زال على كفرة ولم يدخل الإسلام بعد إلا ظاهراً أو لم يفهم حتى الآن تعاليم الإسلام ولم يتعلمها ، أو دخله بهدف محاربة الإسلام من الداخل بدلاً من محاربته من الخارج .

---

(١)– المصدر نفسه ، صـ ١٦٨ .

(2)-http://www.al-eman.com/islamlib/viewchb.asb?BID=282&CID=2.

فمن المعروف أن ما يسمونه "حوار الأديان" أمر يتزعمه الغرب في الوقت الحاضر حيث يزعمون به الرغبة في التعرف على العقائد الأخرى والتقريب بين الأديان . ولكن الأصل في الحوار هو أننا أصحاب الدعوة الحقة وعلينا أن ننطلق بدعوتنا على عقر دارهم عملاً بقول الله تعالى :"قل هذه سبيلي أدعوا إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني" (يوسف/١٠٨) ، وقول الرسول ﷺ "نضر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها وأداها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه"[1]. ومن المؤكد أننا نملك الهداية والرحمة والخير للبشرية ، فعلينا ألا نترك فرصة للحوار وبخاصة أن الله عز وجل يعلم أنهم سيطلبون الحوار والجدال فأمرنا ألا نجادلهم إلا بالتي هي أحسن ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾(العنكبوت/٤٦) ، وقوله تعالى ﴿إدعو على سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن﴾(النحل/١٢٥).

أما الحوار في شكله الحالي فلا يخدم أهداف المسلمين لأنه يعقد في سرية ونادراً ما يحضره علماء مسلمين أقوياء ولا ينطلق من أسس ثابتة مثل اعتراف النصارى أو اليهود برسالة الرسول ﷺ ، لأن الحوار الحقيقي الذي ينطلق بين أنداد ، فإذا كانوا لا يعترفون برسالة الرسول فأي حوار يمكن أن يكون معهم ؟ ولذا لا ينبغي أن يكون الحوار إلا من قبل مسلمين أقوياء في عقيدتهم ، عارفين بعقائد النصارى وأن يكون الحوار علنياً ــ مثل مناظرات الشيخ أحمد ديدات ــ لأنهم يحرصون على سرية هذه الحوارات مما لا يتيح للمسلمين إظهار ما عندهم من الحق الذي يعرفه النصارى كما يعرفون أبنائهم كما جاء في قوله تعالى :﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم﴾(البقرة /١٤٦).

ولهذا كله وأكثر قال عنه الإمام الشيخ "ابن باز" (إن "روجيه جارودي" لا يحكم عليه بأنه مرتد عن دين الإسلام كما توهمه بعضهم ، وإنما هو كافر أصلي لم يدخل في الإسلام كما اعترف هو بذلك حيث يقول "جارودي ": (انتهيت إلى الإسلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية)[2].

---

(١)- رواه احمد في مسنده . ورواه الترمذي : كتاب العلم ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع .

(2)-http://www.binbaz.org.sa/last_resault.asp?hID=522 .

ثانياً:ــ نقد "دانييل" للحضارة الغربية :

في هذا الفصل يحاول "دانييل" إظهار تعاطفه مع المسلمين ونصرتهم في وجه الإضطهاد والغطرسة الغربية في القول والفعل والمعتقد ، حيث ينتقد التوجه المريض والمنحى العدائي للحضارة الغربية الذي تتجه به نحو الإسلام وأهله ، برغم علم الغرب جيداً مدى التأثير الحضاري الإسلامي على الحضارة الغربية المعاصرة ، وذلك للعداوة الشديدة الكامنة في قلوب الغربيين على الإسلام وأهله ، فالعداوة الغربية للإسلام أمر ثابت منذ وقت طويل ، وقد أفصح الغرب عن هذا التوجه العدواني في عدة محطات ومواقف ، ليس أولها الحملات الصليبية ــ والتي كان شعار منتقفيها حسب قول "دانييل" أن السيف في معدة العدو Enemy's Stomach كان هو الإسلوب الوحيد للدفاع Only Sure Defense ، وكان المتعلمين أيضاً على نفس الرأي Opinion وتلك الأفكار[1] ــ ، أو تقسيم فلسطين والتآمر عليها بعد ذلك ، والتي يدعون أنهم جاءوا بالحملات الصليبية ليحرروها ، وليس آخرها إحتلال البلدان العربية والإسلامية ، ووضع سياسات عنصرية لصرف المسلمين عن دينهم . فكم من مرة نسمع عن صناعة ألبسة أو أحذية عليها اسم الجلالة أو اسم النبي ﷺ سخرية واستهزاءً وإذلالاً للمسلمين ، ولا يتحرك الغرب ليوقف هذا العدوان فيما هو ينهض ضد حق المسلمين في الدفاع عن دينهم وكرامتهم ، وما قضية "سلمان رشدي" والكاتبة "تسرين" الهندية إلا نموذجين للإزدواجية الغربية في التعامل مع دعوى حقوق الإنسان .

١ – أيدلوجية الغرب في ترجمة القرآن الكريم :

للغرب نظرة استعلاء بالإضافة للكراهية والحقد الدفين ، ونظرة الإستعلاء هذه نشأت لدى الغرب منذ اليونان حيث أنها تعتبر نفسها شعوباً ممتازة وتعتبر الشعوب الأخرى همجية ، يجوز استعبادها بالقوة ، حيث امتازت تشريعات القانون الروماني على سبيل المثال بالكثير من المساواة بين أفراد الشعب الروماني في حين اختلفت تلك التشريعات عن التي وضعت لحكم شعوب الدول التابعة لروما ، أو ما كان يطلقون عليه "البرابرة" ، وعندما يقع خلاف بين هذه الدويلات التابعة كانت روما هي التي تفصل فيه ، فنشأ بذلك وجود دولة كبرى لها صفة الرئاسة العليا بين الدول[٢].

(1)- Norman Daniel : The Arabs and Mediaeval Europe , Op- Cit . P. 252 .

(٢)- جون . ف. تولان : الإسلام في مخيلة الأوربيين في القرون الوسطى ، مصدر سابق ، صـ ٣ .

ومن الحقائق المسلم بها أن الرؤية التي تحملها أمة من الأمم أو ملة من الملل إزاء الطرف الآخر هي التي تحدد إلى حد بعيد سياساتها ومواقفها تجاهه ، ولما كان عالم الإسلام أكبر كتلة واجهت أوربا في العصور الوسطى ، فإن الرؤية الأوربية لذلك العالم هي التي رسمت سياسة أوربا ومواقفها تجاهه [١]. كما وأن التصورات الغربية ومثيلاتها الإسلامية تتسم بعدم الثقة والإتهامات المتبادلة بين الفريقين و التي تشهد عليها تجارب الصراع الطويل بين الجانبين على مر السنين ، والتي مازال تأثيرها باقي ويؤثر على عقول الفرقين حتى الآن [٢]. حين رسخ في أذهان الكثير من الغربيين أن الإسلام هو الأكثر ترجيحاً لمعارضة المصالح الغربية في غالبية أنحاء المعمورة ، ولقد أخذ هذا النزاع مظهر النزاع بين حضارتين مختلفتين [٣].

كما أن صورة الإسلام في الغرب قد تم تلوينها بمهارة وذكاء مفرطين ، على أنها صورة تعكس الوجه القبيح للإرهاب وكذلك العنف والتعصب ومصاحبة الشكل الأسود للكراهية . وهناك العديد من الكتب تصدر بصورة مستمرة في الغرب بعناوين صارخة مثل "خنجر الإسلام ، الإسلام والعنيف ، كفاح الإسلام ، همجية الإسلام ، ثورة الإسلام ، ...." كما تعبر الصحف والمجلات عن ذلك الخوف الأصولي من خلال عناوين عديدة منها : "المقاتلين في سبيل الله ، المحاربين المقدسين ، الإسلام يساند عصور الظلام" ، وهذه ليست صورة جديدة بل غيرت قليلاً من جيل إلى جيل كما قال "دانييل" والذي يؤكد نفس الشيء ، حيث قال :"إن العمل على وصم حياة محمد ﷺ بالعنف والفساد كانت جزء هام من الدعاية والحرب الكلامية النصرانية"[٤].

لذا دأب الغرب على تقديم صورة سيئة للإسلام . ومن ضمن آلياتهم لذلك قدموا للقرآن الكريم ترجمات رديئة ، فظهرت على سبيل المثال في ترجمة "روبرت كيتون Ketton"، حواشي وتعليقات تنم عن روح صليبية عدائية تجاه القرآن الكريم والنبي محمد ﷺ مما يدخل في إطار القدح الكريه وعلى الرغم من ذلك فإن السلطات الكنسية آنذاك لم تسمح بظهور هذه الترجمة مباشرةً نظراً لسيادة الشعور الصليبي المغالي ، وخوفاً من أن تؤدي هذه الترجمة على مساوئها إلى التعريف بالإسلام وانتشاره عوضاً عن الهدف الأصلي وهو محاربة الإسلام ،

---

(١)- د. على محمد عودة الغامدي :العرب وأوربا عبر عصور التاريخ : حصاد ٧ ، ندوة عقدها الإتحاد في مقره بالقاهرة ، منشورات إتحاد المورخين العرب ، دار روتابرنت للطباعة ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م ، صـ ٥٩ .

(٢)- كاي حافظ : الإسلام والغرب وإمكانيه الحوار ، ترجمه صدرح محجوب إدريس ، مراجعه وتقديم محمد حلمي حسن ، المجلس الأعلى للثقافة ، بدون تاريخ ، صـ ٥١ .

(٣)- جراهام .أي . فولر : الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة ، ترجمة شوقي جلال ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٧ ، صـ ١٣ .

(4)-http://www.dialogue-yemen.org/ar/modules.php?name=sections&op=viewarticle&artid=32.

وبالفعل اطلعت عليها أوساط دينية نصرانية كثيرة وتأثرت بها ، وقد ظهرت هذه الترجمة مطبوعة في عام ١٥٤٣م في مدينة "بال" السويسرية لدى الناشر "بوكمان ببليارديٍ" ، وأعيد طبعها مرتين في زيورخ عام ١٥٥٠ و١٥٥٦ ، وكانت الغاية المعلنة من مشروع الترجمة هذا هو معرفة كتاب الإسلام ، والهدف الحقيقي هو أن تكون الترجمة سلاحاً يستخدمه النصارى ضد المسلمين في فترة انطلاق أهم الحملات الصليبية إلى الشرق العربي الإسلامي . وقد قال "دانييل" عن ترجمة "روبرت" أنه كان دائماً يغلو ويبالغ في ترجمة نص غير عدائي كي يضفي عليه طابعاً كريهاً أو إباحياً ، أو يضيف تفسير غير محتمل ومكروه على تفسير محتمل وغير مكروه ، وقد استخدم هذه الترجمة "ريتشارد" في الدفاع عن الكتاب المقدس Scripture[1]. وهكذا فالكتاب الغربيون دائماً ما أن تسنح لهم الفرصة للإساءة للعرب والمسلمين إلا وتناولوا الإسلام بالتجريح والإساءة المفرطة ، كما اتهموا الإسلام بأنه هو السبب في تخلف العرب [2].

ويرى "دانييل" أن من أهم أسباب الكره للإسلام هو الإدعاء بأن الإسلام هو "دين إبراهيم وكل الرسل" ، وكلما ازداد فهم هذا المعنى بوضوح أكثر كلما زاد الإغتياظ من الإسلام أكثر[3]. كما تجنبت ترجمة "كيتون" العبارات التي تعرّف بدين الإسلام ولم توضح المعنى الحقيقي للإسلام ولا مكانة القرآن بالنسبة للمسلمين...."كما أن التحريف في الترجمة شمل معاني الآيات أيضاً حيث تم إهمال الآيات الدالة على أن الدين الصحيح عند الله هو الإسلام"[4] . حيث قال تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ (آل عمران/١٨) . كما تمت ترجمة خاطئة للآية ﴿فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين آتوا الكتاب والأميين ءأسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد﴾ (آل عمران/١٩) . ومعنى الآية أن من اتبع دين الإسلام فقد اهتدى ومن لم يفعل فقد ضل ، ولكن تلك العبارات غيّرها "كيتون" إلى (وقل إنك وجهت وجهك لله وكذلك فعل التابعين) ، وغيّر كذلك تفسيرها ليصبح "فإن هؤلاء الذين يعلمون الدين الصحيح بالإضافة إلى الذين لا يعلمون يتبعون الدين الحق" [5].

---

(1) - Norman Daniel : Islam and The West , Op. Cit . p . 23 .

(٢)- د. عزة على عزت : صورة العرب في الغرب "ملامحها وأساليب تغييرها" ، ط١، مصر العربية للنشر والتوزيع، ١٩٩٧، صـ١٥.

(3) - Norman Daniel : Islam and The West , Op. Cit . p . 23 .

(4)- Ibid : p . 24 .

(5)- Loc -Cit .

كما قدم "مارك" وهو مستشرق آخر ترجمة للقرآن الكريم ووصفها "دانييل" بالسوء في إغفاله لعبارات كثيرة في القرآن سواء في الترجمة أو النسخ (١). ولكن ترجمة "كيتون" هي التي حققت انتشاراً واسعاً في أوربا في كلٍ من العصور الوسطى وفترة الإصلاح ، وعلى عكس ترجمة مارك فإن ترجمة "كيتون" حجبت تعريف وتطابق كل الرسل كمسلمين ، وهذا يبدوا متعمداً (٢). لكن "دانييل" يقف بجانب "سان بيدرو" في القول بكذب الإدعاء القائل بأن كل الرسل كانوا مسلمين ، حيث قال : "قال محمد ﷺ أن نوح وإبراهيم وإسحاق وأبنائهم كانوا مسلمين ، ثم قال بنفسه بعد ذلك أنه مفروض عليه أن يكون المسلم الأول ، ويقصد بذلك الآية ﴿قل إنني هداني ربي على صراط مستقيم ديناً قيماً ملة إبراهيم حنيفاً ومن كان من المشركين ، قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ، لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين﴾ (الأنعام/١٦١-١٦٢-١٦٣) ، فكيف إذا كانوا مسلمين إذاً كان محمد هو الأول ؟ وعلق "دانييل" على ذلك قائلاً : "هذا قول منطقي وله دعوى قوية خصوصاً بالنسبة للعقول المدرسية المدربة(٣).

ومن المعلوم لدينا نحن المسلمون أن الله تعالي قد أخبرنا بأن دين هؤلاء الرسل كان هو الإسلام حيث قال في كتابه العزيز ﴿ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني عن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون ، أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحاق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ (البقرة/١٣٢-١٣٣) .

ويكمل "دانييل" حديثه فيقول كما أن محمد ﷺ يقول أن نوح كان مسلماً والسبب في مجيء الطوفان إلى الأرض أنه وعظ قومه بأنهم ينبغي عليهم أن يكونوا مسلمين ولكنهم رفضوا ، وهذا في الواقع زيف ، فكيف أن نوح عليه السلام الذي سبق محمد ﷺ بألفين وخمسمائة عام أن يكون مسلماً"(٤).

ولما لا يكون نبي الله "نوح" عليه السلام مسلماً وقد قال الله تعالى﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركائكم

---

(1)- Ibid : p . 25 .

(2)- Loc -Cit .

(3)- Ibid : p . 26 .

(4)- Loc -Cit .

ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليَ ولا تُنظِرون ، فإن توليتم فما سألتكم عليه من أجـر إن أجريَ إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ (يونس/٧١-٧٢) . كما قال تعـالى﴿إن الدين عند الله الإسلام ﴾ (آل عمران/١٨) ، كما قال أيضاً ﴿ومن يبتغي غير الإسلام ديناً فلـن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران/٨٥) ، فكل الأنبياء والرسل دينهم واحـد وإلههم واحد ومنهجهم واحد ، فالله تعالى أرسل الرسل تترا بما يناسب عقلية كل عصر ، لكـن على اختلافهم فهم رسل إله واحد . وما من رسول إلا ونكر لقومه أنه من المسلمين مصداقاً لما قاله الله تعالى في كتابه العزيز ، وقد أدى كل الرسل رسالتهم على أكمل وجه ونصحوا وبينـوا للناس الحق من الباطل . وصدق الرسول الكريم فيما بلغ عن رب العزة .

كما يؤكد "دانييل" أن الجدل في العصور الوسطى كان سببه تعارض القرآن الكريم مع العقل والمنطق والكتاب المقدس بخصائصه المتسقة ، وكذلك مع الفلسفة وطبيعة العقـل ، حتـى أن القارئ الغربي كان يندهش من ذلك ، وفي العادات والتقاليد الغربية لا يعد القرآن أكثر من نزوة ، وهو نفس رد فعل الغربيين المتعلمين في هذه الأيام [(١)].

هذا هو منهج "دانييل" حيث يظهر التعاطف مع الإسلام والدفاع عنه ، ثم يدس السم فـي العسل ، وذلك بإظهار الدفاع عن الإسلام وبعد ذلك يوافق على أراء أشد المعارضـين للـدين الإسلامي والمقوضين له والمريدين هدمه . كما أوجد الغرب الآليات المخلفة التي يستطيع بهـا التحكم الجيد في جميع الدول الإسلامية إقتصادياً وفكرياً ، ومنها العولمة والتي لها من خطـر كبير على الحضارة والثقافة الإسلامية [(٢)]. لذا يعد الرفض للعولمة من منطلقات إسلامية ومـن منطلق الدفاع عن الهوية الثقافية والحضارة الإسلامية ، ورفض تركيز قاعة التبعية بين المركز والمحيط [(٣)]. ونظراً لرؤية الغرب المخالفة لهذه الرؤية فإنهم يوجبوا محاربـة هـذه الـشعوب حرصاً منهم على تقدم المدنية وأمنها بصورة عامة وعلى طريقتهم الخاصة [(٤)].

وعندما تقوم "باكستان" بصنع قنبلة نووية يصفها النصارى بالقنبلة الإسلامية ، والقنبلة التي أسقطت على هيروشيما لم تكن قنبلة نصرانية ، والقنبلة التي صنعتها إسـرائيل ليـست قنبلـة يهودية ، والقنبلة التي صنعتها الهند ليست قنبلة هندوسية ، ولكن إذا نجحت باكستان في صـنع

---

(1)- Ibid : p . 57 .

(٢)- محمد الجوهري ، حمد الجوهري : العولمة والثقافة الإسلامية ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، صـ٩٦ .

(٣)- السيد ياسين : العولمة والطريق الثالث ، مرجع سابق صـ ٣٦ .

(٤)- مكسيم رودنسون: الإسلام والرأسمالية ، ترجمة نزيه الحكيم ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٢، صـ٢٢ .

قنبلة فهي قنبلة إسلامية ، مع العلم أن القوتان العظمتان في أحد الأوقات (روسيا وأمريكا) قد وقعتا في عام ١٩٦٣على معاهدة لحظر التجارب النووية ، وذلك للحظر من وقوع حروب نووية ، وقد عقب الرئيس "كندي" بعد توقيع المعاهدة بالأحرف الأولى بخطاب للشعب الأمريكي بقوله "إني أتحدث إليكم اليوم بروح الأمل ، فمنذ تقدم الأسلحة النووية وكل البشرية تناضل من أجل الهروب من الإحتمال المظلم للتدمير الشامل على الأرض ، فبالأمس كسر شعاع الأمل هذا الظلام ، والمعاهدة ليست نهاية المطاف ولكنها خطوة أولى نحو السلام والعقل ، وبعيداً عن الحرب [1]. وبالرغم من ذلك لم يتوقف الغرب عن إجراء التجارب النووية. وكأن للغرب الحق في امتلاك السلاح النووي وتهديد من يخالف أوامرهم به ، أما المسلمون فليس لهم مجرد الحق في التحدث في مثل هذا الأمر ، وكأن الغرب فقط هو الذي يستطيع ضبط نفسه وتقديس حياة البشر . ولكن الواقع يكشف عكس ذلك ، حيث أن القداسة في الإسلام لحياة الإنسان أعلى من الغرب بكثير، فهي الأسمى ، حيث قال الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل ﴿من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفس أو فسادٍ في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾ (المائدة/٣٢) . ولم يحدث قط أن اضطر المسلمون إلى حشد كل وُهبوا من مواد ثقافية وسياسية للقيام بقتال في سبيل البقاء كما يحث في الغرب[2] .

٢- ما يسمى حوار الأديان :

نحن نعيش في عالم أصبح ما يطلق عليه "الحوار بين الأديان" أمراً ممكناً . والإسلام كدين يريد أن يكفل لمعتنقيه ولغيرهم الحرية في عقيدتهم ، بحث يكون المسلم والنصراني سواء ، في حرية العقيدة والرأي ، فبالحرية وحدها يتقدم العالم للكمال ، لذا حث الإسلام على الحرية [3]. كما أن الحرية تمثل قضية محورية في الفكر الفلسفي ، والفكر الفلسفي بدوره ظل يعمل على ترسيخها لدى إنسان الحضارات المختلفة [4]. والحرية هي نفي للعبودية ، فإذا كنت أريد تأكيد حريتي عليّ أن أتعالى وأن أنفي العبودية التي تقلصني من الغير [5]. وقد غالى البعض في تأكيد الحرية لدرجة القول بأن الحرية هي مبدأ ديني مقدس وينظم على أساسها المجتمع ، بل وتعتبر

---

(1)- Sorenson , Theodre :"Kennedy" Harpers and Row ,New York , 1969 ,p .737 .

(٢)- جوستاف جرونيباوم : يوضه الإسلام ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة عبد الحميد العبادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ ، صـ ٥٠ .

(٣)- توفيق الطويل : الحضارة الإسلامية والحضارة الأوروبية ، دار الثقافة ، بدون تاريخ ، صـ ١٣١ .

(٤)- سارتر : الوجودية مذهب إنساني ، ترجمة عبد المنعم الحفني ، مطبعة الدار المصرية ، ط١ ، ١٩٦٤ ، صـ ٩ .

(٥)- مسعاد حرب : الأنا والآخر والجماعة "دراسة في فلسفة سارتر ومسرحة" ، دار المنتخب العربي ، ط١ ، ١٩٩٤ ، صـ١٢ .

بديل للمبدأ الإلهي والسلطة الإنسانية (١). مع العلم بأن الحرية في الإسلام لا تتمثل في أن يفعل الإنسان ما يشاء مما لا يتعارض مع حرية الآخرين فحسب ، بل إنها تتعدد إلى الحق في التعبير وحرية الرأي ، والحق أيضاً في أن تستدعي القانون على أي رأس في البلد مهما علا إذا اعتدى علينا (٢). كما أن الحرية منصوص عليها في الوحي وسير الخلفاء الراشدين ، فلا يملك إنسان لإنسان أمراً وكل إنسان مسئول ألزم طائرة في عنقه (٣). ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ (فاطر/١٨) . وهذه الحرية سمحت لأتباع الرسالات المختلفة بالتحاور بينهم .

لكن "دانييل" يؤكد أن هذه الحوارات الدينية والمجادلات الكلامية بين الأديان وخصوصاً بين المسلمين والنصارى ليس الهدف منها بالنسبة للنصارى الرغبة في فهم الدين الإسلامي أو معرفة دقيقة بالدين الإسلامي وتفاصيله ، كما أن المعلومات التي كانت لدى النصارى وتم تقديمها قد تم تأليفها من قبل النصارى أنفسهم وهي غير مقبولة بالنسبة للمسلمين (٤). بل إن الهدف من هذه المناقشات كان لبيان أن الإطروحات والإدعاءات الإسلامية ليست صحيحة ، بل لم تتعدى هذه المناقشات في بعض الأحيان الإختلافات بين عادات المسلمين والأوربيين ، كما لم يكن في هذه المناقشات ما يقنع المسلمين بجديتها (٥). وفي النهاية يؤكد "دانييل" أن على المسلمين إذا كانوا يؤمنون أن القرآن هو كتاب من عند الله حقاً وغير فاسد أو محرف فيجب عليهم الإعتقاد بنفس الشيء بالنسبة لنص الكتاب المقدس ، فمن ذا الذي يجرؤ على تحدى التحذيرات الموجودة في الكتاب المقدس ضد التدخل في النص"(٦).

وتعد قضية إنكار إلوهية المسيح من جانب المسلمين هي من أهم القضايا الشائكة بين الطرفين ، لذا ينظر النصارى للإسلام على أنه بدعة وهرطقة شيطانية (٧). وإلى النبي محمد ﷺ على أنه المولود الأول للشيطان الذي أغوى الشرق بعقيدته المهلكة (٨). حيث وُضِع الإسلام كثالث دين مع الهرطقة واليهودية (٩). وأيضاً لم يكن لدى النصارى النية المخلصة في النقاش

---

(1)- Bakunin Michael , God and the State with a New Introduction and Index of Persons by Paul Avrich Dover ,publication's, New York , 1970 , p . 12 .

(٢)- سيريل جود : الحرية في القرن العشرين ، ترجمة طه السباعي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صـ ٩٥ .

(٣)- د. حسن حنفي : دراسات فلسفية ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، بدون تاريخ ، صـ ٢٠٤ .

(4) - Norman Daniel : Islam and The West , Op. Cit . p . 44 .

(5)- Ibid : p . 47 .

(6)- Ibid : p . 49 .

(7)- Ibid : p . 166 .

(8)- Ibid : p . 185 .

(9)- Norman Daniel : The Arabs and Mediaeval Europe . Op- Cit . P. 258 .

المعتدل مع المسلمين أبداً ، ولكن الهدف كان إظهار بطلان معتقدات الخصم ، وجعل هذه المعتقدات كريهة وبغيضة فلا يحدث تحول إلى الإسلام من قبل النصارى[١].

٣- الحملة الفرنسية على مصر :

قامت الحملات الصليبية قديماً لدى الغرب عندما ظهرت فكرة تحرير الأقطار التي كانت نصرانية وأصبحت مسلمة [٢]، وفي العصر الحديث عندما ضعفت شوكة المسلمين أتت الحملة الفرنسية على مصر بقيادة "نابليون بونابرت" ، وعارض ذلك البريطانيون لأن فيه تهديد لمصالحهم في الشرق ، ولإقتناعهم بأن أهداف الفرنسيين في مصر كانت دائمة[٣] . بعكس ما ادعاه "بونابرت" من أن مجيئه كان لنصرة الشعب المصري وتأديب المماليك المعتدين على الرعايا الفرنسيين والحجاج النصارى فقط . فهدف الفرنسيين هو إنشاء قواعد عسكرية دائمة في مصر فتصبح نواة قوة أوربية في ذلك البلد المسلم [4]. ونشر مبادئ الثورة الفرنسية خارج أوربا ، وتفكيك الإمبراطورية الإسلامية ، ذلك لوجود الميراث الأوربي الطويل المستاء من الإسلام ، وقد تم بلورة هذا الإغتياظ والحقد في طبيعة العلاقة بين أوربا وتركيا[٥] . كما تنبأ الفرنسيين لمصر بأنها ستستقل عن تركيا وتصبح دولة لها مكانتها الكبيرة في المنطقة [٦].

وأقر "نابليون" برفض المسلمين للقسوة والعنف ، وبالرغم من ذلك كانت هناك مقاومة شرسة من قبل من أسماهم "عرب الصحراء Arabs of Desert" ، ويعتبر هذا هو السبب الذي أرغم "نابليون" على عقد اتفاقيات معهم ، ليس بالصداقة فقط ولكن بالتحالف أيضاً مع ثلاثين رئيساً منهم [٧]. وفي النهاية أجبر المصريين والإنجليز الفرنسيين على الجلاء عن مصر ، لكن إنجلترا لم تغمض عينها عن مصر حتى احتلتها ، وقد بقيت الحكومات الفرنسية بعد "نابليون" على عدائها للإسلام واعتمدت في تنفيذ خططها على التحالفات النصرانية التي عقدها "نابليون" في مصر قبل رحيله [٨].

---

(1)- Normal Daniel : Islam Europe and Empire , Op- Cit. p . 4 .
(2)- Ibid : p . 65 .
(3)- Ibid : p . 132 .
(4)- Ibid : p . 238 .
(5)- Ibid : p . 145 .
(6)- Ibid : p . 132 .
(7)- Ibid : p . 94 .
(8)- Ibid : p . 238 .

كما يرى "دانييل" أن السبب في العداء والمواجهة بين الغرب والإسلام هو تقديم الإسلام نفسه كناسخ لما قبله ، حيث أوضح القرآن أنه جاء ليس فقط ليؤكد تعاليم وقوانين الإنجيل والتوراة بل ليصححها أيضاً ، حيث فشل كلٍ من اليهود والنصارى في المحافظة على الكتب السماوية التي ائتمنوا عليها ، كما ويعتقد المسلمون أيضاً أن القرآن جاء لنسخ الوحي الأول من التوراة والإنجيل (١).

ونلاحظ ردة الفعل لهذا عندما استولى النصارى على أراضي المسلمين في الأندلس ، حيث كان محظوراً على النصارى تلقي الخدمات من المسلمين ، وكذلك منع المسلمون من تقليد أي منصب في الدولة ، وكانوا مطالبين هم واليهود بارتداء ملابس مختلفة عن النصارى ، خوفاً من الإختلاط ، كما كان ممنوعاً عليهم قانوناً الإعلان عن الصلاة أو الحج في كل الأراضي والمقاطعات التي كانت تخضع للنصارى ، حيث وجد النصارى في الدعوة للصلاة ذكر لإسم محمد ﷺ على مدار اليوم ، وهذا كان يزعج النصارى كثيراً (٢).

وكان النصارى منذ أمد ينتظرون هذه الأحداث ، حيث يعتقد النصارى أن العرب سوف يتركون الصحراء بأعداد كبيرة ، وسيكون النصارى وقتها بانتظار الملك الذي سيظهر ليخلص النصارى ، وسيتم هذا عندما يقوم الله الرحيم بالقضاء على العرب على يد "تشارلز العظيم".... ومن المعتقدات الأخرى للنصارى ذكر الإنجيل بأن أمة العرب من نسل إسماعيل سيكون منهم رجل متوحش ، وستكون يديه ضد أيادي البشر ، وسينصب خيامه لأصحابه ، ويعقب "دانييل" على ذلك المعتقد بأن القارئ يتساءل هل هذه الصفات متوافرة في "محمد" ﷺ ؟ ثم يجيب على نفسه قائلاً : ولما كان لا يوجد سواه يتصف بهذه الصفات من الوحشية ونصب الخيام لأصحابه فقد أصبح هو محل التفكير (٣) .

ويجيء "هنتجتون" في العصر الحالي ليؤكد فكرة الصراع بين الحضارة الغربية والحضارة الإسلامية بنظريته عن "صدام الحضارات" قائلاً :"سيهيمن صراع الحضارات على السياسة العالمية ، ولهذا لا بد من الحد من تنمية القوة العسكرية للدول الكونفوشيوسية(*) والدول الإسلامية ، ولا بد من الاحتفاظ بالتفوق العسكري في الشرق الأقصى وجنوب غرب آسيا ، ثم

(1) - Norman Daniel : Islam and The West , Op. Cit . p . 47 .
(2)- Ibid : p . 116 .
(3)- Ibid : p . 128 .

(*)- نسبة إلى الفيلسوف كونفشيوس بالصين .

استغلال الصراعات والخلافات بين الدول الكونفوشيوسية والدول الإسلامية ، ولا بد من الحفاظ على القوة الإقتصادية والعسكرية الغربية لحماية مصالحها في علاقاتها مع تلك الحضارات" (١).
كما أكد ذلك المفكر على خطر الإسلام وكثرة منازعاته الإقليمية فهو مصدر لعدم الحوار بل للصراع حيث قال " أن أشد خطوط التقسيم الحضاري عنفاً هي تلك الموجودة بين الإسلام وجيرانه (٢). كما أضاف أن كل صراعات الدول المسلمة والتمرد على الحكومات أو أسباب قمع الحكومات المسلمة للأقليات بها هي كونهم مسلمين ، فقال :"في جميع هذه الأماكن كانت العلاقات بين المسلمين وشعوب الحضارات الأخرى دائماً عدائية"(٣).

وإذا كانت هذه هي أيديولوجية الغرب تجاه الإسلام فإن تعاليم الإسلام غير ذلك ، حيث أمرنا الله تبارك وتعالى بحسن الجوار والتعامل مع الآخر ، حتى أثناء الجدال ، فأمر المسلمين ألا يجادلوا الكتابيين إلا بالحسنى حيث قال تعالى :﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ...﴾ (العنكبوت/٤٦) ، ولذا فالحوار مع الآخر ضرورة ملحة ، وقد قام بها كثيرون ومن ذلك ما حمله لنا التراث الإسلامي من مناظرات فيما بين المسلمين أنفسهم كمناظرة ابن عباس للخوارج ، أو مع غيره من اليهود والنصارى والمشركين ، بل وحتى في عصرنا هذا ممن يحمل علماً بالشريعة كمناظرات الشيخ "أحمد ديدات"(٤).

كما أنه في الإسلام هناك اتجاه يقول بأن الإسلام في حرب مع الغرب ، ويرفض المنهج العلماني القائل بتعارض العقل والسياسة مع الدين ، ويرى أن الدين قائم على ضمائرنا ولتلبية حاجاتنا وحاجات النفس الإنسانية ، وأن الإيمان بقوانين الطبيعة لا يلغي الإيمان بالله ، فللعلم غاية وللدين غاية والغايتان لا يتعارضان (٥).

ونلاحظ بعد كل هذا مدى التشابه والتطابق بين "جارودي" و"دانييل" حيث أظهر كلاهما التعاطف مع الإسلام والمسلمين والرغبة في الحوار معهم من خلال الحوارات الحضارية المتعددة واللقاءات ، بيد أن كلٍ منهما أبطن الكره والبغض للإسلام ، فما عسانا أن نفعل في مواجهة ذلك الطوفان من التهجم على الإسلام والمسلمين من كل حدب وصوب والمسلمون

---

(1)- http://www.el3amal.com/news/news.php?i=2715&phpsessid=3d0b1618194cac2a96031dfbaa6b8f70.
(٢)- صامويل هنتجتون : صدام الحضارات ، مرجع سابق ، صـ ٢٩٣ .
(٣)- الموضع نفسه .
(٤)- مجلة جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، العدد الثامن والأربعون ، شوال ، ١٤٢٥ ، ص٢٣٥ .
(٥)- د. فؤاد زكريا : خطاب إلى العقل العربي ، الكتاب العربي ، الكتاب السابع عشر ، الكويت ، ١٩٨٧ ، صـ ٦٤ .

متفرقون ، وكل منهم يسعى لطلب نفعه الخاص فقط ، فلا بد لنا من العودة إلى منهج الله عز وجل مرة ثانية ، ولذا فقد طالب الكثير من علماء المسلمين بعودة الخلافة مرة ثانية ومنهم الشيخ "سيد قطب" وغيره وسعوا نحو توحيد الأمة حيث عاشت الأمة الإسلامية قروناً في ظل الإسلام وتهتدي بهداه وتنهج بنهجه وتعتز بالإنتماء إليه ، لذا استحقت البقاء والتمكين والإستخلاف ، فالوحدة غاية إسلامية ، وأمنية عزيزة لكل مسلم ، ولذلك عنى الإسلام بها أجل عناية — وشرع الأسباب الموصلة إليها ونهى عن كل سبب يعكر صفوها ويشتت شملها [1]. حيث قال تعالي ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران/ ١٠٣) ، وقال أيضاً ﴿ولا تكنوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جائهم البينات ﴾(آل عمران/١٠٥) وقال رسول الله ﷺ ﴿ عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة فإن الشيطان مع الواحد وهو من الإثنين ببعيد ﴾[2].

كما يرى بعض أن افتعال عداوة الإسلام من قبل الغرب له وظيفة في الغرب ألا وهي صنع الوحدة الغربية عن طريق توجيه الطاقات نحو مشروع سرعان ما اتخذ طابع الحملة الإستعمارية وأشار المفكر "هنش" إلى استمرار هذا التصور إلى الآن مشيراً إلى عام ١٩٩١ ، حيث أخرجت قوات التحالف الدولي جيش العراق من الكويت التي غزاها في ٢أغسطس١٩٩٠ ، شهد "سحق القوى الغربية للعراق بمأساوية" وعلق قائلاً :"إن الإجماع الذي رافق تدمير العراق يستحق التأمل لا بوصفة مجرد انعكاس لعنصرية لم يعد ثمة داع للبرهان عليها بل بوصفة محصلة لشكل فكري يملك فيما يتعدى كل تآمر ومظهراً يمكن احترامهما والإنتساب التام إليهما بكل نية طيبة [3]. وهذا التدمير للعراق من قبل الحضارة الغربية وتدمير غيره من دول العالم الثالث دليل دامغ على أننا نعيش المرحلة الأخيرة من حضارة عالمية منهارة كانت لها رموزها التي سقطت تحت وطأة ممارسات القرن العشرين [4].

إن التدخل الغربي السافر في الشؤون السلامية هو أكبر دليل على مدى الحقد والكره الدفين للمسلمين من الغرب ، فعندما نجد الغرب يحتفل عام ١٩٩٢ بذكرى مرور ٥٠٠ عام على اقتلاع الإسلام من أوربا في الأندلس وسقوط غرناطة في يناير ١٤٩٢م ، وتقام دورة أولمبية في نفس البلد تكريماً وتهنئة لها ، وتعرض المسرحيات والأناشيد التي تمجد تلك الذكرى ، ثم

---

(١)– د. عبد الله ابن إبراهيم بن على العريفي ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد الثاني والثلاثون ، السنة الثانية عشر ، ربيع أول ، ١٤١٨ ، صـ١٣٠ .

(٢)– سنن الترمذي : كتاب الفتن "٧" وقال حديث حسن صحيح غريب .

(3)- http://www.al-watan.com/data/20051012/index.asb?content=culture.

(٤)– السيد ياسين : حوار الحضارات "الغرب الكوني والشرق المتفرد"، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٢ ، صـ ٨٧ .

يشن الغرب حرب إبادة على مسلمي البوسنة المطالبين بدولة إسلامية ، وفي نفس الوقت يعطى للصرب والكروات حق تقرير المصير كي لا تقوم دويلة إسلامية في أوربا ، وفي المقابل ينهض الغرب عن بكرة أبيه لتمكين أقل من مليون كاثوليكي في تيمور الشرقية من الإنفصال عن الدولة المسلمة "إندونيسيا" بدعوى حق تقرير المصير ، ويحاولون الآن نفس الشيء مع النصارى في جنوب السودان(١) ، والأمثلة كثيرة ...، كل ذلك دليل على الرغبة الشديدة في تفتيت البلاد الإسلامية وتشتيت شملها ، كي تفقد قوتها بعد وحدتها ليتم القضاء عليها ... فماذا نحن فاعلون ؟ !!! .

٤- رعب الغرب من الخلافة الإسلامية :

كان هناك رعب لدى الغرب من الأتراك لكونهم ممثلي الإسلام في نظرهم وهم عاصمة الخلافة الإسلامية لدرجة أن "دانييل" وصف هذا الرعب بقوله :"إن الخوف من الأتراك كان جزء كبير من "الصورة المركبة Compounded Image" لدى الغرب عن الإسلام (٢). وفي بداية القرن التاسع عشر بدأ الغرب في السيطرة Predominate والإهتمام بالتحرر من الخوف من الأتراك Fear of Turks....وكان هدفهم هو السيطرة العامة للإمبراطورية النصرانية على كل القارات (٣). وبعد النعرات التفريقية التي ظهرت في الأمة الإسلامية وغيرها من العوامل رأى "دانييل" أنه "لكون الإمبراطورية العثمانية Ottoman Empire مكونة من أفراد يائسين والعرب والمسلمون في اليونان وغيرها كانوا شعوباً وحكاماً ميالين إلى Peoples Disparate التفكير بطريقتهم الخاصة ، وإلى استقلالهم Independence ،....لهذا وغيره تحطم الرعب الأوربي European Awe من الأتراك" (٤).

ولذا عندما هُزم العثمانيون في الحرب العالمية واحتلت بريطانيا اسطنبول وسيطر الغرب على جميع أراضي الخلافة استرضت إنجلترا في مؤتمر الصلح "لوزان" على ضيعتهم خائن تركيا الأكبر "كمال أتاتورك" وأعلنت إنجلترا أنها لن تنسحب من أراضي تركيا إلا بعد تنفيذ الشروط الآتية :

---

(١)- د. محمد عمارة : في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م ، صـ ٨٩-٩٠ .

(2)- Normal Daniel : Islam Europe and Empire . Op- Cit. p . 65 .

(3)- Loc -Cit .

(4)- Ibid : p . 72 .

١- إلغاء الخلافة الإسلامية وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

٢- أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة .

٣- أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

٤- أن تختار لها دستوراً مدنياً بدلاً من دستورها المستمد من أحكام الإسلام (١).

فضلاً عن إلغاء المحاكم الشرعية ، والمدارس الدينية ، والأوقاف ، وأحكام الميراث ، وجعل الآذان باللغة التركية ، واستبدال الأحرف العربية باللاتينية ، وعطلة الجمعة بالأحد ، وتم تنفيذ ذلك بالفعل عام ١٩٢٤ على يد "أتاتورك" واعترفت إنجلترا والحلفاء باستقلال تركيا وباركوا جهود "أتاتورك" في إلغاء الخلافة ، وعلمنة الدولة ومحاربة الإسلام (٢). كل ذلك كان من جراء الحقد الدفين على الخلافة العثمانية وعلى وحدة المسلمين ، بالرغم من أن العثمانيين عندما دخلوا أوربا أستقبلوا كفاتحين ومحررين أكثر من كونهم غزاة غاصبين محتلين للأرض(٣). كل هذا كان بفعل المؤامرات من الحلفاء حيث أنهم وجدوا بالإضافة إلى أتاتورك "الشريف حسين" الذي ساهم بنصيب كبير في إعلان الثورات في البلاد العربية على الحكم العثماني نظير وعده بإقامة حكومات وإدارات وطنية في سوريا والعراق ، ولكنهم بيتوا نية الإنتداب (٤).

حيث لاحظ الغرب أن الأمة في أوقات إتحادها على منهج الله لا طاقة لهم بها ، وفي اختلافهم ضعفهم ، فمنذ عصور الخلافة الراشدة ، وحتى قبل "صلاح الدين" حينما سير وزير مصر في ذي الحجة ٤٩٨هـ جيشاً كبيراً متحداً من الأقطار الإسلامية ، هزم الفرنجة وأخذ الرملة بسهولة ، ثم اختلف الأحزاب وادعى كلٍ منهم النصر لنفسه وأن الفتح له آتاهم سرية إفرنجية فتقاعد كل فريق منهم بالآخر ، حتى كاد الفرنجة أن يظهروا عليهم(٥).

كما يخشى الغرب إذا اتحد المسلمون أن يقوموا بإعادة استخدام سلاح البترول مرة ثانية في تحديد العلاقات بين دول العالم الإسلامي والغرب كما حدث قبل ذلك في حرب العاشر من

(١)- د. توفيق يوسف الواعي ، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، السنة السابعة ، العدد السابع عشر ، ذو القعدة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م ، صـ ٢٧٩ ٤ هـ س . أرمسترونج : الذئب الأغبر مصطفى كمال ، دار الهلال ، مصر ، ١٩٥٢ ، صـ٢٠٠ .

(٢)- الموضع نفسه .

(٣)- بول كولز : العثمانيون في أوربا ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ ، صـ ١١٩ .

(٤)- العميد الركن د. ياسين سوير : مؤامرة الغرب على العرب ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ ، صـ٥٤ .

(٥)- إبن الأثير : الكامل في التاريخ ، دار صادر ، بيروت ، الجلد العاشر ، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ ، صـ ٣٩٤ .

رمضان أو إغلاق قناة السويس في وجه ملاحتهم [1] بالرغم من هشاشته. فمازال الغرب يخاف من قيام خلافة إسلامية مرة أخرى حتى اليوم لذا قال "فوكوياما" مخادعاً: "إنه من دواعي الدهشة أن تكون تركيا هي الديمقراطية اللبرالية الوحيدة في العالم الإسلامي المعاصر، حيث أنها الدولة الوحيدة التي طرحت التراث الإسلامي جانباً في صراحة تامة واختارت مع بدايات القرن العشرين إقامة مجتمع علماني [2].

إن طبول الحرب الصليبية منذ زمن بعيد وهي تقرع ، بل إن الجيوش الصليبية تتحرك وتتسق فيما بينها منذ زمن لخوض هذه الحرب ، وسيظل هذا الدين مستهدفاً من الغرب الصليبي بكل وسائل إعلامه طالما لم يتخلص بعد من رواسب الحروب الصليبية والتي هزم فيها شر هزيمة على يد البطل المسلم "صلاح الدين" [3]. وقد جاء الوقت المناسب كما قال "بوش" لتوجيه ضربة قاتلة للإرهاب . فالحملات الصليبية لم تتوقف ولن تتوقف إلا بيد إسلامية ضاربة ، توقف الطغيان وتعلي كلمة الله ، لأن الغرب لديه نزعة شرسة ، ويغذونها دينياً حيث قال مؤرخ الكنيسة "فلوري" " إن النصراني الذي يبيد أعداء دينه لا يخرج عن نطاق الإيمان لأنه بهذا يقدم القرابين لله"[4]. أما رجال الكنيسة فكانوا يرون أن شرط الإهتمام بالكنيسة الشرقية هو حرب الإسلام والذي هو عدو النصارى الشرقيين القديم ، ويجب أن تكون الحرب مسلحة وليست مناوشات عادية [5]. هذا لأن الغرب يسعى للحرب منذ القدم حتى على مستوى التنظير كما عند "هنتجتون وفوكوياما" وغيرهم الكثير وقبلهم "هيجل" الذي يعتبر الحرب بالنسبة للدولة كالمرض بالنسبة للجسم ، فالإنسان يتأكد من صحته إذا هاجمه مرض ولذا فالحرب عنده هي لإختبار قوة الدولة [6].

ومن المؤكد أن إعلان الحرب الصليبية على الإسلام والمسلمين لم يكن زلة لسان "لجورج بوش" الإبن فقد زل لسان بما في قلبه وقلب إدارته الأمريكية وهذا هو معتقد "البروتستانت"، وهو التجهيز لمعركة "هرمجدون" بحرب عالمية تفني ثلث البشرية كما يزعمون ، وكما يقول

---

(١)- د. زغلول النجار : الإسلام والغرب في كتابات الغربيين ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ٢٠٠٣ ، صـ ١٤٦- ١٤٧ بتصرف .

(٢)- فرانسيس فوكوياما : مرجع سابق ، صـ ١٩٣ .

(٣)- مجلة الهدي النبوي ، السنة ٦٢ ، عدد ٤ ، ربيع ثاني ١٤١٧هـ ، صـ ١٠ .

(٤)- عبد الفتاح عبد المقصود : صليبية إلى الأبد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ ، صـ ٤٤ .

(٥)- أ.ل.شاتيلييه : الغارة على العالم الإسلامي ، ترجمة محب الخطيب ، مساعد الياغي ، مكتبة اسامة ابن زيد ، بيروت ، بدون تاريخ ، صـ ٨٨ .

(6)- S.A.Viaeri: **Hegel's theory of the Modern State`** Cambridge University , Press , Cambridge , 1972 , p. 199.

د.برهان غليون ، فإن وزير الدفاع الأمريكي قدم إطروحة لوزارة الدفاع قبل تعيينه وزيـــراً ، رسم فيها سيناريو الحرب بين قوى الخير والشر ، والتي ستؤدي إلى معركة "هرمجدون" . كما قال القس الأمريكي "جيمس سوادرت" في مناظراته الشهيرة مع الشيخ "أحمد ديدات" حيث قال : كنت أتمنى أن استطيع القول بأننا سنحصل على السلام ، لكنى أؤمن بأن هرمجدون قادمـــة وسيخاض غمارها في وادي "مجيدو" فليوقعوا ما يريدون من اتفاقيات سلام فهناك أيامٌ ســوداء قادمة (١).

والحرب الصليبية المعاصرة بدأت بالفعل بالتأييد المطلق لإسرائيل والتحالف معها منذ عقود ثم بالحملة العسكرية على الخليج والعراق من أجل تأمين الوجود الصهيوني فـــي المنطقـــة (٢). ولقد أكد على ذلك "مناحم بيجن" حيث قال : إذا ســاندنا الأصــوليون النــصارى اليــوم فـــي الكونجرس الأمريكي ، فإنني سأساندهم بلا أدنى شك عندما ينزل المسيح في الغد القريب (٣).

لذلك فإن أمريكا لن تتسامح يوماً مع أي نظام إسلامي مستقل عن هيمنتها ، فالناس لا بد أن يكونوا تابعين لهم ، وكأنهم خلقوا عبيداً ، أما الغرب فهم الأسياد دائماً ، وهذه فكــرة يونانيـــة قديمة أكدها "هيجل" حيث قال إن اليونانيون والرومان كانوا يجهلون تماماً أن الإنسان بــصفته الإنسان خلق حراً (٤). وبالتالي فإن شعار الحملة الصليبية الذي أعلنه "بوش" يعكس بدقة الإتجاه المسيطر على العقل والمعتقد الأمريكي ، وإن احتلال أفغانستان والعراق بــلا شــك سيتوســع ليشمل أهدافاً أكثر وقد أعلنوا عن ٦٠ هدفاً منها ، كل ذلك لتركيع الأمة الإسلامية . فيجب علينا أن نعلن من اليوم بدأ الحرب المقدسة ضد الحرب الصليبية (٥). ولتكن بالكلمـــة والفكــر أولاً ، والسعي نحو تحرير الأقطار الإسلامية ، ونصرة المستضعفين من المسلمين في كل مكان ، ولن يتحقق ذلك إلا بالتوحد تحت راية واحدة .

فلا بد من مواجهة هذا الخطر الذي يحيط بالأمة وإعادتها لتطبيق شرع الله ومنهجــه ، لأن مستقبل هذه الأمة مرهون بعودتها للإسلام ووحدتها تحت راية واحدة مــرة أخـــرى لمواجهـــة الغرب الذي يسعى دائماً لتفتيتها حيث أنه كان منذ القدم وحتى اليوم يقوم بغزو البلاد الإسلامية

(١)- الشيخ . محمد حسان : برنامج أحداث النهاية ، قناة الناس الفضائية ، ١ رمضان ١٤٢٧ .

(2)- http://www.asharqalawsat.con/details.asb?section=17&article=137940&issue=8762.

(3)- **Edward Tivan : the Loby Jewish Political Power and American Foreign Policy**, New York . and , Schuster , 1987 , p . 181 .

(4)- Hegel, Fredrick : **Lecture on the History of Philosophy** : Trans , by E .Shaldane & Frances H Rutledge & Kegan Paul Ltd , Second Impression , Simsoon , vol.3 ., London , 1995 ,p . 63 .

(5)-http:www.al-watan.com/data/20051012/index.asb?content=culture.

عن طريق مباشر بالاحتلال العسكري ، وغر مباشر وذلك بزرع الفتن والخلافات سواء بين دولتين إسلاميتين أو بين قوى متصارعة في الوطن الواحد ، وأي نصر يحرزه أي طرف هو نصر للغرب ، وقد يناصر أحد الطرفين المتصارعين إذا كان ذي ميول معادية للإسلام ويخدم الأهداف الكبرى التي وضعت لكسر شوكة الإسلام (١). وقد يسعى لنشر أفكار متطرفة كالقومية والعلمانية وغيرها ، حتى يصبح الحق باطل والباطل حق ، لتوحي بأن العودة للتراث ثمرة من ثمرات الغزو الفكري وليس في صالح الشعب(٢) . ولقد زكى "دانييل" هذه الفكرة مخاطباً الشعب الهندي حيث قال:"إن لكل بلد قوانينها المختلفة Different Rules" وعاداتها المختلفة ، والتي بها قد تم حكمها ، وإذ لم يكن ذلك حاضراً في البلد فيجب أن تغرق في الدمار in to Ruin sink (٣). وبالرغم من أن الأرقام تشير إلى أن الغلبة معنا من حيث المساحة وعدد السكان سواء في مواجهة الولايات المتحدة أو الإتحاد الأوربي ولكن للأسف ليست في صالحنا في مجال الإقتصاد والتجارة (٤). لذا يجب علينا التوحد مرة ثانية كي يمكننا مواجهة عدونا والإنتصار عليه .

ونلاحظ هنا الإتفاق بين "جارودي ودانييل" من خلال كتاباتهم المتعددة علي رفض العداء الغربي الموجه للإسلام ، ونقدهم لصور هذا العداء المختلفة سواء في التدخل الغربي في الشؤون الإسلامية بالإستعمار المباشر أو غير المباشر أو بالتفرقة وتفتيت الدول الإسلامية ، أو رسم الصور الفكرية الكريهة عن الإسلام لدى الغربيين ، أو غيرها من الآليات المتعددة التي يستخدمها الغرب لتفتيت الآخر .

---

(١)- د. عبد العظيم إبراهيم المطعني : أوربا في مواجهة الإسلام "الوسائل والأهداف" مكتبة وهبة ، ط١ ، ١٩٩٣ ، صـ ٥٠ .

(٢)- برهان غليون : اغتيال العقل "محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية" ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، ١٩٩٠ ، صـ١٤٧ .

(3)- Normal Daniel : Islam Europe and Empire . Op- Cit. p . 116 .

(٤)- د. ناصر الأنصاري ، محمود ناصر الأنصاري: العروبة في مقابل العولمة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ ، صـ٧١ بتصرف.

الفصل الخامس
أسس الحوار الحضاري
بين الغرب والإسلام
في أعمال
جارودى ودانييل

تمهيد :

من المؤكد أن جميع الحضارات قد ساهمت بقدر كبير في إرساء قواعد الحضارة الغربية الحالية . بيد أن من الغرب من ينكر ذلك ، ومنهم من يؤيده ، ولكل فريق منهما أدلته وبراهينه. وإذا كنا بصدد الحديث عن الغرب والإسلام ، فهل من الممكن إقامة حوار بين الإثنين؟ أم هذا شبه محال ولا بد من الصدام ؟ وفي ضوء الإجابة على ذلك سيتم تناول هذا الموضوع لدى "جارودي" من خلال نقد للمركزية الأوربية في ضوء عرضه لإسهامات الحضارات الشرقية القديمة وحضارة الهنود الحمر والحضارة الإسلامية ، ثم نتائج إنكار الغرب لإسهامات الآخر ، ثم يعرض لأهم مبادئ الحوار الحضاري ، مؤكداً في النهاية أن الإسلام هو أمل البشرية للخلاص ، ولذا أعلن إسلامه . ثم موقف "دانييل" من خلال تأكيده وجود علاقات تعاون بين الغرب والإسلام متمثلاً في استفادة الغرب من الإسلام من خلال أسبانيا وصقلية ، ومؤكداً فضل الإسلام على الغرب ، والتبادلات الغربية الإسلامية ، ويعرض لعلاقات التبادل في الفترة الصليبية ، ثم يعلن في النهاية أن الحوار هو أمل البشرية للخلاص .

أولاً:- جارودي :

أكد "جارودى" أن الحرب لم تنجح أبداً في حل المنازعات بين الدول ، بل إنها على عكس ذلك تولد حروبا جديدة ، وبهذا لن تُحل الخلافات طالما أنها مبنية على معطيات خاطئة [1]. ومن المؤكد أن الإيمان غير المشروط بحرية الإنسان والمحبة غير المحدودة للسلام هي ما جعلت "جارودي" يلح في الأخذ بأسباب الحوار بين الحضارات باعتبارهما الوسيلة الأكثر سداداً في تحقيق مجتمع المثل العليا للإنسانية[2] . وأكد أن الحوار بين الحضارات ضروري الآن أكثر من أي وقت مضى لتشييد علاقات جديدة مع العالم ومع الناس الآخرين ومع مستقبلنا المشترك [3].

وبهذا يرى "جارودي" أن الحوار مع الآخر هو السبيل الوحيد لحل الخلافات العالقة بين الغرب والإسلام . ومن المعروف أن قضية الحوار مع الآخر تعد في الإسلام فريضة شرعية ، اقتضتها دعوة الإسلام التي اعتمدت في رسالتها إلى العالم على منطق الرفق واللين والمجادلة بالتي هي أحسن ، فقال تعالى في كتابه العزيز : ﴿إدعوا إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة

---

(١)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ٢٤١ .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ ٩ بتصرف .

(٣)- جارودي : من أجل حوار بين الحضارات ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار النفائس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ ، صـ ٣٥

الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتـدين﴾ (النحل/١٢٥) . فالكفار والمشركون وأهل الكتاب وغيرهم أولئك اعتمد القرآن في خطابه لهـم منهج الحوار ، لاسيما إزاء القضايا الأكثر حرجاً وتعقيداً ، وذلك صيانة لمؤسسات التوحيد من الشرك والإلحاد ، فرغم شرك المشركين لم يشاء الله لنا التعرض إليه بسب أو تجريح تلاقيا لما قد لا يعود بنفع على دعوة الله عز وجل في الأرض ، وذلك مصداقاً لقوله تعالى :﴿ولا تـسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾ (الأنعام/١٠٨) . ولما بلغت الإساءة مـن جانبهم إلى الله مبلغاً عظيماً أخذ القرآن الكريم يخطب ودهم متوسلاً بما ينبغي الإلتقـاء عليـه والإلتفاف حوله والعمل من أجله فقال :﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فـإن تولـوا فقولـوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾ (آل عمران/٦٤) .

ولعل الدعوة القرآنية إلى اعتبار سيدنا إبراهيم عليه السلام رمزاً مشتركاً لقـضية العقيـدة مـن دلالات الرغبة الإسلامية الصادقة في النأي بآليات الحوار الحضاري عـن أجـواء الإخـتلاف والتوتر والعصبية ﴿وقالوا كونوا هوداً أو نصارى تهتدوا قل بل ملة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين﴾ (البقرة/١٣٥) ، ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبـراهيم وإسـماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أتي موسى وعيسى وما أتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ (البقرة /١٣٦) . فالله تعالى حين خلق الأجناس ونوعها لم يـرد جـل شأنه ذلك كي تتناكر وتختلف ، ولكنه تعالى أراد لها ذلك كي تلتقي وتتآلف والخلق مـن ذكـر وأنثي إنما يعني أن الحياة إنما تنتج من الإلتقاء بين الأنواع المتضادة[1]. وذلك مصداقاً لقول الله تبارك وتعالى :﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائـل لتعـارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ (الحجرات/١٣) .

ولقد اقتضت عالمية الإسلام شق قنوات من الإتصال بالآخرين ، ومد يد التعاون والتفاعـل الإيجابي معهم ، وذلك وصولاً إلى تحقيق قدر معقول من التوازن في حركة الحيـاة ، وكـذلك صياغة توليفة تناغمية جديدة في تلك الأضداد المتنوعة بوسائل ربانية حانيـة :﴿ولا تـستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هـي أحـسن فـإذا الـذي بينـك وبينـه عـداوة كأنـه ولـيّ حميم﴾(فصلت/٣٤) ، ولقد رأى الإسلام في الإختلاف بين الأجناس والألوان وتبـاين الطبـائع

---
(١)- عطية فتحي الويشي : مرجع سابق ، صـ٢٦٧.

والأفهام وتعدد المواهب والقدرات وما نحوه من مقتضى الحكمة لله تبارك وتعالى ، لذا قال تعالى :﴿ولو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم فيما كنتم فيه تختلفون﴾(المائدة/٤٨) . ولهذا فلا بد من الحوار لأن الله تعالى هو الذي شرع ذلك ، ولكن الحوار لا بد أن يكون باعتراف الأطراف ببعضها البعض وإسهاماتهم في الحضارة العالمية ، حيث أن الإبداع ليس غربي المصدر كما يدعون ، والعقل البشري قادر عليه في كل زمان ومكان[١] .

١- نقد نظرية المركزية الأوروبية :

يرى الغرب أن هناك ثنائية المركز والأطراف بيننا وبينه ، وذلك على مستويات كثيرة ، منها الثقافة والحضارة ، فالغرب يعتقد بأنه المركز وما سواه هو الأطراف [٢]. لكن "جارودي" يرفض ذلك ، كما يرفض أيضاً مقولة المركزية الأوربية — وهي القول بأن العلم بدأ باليونان واستمر في الغرب حتى اليوم ، ولم يساهم غيرهم في الحضارة الحالية — بل ويعتبر هذا أسطورة خياليه [٣] ، حيث أن العقل الإنساني بدأ يستيقظ من ثباته العميق في السنوات الواقعة بين (٦٠٠٠-٤٠٠٠) ق.م ، أي قبل اليونان بكثير[٤] ، ولذا فهناك حضارات كثيرة سبقت اليونان واستفادت الحضارة اليونانية منها [٥] .

ومن تلك الحضارات على سبيل المثال ما ظهر في الشرق الأدنى ، حيث ظهرت أقدم حضارتين بين الحضارات التي قامت على مقربة من حوض البحر المتوسط . ففي مصر وبلاد ما بين النهرين ، ظهرت أولى الحضارات العظيمة التي تستأثر بانتباهنا نتيجة للمجهود البشري العظيم الذي بذلته وهي الحضارة الفرعونية والبابلية وغيرها [٦]. كما ظهرت أيضاً الحضارة السومارية والتي ظهرت وسادت في منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد ، وحتى بداية الألف الثانية قبل الميلاد ، وهناك فرضية تقول أن السوماريين هم أول من استخدم بالكتابة للتعبير عن

---

(١)- أمان محمد عبد المؤمن : فلسفة الحضارة عند العقاد ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،إشراف د.حسن حنفي حسين ، د. محمود سيد أحمد ، جامعة طنطا ، ١٤١٥- ١٩٩٥، صـ٢٦ .

(٢)- د. حسن حنفي : مقدمة في علم الإستغراب ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ،١٩٩٢، صـ٣٠.

(٣)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١١٨ بتصرف .

(٤)- جود : فصول في الفلسفه ومداهبها ، ترجمة محمود مهنا ، ماهر عطية ، مكتبة الاسرة ، امهات الكتب ، الهيئه العامه المصرية للكتاب ، ٢٠٠٣، صـ صـ ١٨-١٩ بتصرف .

(٥)- اندريه ايمار ، جانيت اربوايه : تاريخ الحضارات العام ، رقم (١) ، ترجمة فريد داغر ، فؤاد ابو ريحان ، منشورات عويدات ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م ، صـ ٣٥ .

(٦)- روجيه جارودي : الإسلام دين المستقبل ، ترجمة عبد الحميد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٦٨ ، صـ١٨٥ .

الفكر [١] . كما أن أعظم اكتشاف قدمه الهلال الخصيب للحضارة العالمية هو اختراع الحروف الأبجدية ، والتي قدمت للتجارة الفلسطينية الأداة الضرورية للإتصال ، وتفوقت بذلك على الرموز الهيلوغريفية والكتابة المسمارية [٢].

ويرى "جارودي" أن أسطورة حصر مصادر الحضارة الغربية بالثقافة اليونانية "الرومانية والنصرانية اليهودية" يغفل أن الأوربيين استعملوا بوصلة الصينيين ليبحروا في أعالي البحار والتوصل إلى ما يسمى الإكتشافات الجغرافية العظيمة . وبفضل بارود الصين وإتباع نموذج المسلمين في تطبيق المنهج العلمي وتطوير العلوم نجحت حملات الغرب الإستعمارية [٣]. لذا فإن القول بأننا أمام حضارات متعددة ، لا أمام حضارة واحدة ليس بينها ما يدعي الرئاسة المحتومة ، هو أمر مسلم به اليوم بين علماء الأجناس البشرية ، والمؤرخون وعلماء الإجتماع[٤]. كما أن الواقع الفعلي يثبت ذلك ، حيث استفاد الغرب من حضارات كثيرة نذكر منها على سبيل المثال حضارة الهنود الحمر التي أبادها المرتزقة الأوربيون ، والحضارة الإسلامية ، والتي لها الفضل الأكبر في النهضة الأوربية والتقدم الحالي للحضارة الغربية .

أ- حضارة الهنود الحمر :

لقد استفاد الغرب من جميع الحضارات السابقة عليه ومنها حضارة الهنود الحمر التي أبادها بوحشية حيث أن "الأنكا"[♥] وغيرها من حضارات الهنود ، كانوا قد بلغوا مستوىً حضارياً لم تبلغه أي أمة هندية في الأمريكتين ، وكانت مملكة "الأنكا" ديمقراطية في الحكم ، إشتراكية في التنظيم الإجتماعي ، وتعتمد على الزراعة ، ويحكمها الأنكا "نصف السماوي" تساعده الأسرة المالكة ، ثم الطيف الأرستقراطي ، ثم الإدارات الإمبراطورية ويليها صغار النبلاء ، ثم الحرفيون والمزارعون ، وكانت الإمبراطورية مقسمة إدارياً إلى أربعة أقاليم ، وقسمت الأقاليم إلى وحدات متدرجة في الصغر ، كان أصغرها الأيولي ، وهي تسبق العشرية ، أو العائلة [٥]. وكان خبراء الحكومة هم الذين يشرفون بدقة على اختيار الزراعات والمحاصيل ، ويعلمون

---

(١)- د. الكسندر ستيبشفيتش : تاريخ الكتاب ، القسم الأول، ترجمة د. محمد الأرناؤط ، عالم المعرفة ، الكويت ،١٩٩٣، صـ ١٢.

(٢)- روجيه جارودي : فلسطين أرض الرسالات السماوية ، مصدر سابق ، صـ ٤٨ .

(٣)- جارودي : الإسلام دين المستقبل ، مصدر سابق ، صـ ١٥٨

(٤)- أندريه إيمار ، جانيت أريوايه ، مرجع سابق ، صـ ١٨

(♥)- الأنكا : شعب كان يقطن بيرو قبل الإحتلال الأسباني لها .

(٥)- روجيه جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ٤١ .

المزارعين طرق بناء المصاطب الحجرية والمدرجات الجبلية ، والري وتصريف المياه والتسميد ، وكان القمح والبطاطا من أهم المحاصيل لديهم ، وكانت الحكومة تحتفظ بجزء من المحاصيل المجففة للتصرف بها عند الحاجة . وكانت حيوانات الحمل لديهم هي اللاما والالياكاس كما ربو الكلاب والبط (١).

وكانت صناعاتهم الرئيسية السيراميك والنسيج والأدوات المعدنية والأسلحة . ولم يكن لديهم خيل ولا عربات ولم يكن لهم لغة مكتوبة ، ولكن السلطات كانت قادرة أن تبقى على صلة واطلاع بكل ما يجري في أرجاء المملكة بفضل شبكة إتصالات سريعة عبر شبكة عظيمة من الطرق المرصوفة بالحجر ، تصل كل أجزاء المملكة ، وكان هناك عداءون ممتهنون يعملون بين محطات متتابعة ، حيث كان بالإمكان أن يقطع البريد ١٥٠ كيلو متراً يومياً . وقد صنعوا قواربهم من خشب متين ، فأمنوا بذلك نقلاً سريعاً . وقد أدى كل ذلك إلى سيطرة قوية من العاصمة باتجاه الأطراف ، وكانت الحكومة أحياناً تبدل أماكن سكن العشائر لأسباب سياسية أو اقتصادية . وكانت المعطيات الإجتماعية والإحصائيات الضرورية تحفظ على ألواح "الكيبو" وهي ألواح منسوجة من الأسلاك . وترك الأنكا معابد ضخمة ، وقصوراً وحصوناً ومرافق عامة . فقد بنوا الأبنية الحجرية الضخمة بأقل ما يمكن من الأدوات الهندسية ، وهناك إنجازات هندسية تلفت الأنظار منها بناء الجسور المعلقة القوية التي يتجاوز طول بعضها ٢٠٠متر ، وكذلك القنوات والترع لأغراض السقاية (٢)، كما كانت هناك أيضاً حضارة "المايا"(♥) . في المكسيك ، بيد أن الأسقف "دي فو" قام بجمع كل مخطوطات المايا وإحراقها ، وقضى تقريباً على جميع منابع تلك الحضارة (٣). وكانت العلوم عند المايا قد فاقت علوم أوربا في ذلك الوقت ، سواء في الفلك أو الرياضيات أو غيرها من العلوم(٤) .

ب- الحضارة الإسلامية :

عدد "جارودي" المظاهر التي أسهمت بها الحضارة الإسلامية في تطوير العلوم ، وكان هدفه من ذلك هو بيان ضرورة التغيير الجذري لموقف الغرب منها ، والرافض للإعتراف

---

(١)- الموضع نفسه .

(٢)- الموضع نفسه .

(♥)- المايا : شعب يقطن هندوراس البريطانية ، وجواتيمالا الشمالية.

(٣)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١٢٢ .

(٤)- جارودي: كيف صنعنا القرن العشرين ، مصدر سابق ، صـ ١٧٤ .

بفضلها عليه . ومن المعروف أن هذا الموقف الغربي من الحضارة الإسلامية ناجم عن "التعصب العرقي" الذي جعل من العصور الوسطى جملة اعتراضية فيما بين الثقافة اليونانية الرومانية ، وبين ثقافة عصر النهضة . كما يرى "جارودي" أنه إذا تخلى الغرب عن النظر إلى أوربا على أنها مركز العالم أو بؤرته ، وتم النظر إلى التطور الإنساني على أنه كل لا يتجزأ ، فلا بد لنا من الإقرار بأن تلك الحقبة الزمنية الممتدة فيما بين القرن السابع حتى الرابع عشر لم تكن "بقعة سوداء" بل كانت حقبة أزدهار وتفتح لإحدى كبريات الحضارة العالمية ، إنها الحضارة العربية الإسلامية [1].

كما يرى "جارودي" أن "أهم ما يميز الحضارة الإسلامية بصفة عامة هو عدم الفصل والتجزئة بين الأشياء ، فالعلم متصل بالدين والعمل مرتبط بالإيمان والفلسفة مستوحاة من النبوة والنبوة متصلة بالعقل . هذه الوحدانية في مفهوم الحضارة ومفهوم الجماعة يحتاج إليها عالم اليوم المجزأ في كل شيء ، وهذا هو ما جذبني نحو المفهوم الإسلامي للوجود . فما يجعل الإنسان إنساناً هو إمكانية تحقيقه للمقاصد الإلهية" [2]. كما يرى "جارودي" أن أهم خصائص العلوم العربية أنها متداخلة ومتصل بعضها ببعض بسبب مبدأ الوحدة ، فلا تفريق بين علم الطبيعة والمرئي من جهة واللاهوت أو الفنون من جهة أخرى ، وليس ثمة حواجز عازلة بين مختلف العلوم من الرياضيات إلى الجغرافيا وهذا ما يفسر ظهور عدد كبير من العباقرة الموسوعيين لدى المسلمين[3] . وقد استفاد المسلمون من علوم الحضارات السابقة عليهم وأضافوا إليه مثل الغرب ، فلقد عرف العرب على سبيل المثال مؤلفات "جالينيوس" الفيلسوف المنطقي والأخلاقي الذي كان عالماً بطرق البرهان المنطقي واستفادوا منه في هذا المجال كثيراً ، مما كان له أكبر الأثر في فهم ودراسة "أفلاطون" لدى المسلمين ، وجعله يزاحم المعلم الأول "أرسطو" في الدراسات العربية[4] .

ولقد مارست الثقافة الإسلامية تأثيرها على الغرب بواسطة ترجمة المؤلفات الإسلامية في طليطلة إلى اللاتينية على يد الأسقف "ريمون" (١١٢٦/١١٥١) بإيحاء من الملك "الفونسو

---

(١)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١٣٩ .

(٢)- المصدر نفسه ، صـ صـ ١٤٣- ١٤٤ بتصرف .

(٣)- روجيه جارودي : الإسلام في الغرب"قرطبة عاصمة العالم والفكر" ، ترجمة د.ذوقان قرقوط ، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة ، ط١ ، ١٩٩٥ ، صـ ٢١٩ .

(4)- Delecy O'Leary Ingluen : Arabic Philosophy , Journal of Indian History ,Vol . 2 , 1922 , 1923 , PP. 233 – 338 .

العاشر" ملك قشتالة [1]. وغيرها الكثير من حركات الترجمة للإستفادة من العلم والعلماء المسلمين . ومن أهم علماء المسلمين على سبيل المثال "ثابت ابن قرة" والذي نبغ في مجال الجبر والتكامل ، وربط الهندسة بالجبر [2] ، و"جابر ابن حيان" والذي يعتبر أول باحث عظيم في علم الكيمياء ، وقد بلغت كتبه القمة حين ظهورها وصارت أهم مصادر الدراسات العلمية في الشرق والغرب في الفكر في القرن الرابع عشر [3] . كما نبغ "ابن سينا" أيضاً في الطب والفلك والفلسفة ، فقد كان موسوعة ضمن الموسوعات الإسلامية ، وقد ذاعت شهرته في معظم أرجاء الدنيا ، ونظراً لشهرته العظيمة التي نالها تنازع على أصله وتسابق إلى الإحتفال بميلاده الأتراك والعرب والإيرانيون ، فقد أقام الأتراك على سبيل المثال مهرجاناً ضخماً عام ١٩٣٧ بمناسبة مرور ٩٠٠ عام على ميلاده حسب التقويم "الجريجوري" ، وكذلك فعل العرب ثم الإيرانيون الذين أقاموا مهرجانان ، الأول في بغداد عام ١٩٥٢ ، والثاني في طهران عام ١٩٥٤ ، وذلك أيضاً بمناسبة ذكرى ميلاده [4].

كما أكد "جارودي" أسبقية استخدام المسلمين للمنهج العلمي على اليونان حيث استخدموا التجربة والملاحظة ووضعت الجداول المأمونية بعد تعديل جداول "بطليموس" تعديلاً جذرياً [5]. كما كان لهم إسهامات عظيمة في مجال الفلك وغيره من المجالات ، وهناك أيضاً "الحسن ابن الهيثم" والذي نبغ في الطب وغيره من العلوم وبخاصة البصريات ، وهو الذي أخذ عنه الغرب الأسماء التي وضعها لأقسام العين ورسمها ، ومن الأسماء التي وضعها : الشبكية والقرنية والسائل المائي والسائل الزجاجي [6]. وهناك غير هؤلاء الكثير والكثير ....، كما أن النبي ﷺ قبل ظهور هؤلاء العلماء الأفذاذ قد افتتح برسالته عصراً للعلم والنور والمعرفة ، جديرٌ أن تدون أقواله وأفعاله بطريقه علمية خاصة [7]. كما بلغ الإقتصاد الإسلامي مكانة عالية ، فكانت

---

(١)- جارودي : الإسلام دين المستقبل ، مصدر سابق ، صـ ١٠٦ .

(٢)- مجلة الإسلام وطن : عدد ٢٢٨ ، السنة ١٩ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م ، صـ ١٧ .

(٣)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١٢٣ .

(٤)- د. أحمد عبد الحليم عطية : مرجع سابق ، صـ ١٢٨ .

(٥)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ١٢٧ بتصرف .

(٦)- د. أحمد محمود صبحي ، د. محمد أحمد عبد القادر : دور العرب في مجال العلوم ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ ، صـ ١٣٥ .

(٧)- د . حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي : محمد ﷺ أعظم البشر ، ج٤ ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م ، صـ ١٥٨ .

تتحقق به المزايا ويبتعد به عن المساوئ ، فكان بهذا أفضل من النظام الرأسمالي والإشتراكي الغربي [١].

وقد كان الخليفة المأمون بفضل شغفه الشديد بالفنون والعلوم أعظم الخلفاء رعاية للشعر وعلوم الدين والفلسفة والتنجيم والفلك ، وكان يشجع ويستخدم رجال العلم والمعرفة دون النظر إلى الجنس أو الدين من نصارى ويهود ويونانيين ومجوس [٢]. كما أثرت الحضارة الإسلامية أوربا بوضوح في علوم الأدب والطبيعة والقصة وأشعار العصور الوسطى [٣]. وفي القاهرة رتب مئات العمال والفنيين في مكتبتي الخليفة الفاطمي مليونين ومئتين من المجلدات وهو ما يعادل عشرين ضعفاً ما حوته مكتبة الإسكندرية الوحيدة في عصرها [٤]. وقد أشيع أن المسلمين أحرقوا مكتبة الإسكندرية ، ولكن هذا محض اختلاق إذ أن للكتب عند المسلمين إحتراماً كبيراً يمنعهم أن يسلكوا هذا المسلك البربري ، ويحتمل أن يكون الإمبراطور"ثيودوسيوس" إمبراطور القسطنطينية هو المسئول عن هذا الخراب أو جزء منه ، لأنه لم يكن راضياً عن الكتب الوثنية الإغريقية القديمة ، وقد أحرق جزءاً منها قبل ذلك عند حصار "يوليوس قيصر" للإسكندرية[٥]. وقد كان كل مؤذن بمثابة عالم فلك صغير وعلى دراية كاملة بكيفية إدارة آلته كي يحدد مواعيد الأذان خمس مرات يومياً[٦] .

ولقد ظلت الجامعات في الأندلس وصقلية ، مراكز التقاء بين العلماء العرب والعلماء الأوربيين ، وظلت الكتب العلمية ، وبخاصة كتب الطب العربي تدرس في الجامعات الأوربية حتى القرن الثامن عشر [٧]. فكانت بذلك لغة العلم هي لغة واحدة في شتى منتجات العلم وهي اللغة العربية ، سواء تمت القراءة في سمرقند أو غرناطة أو بغداد أو القاهرة أو دمشق أو

---

(١)- د. محمد شوقي الفنجري : المذهب الإقتصادي في الإسلام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧ ، صـ ٩٩ .

(٢)- أنتوني ناتنج : العرب تاريخ وحضارة ، ترجمة محمود مسود ، دار الهلال ، ١٩٨٠ ، ج١ ، صـ١١١ .

(٣)- انا ماري شيمل : الإسلام بين الإنسانية ، ترجمه د. صلاح عبد العزيز محجوب ، د. محمود فهمي حجازي ، تقديم د. محمود حمدي زقزوق ، مطابع وزارة الأوقاف ، ط٣ ، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م ، صـ٢٢ .

(٤)- زيغريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في اوربا" ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، دار الآفاق الجديدة ، ط٩ ، ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقي، ١٩٩١ ، صـ ٣٥٣ .

(٥)- جواهر لال نهرو : لمحات من تاريخ العالم ، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م ، صـ صـ٢٨-٢٩ .

(٦)- المرجع نفسه ، صـ ١٣١ .

(٧)- د. محيي الدين صابر : الحوار العربي الأوربي "العلاقات بين الحضارتين العربية والأوربية - وقائع ندوة هامبورج- ١٦/٤/١٩٨٣" ، الدار التونسية للنشر ، صـ ٤٩ .

باليرمو [١]. كما أن أسبانيا استطاعت أن تبني أسطولها البحري العملاق والذي وصلت به إلى أمريكا بفضل العلم وما اكتسبته من الحضارة الإسلامية [٢].

وبصفة عامة فالعلوم الإسلامية كما يراها "جارودي" ليست علوماً متحفية عفى عليها الزمن ، قياساً بالعلوم العصرية ، وإنما لديها من حكمة وروح ما يجعلها تصلح للمستقبل كما صلحت للماضي [٣]. حيث أن العلم لدى المسلمين يتميز بصفة غير موجودة في العلم الأوربي ، ألا وهي أن العلم الإسلامي كان للمجتمع ككل ، والثقافة تشمل في معناها العمل على إيجاد حياة واحدة تجمع بين راعي الغنم والعالم ، ثقافة تعالج مشكلات القادة كما تعالج مشكلات الجماهير [٤]. بينما نجد العلم في أوربا ينظر له على أنه أساس لتعلم قوانين الطبيعة لنتمكن من سيادتها حتى لا نكون عبيداً لها بجهلنا ، فالعلم وحده في نظر معظم الغربيين هو الطريق الوحيد للحياة السعيدة الفاضلة [٥]. لذا فالحضارة الإسلامية مؤهلة مرة ثانية للنهوض من جديد وكأنها تبدأ دورة إبداعية ثانية [٦].

ولهذا لا يمكن التنكر لفضل المسلمين في المجال الحضاري ، إذ أن الغرب لا يدين للمسلمين بما قدموه من كشوف علمية فقط ، ولكن يدين الغرب للإسلام بوجوده نفسه [٧]. وبهذا فالغرب يكون لديه رؤية عصبية عندما يؤكد أنه وحده القادر على الإبداع وغيره من الأمم ليس أهلاً لذلك [٨]. فحضارة الغرب ليست هي الحضارة الأولى أو الأخيرة في تاريخ الإنسانية فالتقدم مستمر والحضارات تتوالى وإنجازات العقل البشري في تواصل وتدفق [٩]. كما وأن الأمم التي تقدمت ونهضت تعرضت لمزايا هذه المزايا تعود في أصولها لعوامل طبيعية وأسباب

---

(١)- د. حازم الببلاوي : نحن والغرب "عصر المواجهة أم التلاقي؟" دار الشروق ، ١٩٩٩ ، صـ ٢٥ .

(٢)- جارودي : من أجل حوار بين الحضارات ، مصدر سابق ، صـ ١٦٥ .

(٣)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، صـ ١٢٧ .

(٤)- سيريل جود : مصدر سابق ، صـ ٢٣١ .

(٥)- ول ديورانت : قصة الفلسفة ، ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٥ ، صـ ١٥٢ .

(٦)- د. حسن حنفي : مقدمة في علم الإستغراب ، مرجع سابق ، صـ ٤٩٦ بتصرف .

(٧)- د. محمد قطب : جاهلية القرن العشرين ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٠ ، صـ ٢٢١ .

(٨)- ارنولد توينبي : العالم والغرب ، ترجمة نجدي هاجر ، سعيد القد ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٠ ، صـ ٧٩ .

(٩)- العقاد : يوميات ، دار المعارف ، ج٣ ط٢ ، ١٩٨٤ ، صـ ٤٧١ .

تاريخية تسري على كل الأمم والأقوام ، إذا تعرضوا لها ، ولا ينفرد بها الساميون أو غيرهم [(١)].

وقد تتفاوت الشعوب في نصيبها من الحضارة أي ما اكتسبته من علم وخبره وقدره على تسخير الطبيعة من أجل خدمتها ، غير أنها كلها ذوات حضارة ولها نصيب منها [(٢)]. فالحضارة التي تشعر أنها مركزية لا تستطيع التفوق وتصبح كاللاعب المعزول ، لا تنجح إلا في إحراز سلاسل صغيرة من الإنجازات ، أما أكثر من ذلك فلا تستطيع القيام به بمفردها [(٣)].

<u>٢- إنكار الغرب لإسهامات الآخر ونتائج ذلك :</u>

هناك من الغربيين من ينكر فضل الآخر ويؤكد على مركزية الغرب بالفعل ، مثل "بيتر جران" والذي قال :"إن أوربا كانت ولا تزال مركزاً لتاريخ العالم أجمع ، وقد أصبحت المركزية الأوربية بهذا هي المعيار البحثي المسيطر في مجال دراسات تاريخ العالم [(٤)] . وكذلك المستشرق "بول فييل" وهو أحد المتخصصين في شئون العالم الثالث ، والذي زكى ذلك الإنكار لفضل الآخر وإسهاماته بالصدام ، حيث قال :"إن الصراع بين مركز العالم وأطرافه ليس صراعاً إقتصادياً بل صراعاً شاملاً حيث ترك الغرب بصفتهم المركز بصماتهم على الأطراف ، وما يفعله ويقوله المثقف الغربي له انعكاساته على العالم الثالث ومثقفيه" [(٥)]. ويوجد غيرهما الكثير والكثير ممن أنكر الروافد المتعددة للحضارة الغربية وآمن بالمركزية الأوربية فقط .

لكن "جارودي" يرى أن ذلك الإنكار للآخر ولإسهاماته الحضارية لن يؤدي إلى نتائج طيبة في النهاية ، والحضارة الغربية في نظره تتمثل في الحضارة الأمريكية ، وهي الآن في المرحلة الأخيرة من مراحل الدورة الحضارية ، ولذا فهي محكوم عليها بالسقوط [(٦)] ، كما وأنها فاقدة للقاسم المشترك بين كل الحضارات ، وهو امتلاك الإجابات الفاصلة على أسئلة غايات الإنسان

---

(١)- العقاد : أثر العرب في الحضارة الأوربية "الأعمال الكاملة" ، المجلد العاشر ، "حضارة الإسلام" ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، ١٩٧٨ ، صـ ١٢٥ .

(٢)- د. فؤاد زكريا : الإنسان والحضارة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صـ ١٠ .

(٣)- د. محمد مجدي الجزيري ، البنيوية والتنوع البشري وكلود ليفي شتراوس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٢ ، صـ ٨٦ .

(٤)- بيتر جران : ما بعد المركزية الأوربية ، ترجمة عاطف احمد إبراهيم فتحي ، محمود ماجد ، إشراف ومراجعة رؤوف عباس ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ ، صـ٢٠.

(٥)- احمد الشيخ : حوار الاستشراق "من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب" ط١ ، ١٩٩٩ ، صـ١٥١ .

(٦)- جارودي : كيف صنعنا القرن العشرين ، مصدر سابق ، صـ١٣٠ .

بإنكارها للآخر [1]. فهي على حد وصف " أندرى مارلو" الحضارة الوحيدة في التاريخ التي لم تجب عن سؤال : ما معنى حياتنا ؟ ولهذا استحقت وصف : "حضارة اللامعنى" و"ديانة الوسائل" ، لأنها فصلت بين العلم والحكمة ، وأسست ثقافة الوجود لا فلسفة الفعل ، وإذا استسلمنا لذلك فسوف نتحرك جميعاً تجاه عالم الفساد [2]. لذا فالشرط الوحيد لإنقاذ البشرية من الإنقراض في رأي "جارودي" هو اعتراف الغرب بكونه مديناً للحضارات الأخرى [3].

ونتيجة لعدم الإعتراف بالآخر وإسهاماته أدى ذلك للإحساس الغرب بالإستعلاء على الآخر، الأمر الذي أدى للحقد والكراهية بين الشعوب وانتظار الفرصة للنيل والثأر من الغرب ، مما سيؤدي في النهاية لتأجج الصراع بين الغرب والآخر وخصوصاً المسلمين . كل ذلك بفعل غطرسة الغرب وسوء التعامل مع الآخر . لذا يطالب "جارودي" بإنقاذ القرن الحادي والعشرين وإعطائه وجهاً إنسانياً . حيث أن البشرية لا تزال بعد يافعة لم تتجاوز المراهقة ، وليست متاعبها متاعب الشيخوخة والإنهاك ، بل متاعب القوة المتزايدة والتي لم تتلقى تنظيماً بعد [4]. والدليل على ذلك أن أكثر وقائع القرن العشرين إثارةً كان صنع القنابل الذرية والنووية ، والحروب النووية ، ففي "هيروشيما" عام ١٩٤٤ ، لم يكن الأمر إلا وسيلة للتخريب أشد عنفاً من الأخريات ، لكن بعد عشر سنوات حدث تبديل كيفي ، إذ أن مستودعات القنابل الموجودة حالياً والموزعة بصورة منهجية جعلت من المستطاع تقنياً تدمير كل أثر للحياة على وجه الأرض ، وبهذا يمكن تدمير الملحمة الإنسانية التي بدأت منذ مليون عام[5] ، كما تسعى بعض الدول الآن للإستغناء عن طاقة البترول والتحول نحو الطاقة النووية ، ومن المعلوم أن مخلفات هذا المفاعل إما أن تدفن في الأرض ونراقب لآلاف الأعوام تأثير ذلك على الزرع والبشر ، أو تقذف في المحيطات ، فتتحول بعد ذلك إلى صحاري ، أو تقذف في الفضاء بالصواريخ ، فكم تكون تكلفة هذا الكم الهائل من الصواريخ ؟ [6]

---

(١)- د. فؤاد زكريا : الإنسان والحضارة ، مرجع سابق ، صـ١٠ .

(٢)- جارودي : حفاروا القبور ، مصدر سابق ، صـ ٦٩ .

(٣)- أمينه الصاوي ، د. عبد العزيز شرف : رجاء جارودي وحضارة الإسلام ، مكتبة مصر ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤، المقدمة صـ(ز).

(٤)- هـ .ج . ويلز : موجز تاريخ العالم ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة محمد مامون نجا ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ ، صـ ٣٩٦ .

(٥)- روجيه جارودي : ماركسية القرن العشرين ، ترجمة نزيه الحكيم ، دار الآداب ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٣ ، صـ ٤٤ .

(٦)- روجيه جارودي : مشروع الأمل ، بدون مترجم ، دار الآداب بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ ، صـ٦ .

٣- مبادئ الحوار الحضاري :

إن مستقبل قضية الحوار الحضاري مرهون بمدى استعداد كل حضارة لفهم الآخر ، بل لهضم البعد الإنساني واستيعاب قيم الخير والإيجابية في أدبيات كل حضارة بتجرد وموضوعية ، وذلك يستتبع تخطيطاً للعلاقات الحضارية بحيث يعكس تلك القيم بصورة عملية وصادقة (١). فإذا كانت النزاهة والحوار وقبول الآخر من أهم ما تزعم المؤسسة الغربية بكافة توجهاتها اعتماده والإرتكاز عليه في أدبيات عصرها الحديث ، فإن هذه المزاعم لم يكن لها في آلية الحوار الحضاري مع الآخر أي ظل من حقائق أو براهين عملية صادقة (٢).

والحوار الحضاري في رأي "جارودي" هو ضرورة ملحة لا مهرب منها وهو قضية حياة أو موت ، فلقد وصلنا إلى حافة الهاوية أو ربما تجاوزناها (٣). وأهم أسس الحوار الحضاري هي أولاً : الإعتراف بذلك الآخر وبإنجازاته . ثانياً : عدم تجاهل الآخر ، و عدم تجاهل حضارته والإدعاء بالمركزية الحضارية لأوربا ، والتي تحصر الحضارة منذ اليونان وحتى اليوم لدى الغرب فقط ، فلم يعد عصر النهضة معجزة حتى الآن ، كما لم تبقى ثمة معجزة يونانية في هذا العصر كما كانوا يصورون لنا ، ذلك لأن علاقة الإنسان بالطبيعة في عصر النهضة كانت علاقة فاتح براضخ (٤).

والهدف الرئيس لحوار الحضارات هو المساهمة في تحقيق الوعي ، ليس بين عدد قليل من المتخصصين والمشتغلين بالفلسفة ، وإنما بين الجماهير الشعبية الواسعة ، بالمشكلات العامة الراهنة والتي نتج أهمها من السيطرة الغربية المطلقة ومنذ زمن طويل ، والوعي أن حلها لا يمكن إلا بالحوار مع الحضارات غير الغربية ، من أجل إنجاز وإحياء علاقات جديدة بين الإنسان والطبيعة وبين الإنسان والإنسان وبين الإنسان والإله . هكذا فقط نستطيع أن نبدأ استشراف ثقافة كونية ، مؤسسين وحدة إنسانية ، حقيقية ليس بالخلاط الكهربي ولكن وفق مفهوم التخلي عن فكرة الهيمنة الثقافية من أجل التناغم الثقافي الشامل (٥).

ويجب إدراك أن العلم والتقنية هي لخدمة غايات إنسانية وهكذا نستطيع أن نتواصل وبشكل إنساني ، فالملحمة الإنسانية بدأت قبل ثلاثة ملايين عام ، وقد كتب رجل فضاء وطأت قدماه

(١)- عطية الويشي : مرجع سابق ، صـ ٢٨٤ .

(٢)- المرجع نفسه ، صـ ٢٨٥ .

(٣)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، مصدر سابق ، صـ ٣٩ .

(٤)- روجيه جارودي : حوار الحضارات ، ترجمة عادل العوا ، دار عويدات للطباعة والنشر ، ط٤ ، ١٩٩٩ ، صـ٣٦ .

(٥)- جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، مصدر سابق ، صـ ١١٨ .

أرض القمر ،عند عودته إلى الأرض :"بدت الأرض من هنا جميلة ومضيئة بدت موحدة وهادئة" ، فللمرة الأولى لمحت عين بشرية الأرض في كليتها ، دون حدود تقسمها ، سابحة في فضاء لا نهاية لآفاقه . أننجح في التشبث بها في الوقت المناسب ؟ في وحدتها التاريخية منذ فجر الحضارات الأولى ، منذ عمليات التوهج الأولى في الفكر والحب ، إلى أملنا الحاضر ومشروعنا للوحدة الإنسانية(١) ؟

ويمكن لنا منذ الآن كي نغير جذرياً العلاقات الإجتماعية : أن نخلق نمواً جديداً ، غير النمو الذي يسحق البشر وحرياتهم ، نمواً لا يقود بعد الآن إلى مزاعم (توازن الرعب) والتهديد الرئيسي لأمن الشعوب وسلامها . والمطلوب نمو نوعي لا كمي يشبه حلم الأم بنمو طفلها ، أو حلم كل منا فيما يتعلق بالذين نحبهم . المطلوب نمو بالمعنى الذي قصد إليه القديس "جريجوري دونيس" عندما قال :"الله هو الإكتشاف الأبدي للنماء الأبدي" . لذا يجب علينا فعل الآتي :

١- أن نفتح أبواب أوربا للعالم ، وللعالم الثالث بشكل خاص مع الإصغاء للحضارات الأخرى ، لأن المشكلات التي نتجت عن النمط الغربي للتنمية أصبحت مشكلات العالم كله ، ولن تحل إلا بالإهتمام بثقافة وحكمة شعوب العالم الثالث . إنه أحد الشروط الجوهرية لقيام سلام حقيقي لا يشوبه ظلم أو سيطرة (٢).

٢- أن نجري تبديلاً جوهرياً في علوم التربية والتعليم ، وتسخيرها لتكييف الإنسان لا لحاجات النظام القائم ، بل لبناء المستقبل ، ويجب من أجل ذلك تعليم الطفل أن العالم ليس حقيقية مكتملة وقبلية ومتصلبة ، ولكن يجب علينا نحن صياغته.

٣- نعتقد أن الواجب الأول للمثقفين هو إزاحة القناع عن اللغة الكاذبة للكراسات المدرسية ووسائل الإعلام التي تخدم الغرب ، كي يحقق سيادته بواسطة أيديولوجيات خداعة تحت اسم "الحداثة" فقد كان تحرك المستعمرون بهدف التبشير بالنصرانية ، لفرض مفهومها الخاص عن الدين على العالم ، وقد حمل العسكريون والتجار مسئولية ما تبقى وهو المجازر والإستغلال . وبعد ذلك عندما تراجعت مقولة التبشير زعموا أنهم يحملون "الحداثة" إلى العالم(٣) .

(١)- المصدر نفسه ، صـ ١٢٠ .

(٢)- نفس الموضع .

(٣)- المصدر السابق ، صـ ١٢٣ .

لهذا نقول أن الأمر لا يتطلب إصلاح النظام وإنما قلبه وبشكل جذري ولن يتحقق ذلك بمائة عملية إصلاحية ، سواء جاءت هبة من الحكومة أو قرار من الهيئات الإنتخابية أو التشريعية . والطريق الصحيح هو تبديل العقليات التي تعمل على استمرار النظام القائم الذي لا يملك غايات إلا زيادة إجمالي الناتج القومي والقوة وغزو الأسواق (١).

وهذا الأمر يتطلب أن نهيئ الإنسان كي يكون إنساناً نعني بهذا أن يكون خلاقاً ، من خلال التغيير الجذري الشامل لمحتوى وبنى التربية . مبتدئين بالمساعدة في معالجة تراجع تعليم ثقافات الآخرين لأبنائنا ، بالنسبة لثقافتنا الغربية ولا نعني أن يكون ذلك فقط في "الكوليج دو فرانس" أو "الدراسات العليا" أو اللغات الشرقية ، إنما لدى الجماهير بتعليمها ثقافات الآخرين ، وليس في المدرسة فقط بإضافة ملحق للبرنامج المدرسي ، وإلا فلن يكون لدينا معلمون قادرون على تنفيذ هذه المبادرة ، طالما أننا لا نكونهم إلا في المدرسة الأوربية (٢). وأثناء ذلك وخارج المدرسة لن تعوز الفرص للالتقاء بأولئك الذين يحملون تلك الثقافات : فليس الصينيون غائبين عن أمريكا وأوربا ولا الهنود عن إنجلترا ، ولا العرب عن فرنسا ، ولا الترك عن ألمانيا (٣).

ربما كان هذا هو المستوى الذي يجب أن تبدأ منه الأشياء ومن أهمها : التوجه المختلف نحو المهاجرين الذين يحملون معهم واعين أو غير واعين قيم مجتمعاتهم وإيمانهم الخاص ، وهكذا يصبح ممكناً في صفوف الجماهير أن يبدأ التنبيه لوجود الأخر والغنى الإنساني الذي يحمله بداخله والوعي بأننا نستطيع أن نتعلم منه شيئاً لا أن نبحث من أعلى مركزيتنا الأوربية عن طريق لإستيعابه (٤) . وبالرغم من ذلك يرى بعض المفكرين الغربيين أنه لا يوجد تعارض بين التسامح وصدام الحضارات ، ويرجع "كارل بوبر" على سبيل المثال ذلك إلى كون الحضارة الغربية مشتقة من الحضارة الإغريقية ، تلك الحضارة الفذة التي نشأت من صدام ثقافات الشرق المتوسط والذي كان بدوه أول صدام بين الحضارات ،.... كما أن الصدام قد يقود إلى تطور ثقافة متفردة مثل الثقافة اليونانية ، كما يرى أن الحضارة الغربية بكل سلبياتها هي الحضارة الأفضل لأنها هي الأكثر قابلية للتحسن (٥).

---

(١)– المصدر نفسه ، صـ ١٥٠ .

(٢)– المصدر نفسه ، صـ ١٥١ .

(٣)– المصدر نفسه ، صـ ١٥٢.

(٤)– نفس الموضع .

(٥)– كارل بوبر : بحثا عن عالم أفضل ، ترجمة د. احمد مستجير ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ٢٠٠١ ، صـ ١٥٠ .

٤- الإسلام هو أمل البشرية :

يرى "جارودي" أن الإسلام هو الأمل الوحيد لإنقاذ البشرية[١] ، فحل هذه الأزمة من أجل حوار حضاري يكمن في تعاليم الإسلام ومنهجه ، فلقد جربت البشرية الآن كل النظم ، من الرأسمالية والإشتراكية والملكية واللاملكية والمتاع الحسي بلا غاية في المأكل والمشرب والجنس ، والإيمان بالإنسان كإله ، وبغير إله ، ولم تصل إلى أي كسب له قيمة سوى القيمة المادية [٢]. حيث وصلت تلك الحضارة لدرجة متقدمة من العلم ودرجة متدنية من الأخلاق ، لم تصل إليها أحط المجتمعات وأكثرها وحشية ، حيث تقدس جميع الملل والرسالات والقوانين في العالم حياة الإنسان ، وهم يقتلونه بدافع الرحمة أو ما يطلقون عليه "القتل الرحيم" [٣] . فالعلم لا يستطيع وحده أن يزيل عن طرق الإنسان كل ما يهدده من قلق ومباغتات وخوف من المستقبل المجهول ، ومن الشيخوخة والموت [٤].

ولقد أظهر الإسلام شموليه كبرى في استيعابه لسائر الشعوب المختلفة ، فقد كان أكثر الرسالات شمولية في استقباله للناس الذين يؤمنون بالتوحيد وكان في قبوله لأتباع هذه الرسالات في داره منفتحاً على ثقافاتهم وحضاراتهم ، والمثير للدهشة أنه في إطار توجهات الإسلام استطاع العرب آنذاك ليس فقط إعطاء إمكانية تمازج لهذه الحضارات بل أيضاً إعطاء زخم قوي للإيمان الجديد . فقد تمكن المسلمون في ذلك الوقت من تقبل معظم الحضارات والثقافات الكبرى في الشرق وأفريقيا والغرب ، وكانت هذه قوة كبيرة وعظيمة له ، لذا يعتقد "جارودي" أن هذا الإنفتاح هو الذي جعل الإسلام قوياً ومنيعاً [٥]. بالإضافة لذلك يرى "جارودي" أنه لم يحدث الفصل والتجزئة بين الأشياء في الإسلام ، فالعلم متصل بالدين والعمل مرتبط بالإيمان والفلسفة مستوحاة من النبوة والنبوة متصلة بالعقل . وذلك بعكس ما هو كائن في الحضارة الغربية الآن ، هذه الوحدانية في مفهوم الحضارة ومفهوم الجماعة يحتاج إليها عالم اليوم المجزاء في كل شيء وهذا هو ما جذبني نحو المفهوم الإسلامي للوجود ، فقد أدى العقل الأوربي إلى تحويل الإنسان إلى مجرد ترس في آلة بفضل التخصص في كل مجال من

---

(١)- أمينه الصاوي ، د. عبد العزيز شرف ، مصدر سابق ، صـ٣٠٥.

(٢)- د. محمد قطب ، مرجع سابق ، صـ ٢٠٠ .

(٣)- د. مختار البسيوني : القتل بدافع الرحمه بين الاخلاق والدين "اخلاقيات المهنه ١- الطب" وكالة الشرق الأوسط للطباعه والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ ، صـ ٦١ .

(٤)- د. محمد ثابت الفندي : مع الفيلسوف ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ ، صـ صـ ٦٦-٦٧ .

(5)- http://www.al-jazirah.com.sa/magazine/28102003/imazaaslmna25.htm.

المجالات إثر التقدم العلمي والتكنولوجي ، الأمر الذي أدى لفقدان الحياة الروحية وتكامل وحدتها ، وبهذا فقد الوجود الإنساني المتكامل ليُحل محله وجود صناعي ميكانيكي آلي [1].

٥- إعلانه اعتناق الإسلام :

نتيجة لأرائه السابقة بعد رحلة طويلة من البحث والدراسة من أجل الوصول إلى اليقين أعلن "جارودي" إسلامه ، "وقد جاء اعتناق المفكر الفرنسي للإسلام ليس من قبيل التجربة ولكنه كان شيئاً كالإنجازات الكبرى في حياة الإنسان" [2]. فقد وجد أن الحضارة الغربية قد بنيت على فهم خاطئ للإنسان وأنه عبر حياته كان يبحث عن معنى معين لم يجده إلا في الإسلام ، وقد ظل ملتزماً بقيم العدالة الإجتماعية التي آمن بها في الحزب الشيوعي ، فظل على احترام حكمة الهند والصين واحترام حضارة الهنود الحمر في أمريكا ، ووجد أن الإسلام حسب فهمه ينسجم مع ذلك ويطبقه بشكل فائق[3] . وتكونت لديه قناعة بأن الإسلام ليس مجرد دين يختلف عن بقية الأديان فحسب ، بل إنه دين الله ، دين الفطرة التي خلق الله الناس عليها . أو هو يعني أن الإسلام هو الدين الحق منذ أن خلق الله آدم . في هذه المرحلة اختلطت الكثير من القناعات لدى "جارودي" لكن بقي الإسلام القناعة الوحيدة الراسخة ، وظل يبحث عن النقطة التي يلتقي فيها الوجدان بالعقل ، ويعتبر أن الإسلام مكنه بالفعل من بلوغ نقطة التوحيد بينهما ، "ففي حين أن الأحداث تبدو ضبابية وتقوم على النمو الكمي والعنف في العالم ، نجد القرآن الكريم يعتبر الكون والبشرية وحدة واحدة . يكتسب فيها الدور الذي يسهم به الإنسان ليعطي معنى للحياة ، وإن نسيان الله خالق هذا الكون يجعلنا عبيداً هامشيين خاضعين للعديد من الإعتبارات الخارجية ، بينما ذكر الله في الصلاة فقط يكسبنا وعياً بمركزنا وموردنا الذي هو أصل الوجود" [4].

كما رأى "جارودي" أن الإسلام لم يكتف بإدخال ونشر أغنى الثقافات وأعرقها إلى البلدان التي وصلت إليها دعوته [5]. بل استطاع أن يثبت روح اجتماعية جديدة حتى في بعض الإمبراطوريات المتفسخة فأعاد إلى تلك المجتمعات أبعاداً إنسانية وروحية سامية باعتماده عقيدة بسيطة متباينة أدت إلى تجديد العلوم والفنون والشرائع والفلسفة[6] .

---

(1)- Berdyaev :the Meaning of History, Trans by George Beavey ,Geoffrey ,Press ,London ,1945, p.38.

(٢)- جارودي : الإرهاب الغربي ، ج١ ، مصدر سابق ، صـ ٥ بتصرف .

(3)- http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=64084.

(٤)- جارودي : ما يعد به الإسلام ، صـ ٨٨ بتصرف .

(٥)- المصدر نفسه ، صـ ٧ .

(٦)- الموضع نفسه .

وعلى جانب آخر يرى "جارودي" أن ما يجعل الإنسان إنساناً هو إمكانية تحقيقه للمقاصد الإلهية ، وفي استطاعته أن يلتزم بالعهد أو أن ينقض العهد ، فعلى حين أن الإسلام لا يدخل في نطاق إدارة المخلوقات الأخرى من نبات وحيوان وجماد ، إذ لا تستطيع الهروب من القوانين التي تسوسها ، نجد أن الإنسان وحده يستطيع الإمتثال فيصبح مسلماً بقرار حر واختيار كامل عندما يعي نظام الوحدة والكل الذي يكسب الحياة معنى ، وهو مسئول مسئولية كاملة عن مصيره طالما باستطاعته أن يرفض أن يستسلم للواجبات المفروضة عليه . كما أن القرآن خالد وأبدي ويستطيع في كل وقت وزمن من التاريخ أن يفهمنا ويوضح لنا الطريق أو الصراط المستقيم وأن يرينا الهدف (١).

ولذا يفند "جارودي" ادعاءات الغرب ضد الإسلام موضحاً أن روحانية الإسلام تجلت في صور عديدة بقوله :"أن الإسلام وضع اللبنة لحل مشاكل الإنسان الروحية ، ولكنه لا يحلها بنفسه إنهم الأشخاص الذين يحلون المشاكل ويبحثون عن الحلول لها . ويحذرنا "جارودي" من أنه إذا واصل القرن الواحد والعشرين مسيرته بهذه الإنحرافات ، أي قاده كما كان في القرنين الماضيين ــ حمقى أقوياء ــ فإنه لن يستمر مائة عام وسنقتل أطفالنا الصغار ، وقد كان من حظي "أو من شقاوتي" أن أعيش القرن العشرين كله تقريباً وهو من أشد القرون دموية في التاريخ ، حيث سال البترول والدم وازدحم العالم بالمخلفات النووية التي تهدد أبناءنا لقرون عدة(٢) . ولن نستطيع حل هذه المشاكل إلا إذا نجحنا في إعادة الملامح الإنسانية التي مزقتها أربعة قرون من الإستعمار والهيمنة الغربية ، لن نستطيع حلها إلا إذا نجحنا في تطوير حوار حضارات حقيقي بين كل ثقافات العالم (٣).

وأخيراً فلا يوجد سبيل لتحقيق أكبر قدر ممكن من احترام الآخر فضلاً عن احترامنا لأنفسنا إلا بالعض على عقيدتنا وقيم حضاراتنا بنواجذنا بالعمل الجاد المخلص على إعادة إعمال الفعل الحضاري والإسلامي في صدى إشراقات تراثنا الروحية والمادية والأدبية ، وكذلك نبذ احتقار الآخر وازدرائه من قبل الغرب .

---

(١)- المصدر نفسه ، صـــ ١٠ بتصرف .

(٢)- المصدر السابق ، صـــ ١٠٥ بتصرف .

(٣)- جارودي : الولايات المتحدة طليعة الإنحطاط ، صـــ ١١٨ .

ثانيا:ـــ أسس الحوار الحضاري لدى "دانييل" :

كان اهتمام "دانييل" منصب على الجانب الديني أكثر من غيره من الجوانب وخــلال فتــرة العصور الوسطى فقط ، حيث قال :"إني لم أحاول عرض العلاقات الثقافيــة لكــلا المجتمعــين كمجال للمناقشة سواء في المجالات العلمية أو الأدبية أو المعمارية"[1] . إلا إني أهــتم بــإبراز جوانب معينة في فترة ما بعد القرون الوسطى ، التي يمكن أن تساعد الأوربيين والمسلمين على حد سواء في تحديد السلوكيات الأوربية ، التي تؤثر على العلاقة سلبياً بينهم رغــم كــل تلــك السنين ، بالرغم من التقدم في التفاهم Under Standing عند كثير من المسلمين فــي الوقــت المعاصر[2]. حيث لاحظ بعض النصارى احترام المسلمين للأشياء النصرانية المقدسة ، رغــم التعارض بينهما [3]. لذا فقد حصرت نفسي داخل الجانب الديني من منظور حساس بقصد إظهار الواجبات الملقاة على عاتق كلا المجتمعين (المسلم والنصراني) لإقامة الحوار البناء بينهم[4] .

ومن المعلوم أن المسلمين قبل النصارى قد سعوا إلى ذلك الهدف ، ولكن بأساليب وبغايات أسمى من تلك التي سعى بها وإليها النصارى ، ويرجع ذلك لكون الدين الإسلامي يعلمنا أن الله تعالى قد خلق الإنسان في الكون لتحقيق أهداف معينة وهي :

١– عمارة الأرض وتسخير الكون .

٢– إقامة العدل .

٣– كرامة الإنسان .

٤– سلامة البيئة .

٥– صيانة السلم والتعايش الآمن بين المجتمعات .

وللنهوض بهذه الغايات النبيلة شرع الله تعالى عدة منطلقات لتكون الأساس لحركــة الأداء البشري في مسيرة الحياة ، وهذه المنطلقات هي :

---

(1) - Normal Daniel: "Islam and the West , Op- Cit . p . V.

(2) -Ibid: p. 9 .

(3) -Ibid: p. 197 .

(4) -Ibid: p. 9 .

١- التعارف : حيث قال تعالى : ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (الحجرات/١٣) .

٢- التدافع : حيث قال تعالى :﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين﴾ (البقرة/٢٥١) ، ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾ (الحج/٤٠).

٣- التكامل : بين الأمم حيث بعث الله تعالى سيدنا محمد ﷺ إلى البشر كافة ، كي يوحده ، ويتم به تعالى رسله إلى بني البشر ، حيث قال المعصوم ﷺ "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة ، قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين" [1].

١- علاقات التعاون بين الغرب والإسلام :

أ - أسبانيا :

من المؤكد أن الشعوب تتأثر بتقدم العلوم والفنون تأثيراً منتظماً يفوق تأثير القمر في المد والجزر داخل البحور وهي ظاهرة ملاحظة على مر العصور [2]. لذا عندما تقدم المسلمون علمياً أثروا على الغرب وملئوا البلاد التي فتحوها علماً وتقدماً .

وكانت الفتوحات الإسلامية قد تقدمت بسرعة فائقة حتى قيل أن العرب فتحوا نصف العالم في نصف قرن ، وقال "نابليون" :"أن المسلمون فتحوا في ٩٠ عام ما فتحه الرومان في ٩٠٠ عام" . فبعد أن فتحت الجيوش الإسلامية مصر وتونس ، اتجهت غرباً لتحرر شمال إفريقيا بكامله إلى أن وصلت حتى ضفاف الأطلسي ، وأصبحت القيروان في تونس مركز قيادة "موسى ابن نصير" وجنوده من البربر الذين اعتنقوا الإسلام وساهموا في نشره في تلك المنطقة ، أرسل "موسى" أحد قواده الأشداء "طارق ابن زياد" على رأس قوة مؤلفة من ٧٠٠ جندي ليعبروا البحر باتجاه الساحل الأسباني ، وكانت القوة قد عبرت مطيق جبل طارق بمراكب أرسلها الحاكم

---

(١)- صحيح البخاري : المجلد الثاني ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ﷺ ، حديث رقم ٣٥٣٥ ، درا المنار ، صـ ٣٩١ .

(2)- Rousseau , Jan Jack : **the Social Contract and Discourses** , Q Discourse on the asts and Sciences, Everyman's Library , London , p.7.

البيزنطي "يوليان Julian "لمدينة "سيوتا Ceuta" ، وكان هذا الحاكم في صـــراع مـــع الملـــك القوطي "رودريك Roderick" ، فاستنجد بالمسلمين لمساعدته فأمده موسى بقوة عسكرية مـــن العرب والبربر(♥)، واستمرت في تقدمها لتصبح نواة دولة مسلمة تحكم أسبانيا لمدة ثمانية قرون (٧١١م/١٤٩٢م) . وقد عزز "موسى ابن نصير" قوات "طارق ابن زياد" فجهز جيشاً من عشرة ألاف يقوده بنفسه ، وعاد "موسى ابن نصير" بالغنائم والأسرى ، ومن بينهم ٤٠٠ أمير قـــوطي يلبسون التيجان والملابس الفاخرة ، وهو أول مشهد يرى فيه المسلمون عائلة ملكية غربية فـــي الأسر [١].

وقد رأى "دانييل" أن التأثير الأكبر للمسلمين في أوربا الوسطى Mediaeval Europe كان في أسبانيا حيث كانت أسبانيا هي المصدر الرئيس لأوربا في الفلسفة الإسلامية والعلوم ، وعن الإسلام ، ويعد تأثير المسلمون على أسبانيا هو تاريخ أسبانيا History of Spain [٢]. فالتأثير العربي على أسبانيا والغرب كان ظاهراً بشكل واضح Naturally Exclusively Arabic[٣]. حتى صار على كل طالب علم أن يذهب إلى أسبانيا حيث مركز اللغة العربية [٤]، نظراً لكونها لغة العلم الوحيدة آنذاك .

ب- صقلية :

كان بنوا "الأغلب" يحكمون شمال إفريقيا في العصر العباسي وكان حاكم القيروان "زيـــادة الله" ، حكم (٨٣٨/٨٧١) م ، وقد تلقى طلباً من مجموعة الثوار على الحكم البيزنطـــي لـــصقلية Sicily وسرقوسة Syracuse فأرسل حملة بحرية تمكنت من فتح "باليرمو Palermo" عاصمة الجزيرة ، وتقدم الجيش الإسلامي ليحكم سيطرته على بقية أنحاء الجزيرة لتبقى ٢٤٠ عام بأيدي المسلمين ، وأصبحت "صقلية" أكبر قاعدة بحرية للإسطول الإسلامي في البحر المتوسط وامتـــد

(♥)- قلب الحال الآن وأصبح المسلمون هم الذين يقاتل بعضهم البعض ، ويستنجدون بالنصارى لهذا الغـــرض ، كمـــا حـــدث أيـــام الحملات الصليبية ، وفي حرب الخليج .

(١)- ابن القوطية ابي بكر محمد بن عمر : المكتبة الاندلسية "تاريخ افتتاح الاندلس" ، حققه وقدم لـــه ووضـــع فهارســـه إبـــراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢- هـــ -١٩٨٢م ، صـــ صـــ ٣٢-٣٥ بتصرف ؛ د. السيد أبو مصطفى : تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته ، مركز الإسكندرية للكتاب ٢٠٠٧ ، صـــ صـــ ٦٣- ٦٥ بتصرف.

(2)- Norman Daniel: The Arabs and Mediaeval Europe , Op - Cit , P . 80 .

(3) – Ibid : p .268.

(4) – Ibid : p .280.

تأثير المسلمين ليس إلى الأطراف الجنوبية لإيطاليا فحسب ، بل وصل التهديـد إلـى نـابولي Naples وبقية المدن الشمالية ، وحتى روما نفسها تعرضت للتهديد عام ٨٤٦م [(١)].

ويؤكد "دانييل" وجود العدل من المسلمين أثناء حكمهم لصقلية ، كما يؤكد نزاهـة الحـاكم المسلم Muslim Judge حتى في الحكم على الخصومات بين المسلمين وغير المـسلمين فـي الأمر الذي ساعد على إقامة علاقات جيدة بين النصارى الصالحين والمسلمين الصالحين Good Christians and Good Muslim [(٢)]. وبهذا مثلت أسبانيا وصقلية جسراً عبرت عليه الثقافة الإسلامية فكراً وعلماً وفلسفة إلى أوربا ، ومن خلالهما وصلت كتب العلماء والفلاسفة المسلمين إلى المراكز العلمية الأوربية بعد ترجمتها إلى اللغات الأوربية ، وقد أكد علـى ذلـك الغـرب أنفسهم ، حيث قال المستشرق "مونتجمري واط Montgomery watt": "هناك عوامل إيجابيه غنية وفدت إلى أوربا عبر بوابتي الأندلس وصقلية ، والتـي أسـهمت بقـوة فـي النهـوض الأوربي" [(٣)]. كما وأن حروب الدولة الإسلامية لتلك البلاد كانت تحريرية بمعنى الكلمة ، وقد تم على يدها تحرير النصارى في هذه المناطق من الإستعمار الروماني والفارسـي والإضـطهاد والإبتزاز المادي [(٤)].

بالإضافة لذلك يرى "دانييل" أن العرب تواجدوا قبل الإسلام بمده طويلة ولكن ما كان مـع الإسلام هو أنهم أصبحوا قوة عالمية ولهم حضارة Civilization ، نتجت عن اتصالات العرب مع الشعوب والثقافات Cultures الأخرى ، وقد وصل المسلمون Moslem's لـذروتهم فـي القرن التاسع والعاشر والحادي عشر فكانوا لمدة قرون بمثابة النور المرشد لجزء كبيـر مـن العالم ، ولذلك لا يمكن إهمال دورهم الحضاري [(٥)] .

٢ – فضل الإسلام على الغرب :

يرى "دانييل" أن البترول Oil في العصر الحالي كان هو العامل الأساسي الجديـد لجـذب انتباه العالم للعرب [(٦)]. وربما يرى هنا "دانييل" أن هناك عامل جذب قديم وعامل جذب حديث ،

(1)- http://us.share.geocities.com/f_ba13awi/30.htm , Op - Cit.

(2)- Norman Daniel: The Arabs and Mediaeval Europe , Op - Cit , P . 160 .

(3)- W. Montgomery Watt : the Influence of Islam on Medieval Europe, Edinburgh ,1972 ,p.10 .

(٤)– د. جمال حمدان : إستراتيجية الإستعمار والتحرير ، دار الهلال ، مصر ، ١٩٦٨ ، صـ ٣٠ .

(5)- Norman Daniel: The Arabs and Mediaeval Europe , Op - Cit , P . xi .

(6)- Loc - Cit.

أما القديم فهو الحضارة والتقدم الإسلامي . وهو هنا لا ينسبه للمسلمين بصفة خاصة ، ولكن ينسبه للعرب بصفة عامة ، ربما باعتبار أن العرب هم المسلمون ، أما العامل الحديث فهو ظهور البترول في الدول العربية الإسلامية .

وقد بقيت بعض الكتب العربية مرجعاً لعدة قرون مثل كتاب "القانون" لـ"ابن سينا" الذي طبع ٣٠ طبعة لاتينية في الثلاثين سنة الأخيرة من القرن الخامس عشر، وكتاب "الزهراوي" في الطب والذي بقى مرجعاً في مدارس مثل مدرسة "ساليرنو Salerno" في إطاليا ومدرسة مونت بلير Montpeller في فرنسا وكان مزيناً بالصور مما يدل على خبرة "الزهراوي" بالتشريح وتقنية آلاته ، وكان كتاب الكيمياء "لجابر ابن حيان" ، وجداول الخوارزمي الفلكية مراجع متعددة في هذه العلوم وكان لـ "بن رشد Ibn Rushd" (١١٢٦هـ/١١٩٨م) دور في الفلسفة الأوربية [١]. فقد اطلع الأوربيون على أراء "أرسطو" من خلال تعليقاته والنصوص التي يوردها في مقالاته ، وكان للمدرسة "الرشدية" تأثير كبير في الأوساط الفكرية والعلمية الأوربية وهيمنت على جامعات باريس ونابولي ، وقد درس "توما الإكويني Aquinas Thomas"(ت-١٢٧٤م) الإيطالي رائد الفلسفة في جامعة نابولي ، وقد درس "روجر بيكون Roger Bacon"(ت-١٢٩٤م) ، الإنجليزي في جامعة باريس رائد المنهج التجريبي في الفكر ، كما أكد المنجم "ريموند Raymund" وهو من مرسيليا أن المصادر العربية Arab Sources في علم التنجيم Astrology كانت هي المستخدمة لدى العلماء الأوربيين ، وقد استخدمها "ريموند" نفسه [٢] . ولذا يؤكد الكاتب الأمريكي "مايكل هارت Hart" أن الإتصال بين الشرق والغرب قد مهد لعصر النهضة في أوربا[٣]. " ويؤكد "دانييل" أنه بالرغم من هيمنة الثقافة الإسلامية على العالم إلا أن المسلمون كانوا يأخذون في الحسبان الثقافات المختلفة Different Cultures والتي كانت موجودة في ذلك العصر وحتى قبل الإسلام [٤].

(1) – Ibid : p .279.

(2) – Ibid : p .286.

(٣)– مايكل هارت : الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ ، ترجمة انيس منصور ، دار الكتاب المصري اللبناني ، مصر ، ١٤٠٦ ، صـ ٢٠٦ .

(4) – Ibid : p .18.

التبادلات الغربية الإسلامية :

نشأت بين الغرب والعالم الإسلامي مصالح مشتركة وعلاقات تعاون بين الطرفين ، وكانت التجارة المحور الرئيس للنشاط الإقتصادي في تلك المرحلة . وكانت حركة الإستيراد والتصدير على أوجها لنقل المنتجات والبضائع إلى أرجاء العالم ، من الصين شرقاً إلى أسبانيا غرباً ، وكانت القوافل التجارية تعبر الصحاري والجبال ، وتمر بمختلف الدول والأمم والشعوب ، وتمخر السفن عباب البحار من أجل إيصال بضائعها ، متحملة الأهوال والمخاطر ، وكان لهذه النشاطات التجارية دور في نشوء علاقات بين الملوك والسلاطين والشعوب ، فكان التجار ورجالهم يرحلون من بلد إلى بلد .

ومن المعلوم أن استمرار التجارة والنقل والسفر يحتاج إلى اتفاقيات سلم ومعاهدات تسمح بالمرور والإقامة ، وتنظيم تحصيل الضرائب على القوافل والسفن ، وكان الحكام يقومون بهذه الإتفاقيات والمعاهدات لتشجيع التجارة ، لما تجلبه من خير ودخل للحاكم والشعب (1).

بالإضافة لذلك كانت هناك زيارات متبادلة بين الوفود المختلفة ، ويدلل "دانييل" على ذلك بالزيارة التي قام بها "ريكالدو Ricoldo" إلى بغداد فيقول :"لقد قام ريكالدو بدراسة تصرفات المسلمين Moslem's ، ومؤسساتهم ، كما رآها في بغداد ولقد أثنى ومدح كثيراً فضائل المسلمين وكرمهم ، حيث استقبلوهم كما لو كان المسلمون ملائكة الله في الأرض ، سواء في مدارسهم أو جامعاتهم ، ومساجدهم ومنازلهم ، وقد قمنا بدراسة دينهم وأعمالهم وفوجئنا كيف لبلد يسود فيه هذا الدين الزائف False Religion أن يكون فيه أعمال بمثل هذا الإتقان (2).

وقد أكد "دانييل" على وجود عدة خصال حميدة لدى المسلمين منها الوقار والرزانة والعزة ، بالإضافة لخشوعهم في الصلاة وعطفهم وشفقتهم على الضعيف ، علاوة على تبجيلهم للكتب السماوية والرسل والأماكن المقدسة ، وخوفهم من الله ، ولا يبدؤون شيئاً إلا وذكروا اسم الله تعالى عليه ، ولا يذكرون الله تعالى إلا ومعه تبجيل وتقدير ، بالإضافة لأخلاقياتهم الرفيعة وكرم ضيافتهم للغرباء وحبهم لبعضهم البعض (3).

---

(1)- http://www.azzaman.com/azz/articles/2002/02-13/398.htm .

(2)- Norman Daniel: The Arabs and Mediaeval Europe , Op - Cit , P . 197 .

(3) – Ibid : p .196.

ويستشهد على ذلك أيضاً بأقوال "ريكالدو" الذي قال :"لديهم الرؤوس المرفوعة والأيادي المتحركة ، حتى لدى الأطفال Children الصغار ، ولا يمكن أن تسمع أغاني Song's بخلاف الأناشيد الدينية فقط ، وقد كان الوقار موجوداً بشدة لدى رجال الدين والأطفال شديدي التربية ، كما كان لديهم الإخاء والتعاون ، فكانوا ينادون بعضهم البعض بـ(ابن أمي)". لكن ،.... هذه الصفات كلها كانت موجودة في العرب ومشهورين بها حتى قبل الإسلام بحكم طبيعتهم" (١).

كما أكد أحد المؤرخين وهو من الفلاسفة البارزين المستر"دريبر" أن المسلمين الأولين ، في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين ومن اليهود على الإحترام فقط ، بل أوكلوا لهم بعض الأعمال الجسام ، بل ورقوهم إلى مناصب عليا في الدولة ، حيث وضع "هارون الرشيد" جميع المدارس تحت رعاية نصراني وهو "يوحنا ابن ماسويه" ، وتارة وضعها تحت إدارة اليهود (٢). "ذلك لأن المسلمون كانوا قد اعتادوا الإستعانة برعاياهم أو مرؤوسيهم في الإدارة Administration بغض النظر عن ديانتهم ، وكانت المعاملة كريمة من المسلمين للنصارى" . وقد استمر هذا الحال حتى إثناء الحروب الصليبية (٣).

وبهذا فقد كان هناك حوار بين الدولة الإسلامية القوية في ذلك الوقت والمسيطرة على العالم ، وبين الغرب ، ولم تلغي وتفتت الآخر وتتجاهله ، وهو ما يريد الغرب تطبيقه الآن عند إقامة الحوار ، حيث أن الحوار لا يعنى التوحد وهيمنة ثقافة على أخرى ولا يعني الدخول في حوار حضاري تبني نفس المنهج والإسلوب والثقافة بما يعني نفي الذات أو الهوية(٤).

وبالإضافة لذلك لم يتعرض الأسرى ولا من يعيشون في الدولة الإسلامية من النصارى أو من أهل الملل الأخرى إلى مذابح جماعية ، وحروب إبادة كما حدث مع الهنود الحمر ، ولا كما حدث في استراليا ، ولا كما حدث في تسمانيا ، حيث كانت أخر امرأة ماتت في تسمانيا عام ١٨٣٠م ، كانت هي آخر امرأة ماتت من السكان الأصليين ، ولم يعطي المسلمون هؤلاء ولا أولئك "بطاطين" بها ميكروب الجدري حتى يموتوا كما حدث في قصة الجذور الشهيرة (٧)، ولم

---

(1) – Ibid : p .198.

(٢)– سلامة موسى : حرية الفكر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٣ ، صـ ٥٩ .

(3)- Normal Daniel: Islam Europe and Empire , Op – Cit , p . 3 .

(٤)– د. احمد طه خلف الله : الحوار بين الحضارات ، بين الواقع والمأمول ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ ، صـ ٨٠ .

(٧)– الجذور : رواية امريكية تشرح كيف استعبد الزنوج في امريكا بابشع الصور ، حتى صارت التفرقة العنصرية سُبة في تاريخ الأمريكيين حتى اليوم .

يستعبد المسلمون الناس ، ولا توجد أمة صيرت عبيدها حكاماً سوى المسلمين فقط ، كما حدث مع المماليك في مصر (١).

٤- علاقات التبادل في فترة الحروب الصليبية :

يقى الصليبيون قرنين في الشرق الأوسط أسسوا فيها بعض الدول ، يحيط بها المسلمون من أهل البلاد ، وكان الصليبيون يحملون السمات الأوربية آنذاك من التأخر العلمي والجمود الفكري ، إضافة إلى فظاظة وقسوة واضحة ، فلم يكن لديهم ما يعطونه ، بقدر ما تعلموا من المسلمين ، وعلى الرغم من أن الحضارة الإسلامية في القرن الثاني عشر قد فقدت بريقها وأبهتها ، ولكنها كانت ما تزال على مستوىً عالٍ مقارنة بالوضع الأوربي ، ولا يسع المجال للتطرق إلى تفاصيل التأثير الإسلامي على الغازين الصليبيين ، ولكن سيذكر الباحث بعضها فقط . حيث تعلم الأوربيون استخدام الحمام لنقل البريد ، واستعمال النار لإعطاء إشارات ضوئية ليلاً للتخاطب عن بعد ، وأصبحت زهرة "الزنبق" شعار الطبقة الأرستقراطية المسلمة ، من مظاهر النبلاء والأمراء الأوربيين . وتعلم الأوربيون استخدام السكر ، الذي كان ينتج بكميات كبيرة . وكانوا حتى ذلك الوقت يستخدمون العسل في الطعام والأدوية ، وأصبحت الألفاظ والكلمات العربية متداولة ، إذ وجدت طريقها إلى اللغات الأوربية ، إلى يومنا هذا ، وهيأ الإتصال المباشر مع العرب المسلمين فرصة للأوربيين للتعرف على الأدب العربي والعادات والتقاليد . ولذا يقول المؤرخ "توماس أرنولد" :"في القرن الثاني عشر جنب الإسلام الكثير من الصليبيين الذين اعتنقوه . ولم يقتصر ذلك على الناس العاديين ، بل الأمراء والقادة ، ففي الليلة السابقة لمعركة حطين ، اعتنق الإسلام ٦ أمراء من مملكة القدس ، والتحقوا بقوات المسلمين دون إكراه" (٢).

ويرى "دانييل" أن هناك عدد قليل من الكتاب في العصور الوسطى لديهم رؤية قيمة إيجابية في العقائد المشتركة Shared Truths بين الديانتين ، وقد أرسل "أوليفر Oliver" خطاباً إلى السلطان الأيوبي Ayyubid Sultan يتضمن نية لكشف حقائق ومصطلحات مشتركة بين الديانتين ، وتجاهل الفوارق وتوسيع مجالات الإتفاق (٣). كما يرى "دانييل" أنه كان هناك اتفاقاً

---

(١)- د. على جمعة : الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى ، تكامل لا تنافر ، مقال منشور بسلسلة قضايا إسلامية ، الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، جمهورية مصر العربية ، مطابع الأهرام التجارية ، عدد ١٤٦ ، ربيع آخر ١٤٢٨ ، مايو ٢٠٠٧ ، ص ٦٦ .

(2)- http://us.share.geocities.com/f_ba13awi/30.htm. Op - Cit .

(3)-Norman Daniel : Islam and The West , Op – Cit , P. 165 .

قانونياً قد ربط بين الديانتين خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر ، وكذلك ربط كلاً من الشعبين بعضهما البعض ،... كما أن القرآن نفسه خالي من الإلحاد والكفر الذي نسب إليه من قبل اليهود وامتدح التسامح للمسلمين عندما خضعوا لملوك النصارى ، وكان مكانهم مثل اليهود ، والفرق بينهم وبين اليهود أن المسلمين كان لهم دولة تقدم الأمان والمعاهدات أيضاً للنصارى ، بينما لم يكن لليهود دولة يهودية تقوم بمثل هذا الدور[١].

ولهذا فقد كان من الطبيعي أن تقوى العلاقات بين الأمراء والحكام المسلمين والصليبيين معاً وقد وصلت العلاقات إلى مستوى التحالف العسكري بين المسلمين والصليبيين ، فنجد حلفاً يضم حكاماً مسلمين وصليبيين ، يناوئ حلفاً آخر يضم مسلمين وصليبيين، "كما أن النصارى أنفسهم وجدوا مشاعر المسلمين تجاههم مختلفة من حيث الألفة والرحمة والتعاون وحسن المعاملة ، حيث قال أحد النصارى : "إن الرجال الذين قتلنا آباءهم وأبناءهم وإخوتهم وبناتهم وأخواتهم وقضوا نحبهم يتعذبون ، والذين استولينا على أراضيهم والذين سقناهم عرايا من بيوتهم ، أعطونا من طعامهم وأبقوا على حياتنا ، عندما كنا نتضور جوعاً وغمرونا بعطفهم حتى ونحن تحت رحمتهم"[٢]. وقد كانت هناك بالفعل أوامر صادرة للجنود المسلمين بحماية أرواح النصارى وممتلكاتهم ، ولم يتعرض نصراني لمضايقة بسبب ديانته [٣]، ولنا أن نقارن بين ذلك وبين ما فعله الفرنجة حين دخلوا القدس!!! .

ويرى "دانييل" أن الكنيسة الرومانية كانت ترى في التعاون مع المسلمين مخالفة لتعاليم النصرانية ، وأن الذين يتاجرون بالأمتعة الحربية مع المسلمين وغيرها على الرغم من تحريم ذلك من قبل المجالس الكنسية Church Councils يعتبرون أبناء شريرين للكنيسة وهم نصارى مزيفون False Church ، يؤمنون بعقيدة الكنيسة الرومانية بالكلام فقط ، وينكرونها بأفعالهم [٤]. ويؤكد "دانييل" تطرق "وليم آدم William Adam" إلى أنواع التعامل مع "الظالمين" الذين يدمرون "ميراث الرب Destroyed the Inheritance of the Lord" وقد وُضعت مقررات كنسية ، وصدرت أوامر بابوية تقيد التجارة بالأدوات الحربية ، فأصبح ممنوعاً التجارة بالسلاح ، والحديد والخشب وبناء السفن ، أو الإبحار نحو موانئ العدو في كل

(1) – Ibid : p .189.

(٢)– كافين رايلي : الغرب والعالم ، ترجمة عبد الوهاب المسيري وآخرون ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤٠٥ ، صـ ١٩٨ .

(٣)– أنتوني ناتانج : مرجع سابق ، صـ ٢٦ .

(4)-Norman Daniel : Islam and The West , Op – Cit , P. 114 .

الأحوال . وأما المتاجرة بالأغذية وغيرها تكون ممنوعة في حالة الحرب فقط . مما جعل النصارى يعتبرونه قراراً مجحفاً وظالماً بحق الأراضي المقدسة Holy Land [1]. ومع ذلك بقيت التجارة مزدهرة مع المسلمين ، وبقيت الإتصالات غير التجارية جارية ، بين الجماعات النصرانية والعالم الإسلامي . كما يؤكد "دانييل" على التعاون بين المسلمون والنصارى حتى في المجالات الطبية حيث يروي "أن امرأة مسلمة ذهبت لتستشفي من الحمى في معبد " الدومنيكان" العظيم يوم الغطاس ، ولكن كانت تلك المعتقدات ليست تعبداً أكثر من كونها معتقدات خرافية[2].

كما يرى"دانييل" أن الكرم الإسلامي وعطاء المسلمين لم ينقطع عن الكنيسة النصرانية أبداً ، فقد تحدث الكثير من الكتاب عن المساعدات الإقتصادية التي كانت تقدم في مختلف الفترات الزمنية من قبل السلاطين المصريين إلى الدير اليوناني في جبل سيناء [3]. حيث كان لدى المسلمين احترام للأماكن النصرانية المقدسة رغم وجود التعارض ، فالكعبة كصخرة لها قداستها في الإسلام ، كما للكنيسة قداستها في النصرانية ، علاوة على تقديس المسلمين لبعض الأماكن مثل كنيسة "ماري العذراء" وذلك لوجود تعاليم قرآنية تحث المسلمين على حسن معاملة النصارى [4].

كما رأى بعض النصارى أن كل من الديانتين مكمل لبعضهما البعض[5](*). وجدير بالذكر أن "دانييل" رأى أن المسلمين قاموا باحترام الإحتفالات والمراسم النصرانية Vestavia Christian ، وذلك بنوع من التسامح الديني ولكن هذا ما لم يعتبره النصارى صحيحاً وكانوا يهاجمون المسلمون الورعين [6]. ولذا أكد "دانييل" أن قانون المجمع الكنسي بعدم التعامل مع المسلمين سابق الذكر هو قانون قاسي ومجحف وغير مبرر ، وهو على النقيض من معاملة المسلمين للنصارى حيث قال :"هذا القانون قاسي لأن كلٍ من المجتمعات اللاتينية "Latian والنصرانية قد انتعشت Flourished في ظل الإسلام وكانت هناك اتصالات أكيدة مع المسلمين الذين كانوا غير تجاريين Not Commercial ، أو حتى على الأقل لم يدخلوا تحت الحظر

---

(1) – Ibid : p .115.

(2) – Ibid : p .197.

(3) – Loc – Cit .

(4) – Ibid : p .170.

(5) – Ibid : p .192 .

(*)– الإسلام مكمل ومتمم للمسيحية الحقة وليس للنصرانية التي يؤمن بها النصارى هذه الأيام ومنذ بعثة الرسول ﷺ ، كما وان النصرانية ليست متممة للإسلام لأنه هو الدين الخاتم والمتمم للرسالات السماوية السابقة عليه .

(6) – Ibid : p .198 .

الكنسي الآلي ...، كما كانت هناك بعض حالات الزواج من مسلمين وكانوا حتى بعد القانون يظلون معاً ولا ينفصلون"..... كما وأن الرعايا المسلمين في المقاطعات النصرانية كانت تتم معاملتهم بشكل متسامح ، وكان يطلب منهم التعايش بمبدأ الجيرة ، حيث أنهم جيران في ظل القانون البروتستانتي المقر بحرية مقيدة Restricted Freedom[1] . كما أن الحاكم الصليبي كان ممنوعاً من طرد المسلمين من أراضيه دون وجود سبب ، وكذلك يحرم عليه معاملتهم بشكل يتنافى مع الآدمية ، وكان من الممكن إجراء اتفاقيات مع المسلمين عند الحاجة لذلك في إطار الدواعي الأمنية [2].

وفي أواخر العصور الوسطى كانت العلاقات الخارجية تتركز على الصلات التقليدية والدينية إذ كان من الطبيعي وليس دائماً أن تسعى الدول للتحالف مع نظيراتها في الدين والعقيدة ، فالنصراني يفضل النصراني ، وكذلك المسلم يفضل المسلم ، ولكن هذا لا يعي أنه لا توجد صراعات وحروب بين أتباع الدين الواحد وأن مصالحهم لا تتقاطع ، بل ينبغي الإشارة إلى أن العامل الديني يبقى دافعاً هاماً في السياسة الخارجية . ويدلل "دانييل" على ذلك بأن "أوليفر Oliver" قد وجه خطاباً إلى ملك "بابليون" خاطب فيه الكنيسة النصرانية قائلاً أنه قد تحاور كثيراً بالكلمات ولكن دون جدوى والحل هو في السيف وليس في الحوار ، فلا بد من استعمال السيف ضد المسلمين جميعاً للدفاع عن الإمبراطورية النصرانية Christendom". وبالرغم من ذلك كانت هناك رغبة لدى الكثير من الكتاب النصارى مثل "آدم مارش Adam march" في الاعتذار Apologise عن استخدام السيف بدلاً من الحوار[3].

حيث غلبت لغة السيف لغة الحوار ، فتقدم النصارى نحو الأندلس وفي عام ١٤٨٩م وخلال تقدم القوات النصرانية في العمق الأسباني جنوباً لاستعادة الأندلس من المسلمين ، أرسل الأمراء الأندلسيون عدة رسائل إلى الحكام المسلمين طالبين المساعدة بوجه الهجوم النصراني بقيادة الملك "فرناندو Fernando" ، وكانت القاهرة قد استقبلت بعثة أندلسية طلبت مساعدة عسكرية لمواجهة القوات النصرانية المحيطة بغرناطة ، ولم يكن موقف العثمانيين أفضل من موقف مصر التي اكتفت بالتهديد والوعيد ، فقد أرسل الأندلسيون إلى السلطان العثماني "بايزيد الثاني" طلباً للعون فاتصل بمصر وعقد هدنة مؤقتة تنهي الحروب والعداوات بين الدولتين المسلمتين ،

(1) – Ibid : p .115 .
(2) – Ibid : p .116 .
(3) – Ibid : p .115 .

ووضعا خطة مشتركة بإرسال إسطول قوي لغزو صقلية التي كانت يومئذ من أملاك أسـبانيا ، ليشغل بذلك اهتمام "إذابيلا وفرناندو" وأن تُبعث قوات برية من مصر وإفريقيا تعبر مضيق جبل طارق إلى الأندلس ، لمساعدة جيوشها وبقيت الخطة مجرد حبر على ورق ، وتهاون العثمانيون في إنقاذ الأندلس ، في الوقت الذي كانت لديهم قوات كبيرة في أوربا ، ويجوب إسطولهم البحر المتوسط ، فضاعت الأندلس بسبب تقاعس المسلمين وتهاونهم واسـتفحال العـداوة والتجزئـة بينهم(1).

وهناك فرق جوهري بين نظرة الغرب للمسلمين قديما وحديثا ، حيث أن الغرب في القرون الوسطى كان يتصور الإختلاف على أساس أنه ديني محض ، على خلفية اعتقاده بأن النصرانية تتفوق على الإسلام ، وأما الغربي المعاصر فقد أصبح ينظر نظرة استعلاء تجـاه العـرب أو المسلمين لأنهم ليسوا "مستنيرين" ، ولم يتجاوزوا الكوابح القديمة في حـين أنـه تجاوزهـا ، فالغربي المعاصر يعتبر نفسه أصل الحداثة والتنوير ، والعقلانية والديمقراطية ، ولا يقدم نفسه كنصراني على الإطلاق إلا فيما يخص البابا والفاتيكان ، وبعض الشرائح التي لا تزال متزمتة عقائدياً ، هنا يكمن الفرق بين العصور الوسطى والعصور الحديثة . يضاف إلى ذلك فرق آخر لا يستهان به وهو أن المسلمين كانوا هم الأقوى والأعلى فـي العـصور الوسـطى ، وكـان النصارى هم الذين يأخذون العلم والفلسفة عنهم أما الآن فقد انعكست الآية تماماً ، فقد أصـبح الغرب أقوى من المسلمين في المجالات المادية كثيـراً علـى كافـة المـستويات .العـسكرية والاقتصادية والثقافية . وأصبح المسلمون هم الذين يأخـذون عـن الغـرب العلـم والفلـسفة والتكنولوجيا . وبالتالي فكما أن الخطاب النصراني المضاد للمسلمين كان شائعاً بـين القـرنين السابع والثالث عشر من أجل تبرير الحملات الصليبية على الشرق الأوسط ، فـإن الخطـاب الاستشراقي الحديث لعب الدور نفسه في القرنين الماضيين من أجل الهيمنة على المنطقة مـن خلال الإستعمار .

٥- خلاص البشرية :

وبعد فإننا بحاجة إلى نقلة تتمثل في التحول بمفردات الخطاب الثقافي من الخطـاب العـام ومن الهم الإقليمي والقومي إلى آفاق الهم العالمي والإنساني . والمطلوب منا هو العمل الجـاد للبحث معاً عن الثقافة المشتركة ، ولكن ما هي الثقافة الإنسانية المشتركة ؟ هذه هي الرسالة أي

(1)- http://us.share.geocities.com/f_ba13awi/30.htm. Op - Cit.

منهج الإستخلاف الرباني لعمارة الأرض . ولقد اعتنى الإسلام بهذه المسألة من وراء أربعة عشر قرناً ووضع سبعة أعمدة كأساس لثقافة إنسانية مشتركة هي في الأساس الأول ميثاق عالمي في التاريخ البشري ، حيث وقف رسول الله يوم حجة الوداع ليعلن للناس جميعاً هذه الأعمدة وهي :

١- أيها الناس إن ربكم واحد تأكيداً على وحدة مصدرية الإيمان عند الرسالات المختلفة .

٢- أيها الناس إن أباكم واحد تأكيداً على وحدة الأسرة البشرية .

٣- أيها الناس إن دمائكم وأموالكم حرام ، تأكيد على قدسية حياة الإنسان وممتلكاته .

٤- أيها الناس إن ربكم قد حرم الظلم على نفسه وجعله بينكم محرماً ، تأكيداً على أن العدل هو أساس كل فضيلة ، وهو الحارس الأكبر لأمن الأفراد والشعوب والمجتمعات .

٥- أيها الناس إن عدة الشهور عند الله إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم : تأكيداً على الأمن والسلام وسلامة البيئة . وهذا يعنى أن سلامة البيئة عندنا ليست قانوناً فقط بل هي منطلق ديني ووجداني .

٦- أيها الناس استوصوا بالنساء خيراً ، إن للنساء عليكم حقاً ولكم عليهن حق : تأكيداً على أهمية تنظيم علاقة الحقوق والواجبات بين المرأة والرجل ، وتأكيداً على تكامل مسئولياتهما في ميادين الحياة .

٧- أيها الناس إن الله قد حكم "أن لا ربا" تأكيداً على الأمن الإقتصادي وعدم استغلال حاجة الفقراء والمحتاجين لصالح الأثرياء الجشعين .

فالإسلام لا يضمر لأحد من الناس حقداً ولا ضغينة ، ولا كيداً فالإسلام لا بد وأن يستعيد مكانته العالمية مرة ثانية ، ولا يريد الإسلام إجبار الشعوب الأخرى على الإيمان به قهراً وقسراً كما يريد الغرب الآن أن يفرض حضارته ومبادئه على العالم قهراً وغصباً [1].

ويرى "دانييل" أنه يمكن إقامة حوار بين الطرفين (المسلمين والنصارى) وكذلك بين اليهود أيضاً ، وذلك لوجود نقاط مشتركة في العقيدة بينهم ، حيث يتفق المسلمون مع النصارى حول بعض النقاط منها الإيمان بالله تعالى ، وتأكيد وحدانيته ، وأنه خالق كل الأشياء المرئية وغير المرئية ، وكذلك تدمير الرسول ﷺ للأوثان ، كما يتمتع السيد المسيح عليه السلام لدى المسلمون

---

(١)- منير شفيق : قضايا التنمية و الإستقلال في الصراع الحضاري ، دار الناشر ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ط٢ ، صـ٩١ .

بصورة ممتازة حيث يعتبره المسلمون أعظم الرسل قبل محمد ﷺ ، كما تتمتع السيدة "مـريم" بمكانة متميزة أيضاً حيث تعتبر الأكثر قداسة بين كل النساء(١). كما يتفق المسلمون مع اليهـود في إنكار الثالوث الأقدس Trinity من خلال الوحدانية الإلهية (٢). كما أن المسلمون قد أمـروا أن يؤمنوا بالله وبالتعاليم والرسل وبشارة "عيسى" المسيح ولا يفرقوا بينهم (٣). كما وأن التعاليم الإسلامية تنص على أن سيدنا "موسى" عليه السلام قد أسس المبادئ التي تتفق مع عصره ووقته ، عن طريق القوانين الإلهية التي منحها إياه . ثم بشر "عيسى" عليه السلام من بعده مرة أخـرى ، ووعـظ ونقل بواسطة البشارة المبادئ التي تناسب عصره ، وبنفس الطريقة فعل "محمد" ﷺ حيث نقـل التعاليم الإلهية التي تناسب ذلك العصر . كما شرح ووضح الفقهاء أنه عندما مضى عهد سيدنا "موسى"عليه السلام جاءت بشارة سيدنا "عيسى" وعندما استنفذ عصر البشارة أعقبه قانون "محمـد" . وذلك كي يكمل الله تعالى به الدين الخاتم ، ويكون المتمم للأديان السابقة والمكمل لهـا حـسب قول المسلمين (٤).

وبعد فمن المؤكد أنه بالعمل الجاد نحو الحوار البنـاء القـائم علـى الإعتـراف بـالآخر وبإسهاماته يمكن أن ينجز الحوار المقصود ، والذي يسعى إليه الحكماء من البشر علـى مـر العصور ، فالإنسان عن طريق العمل الجاد يمكنه تغيير العالم وتحويل المكان اللاإنساني إلـى مكان إنساني ، فعن طريق العمل وحده تتحقق الآمـال والتـصورات والأفكـار علـى أرض الواقع(٥). وذلك بالبعد عن السياسات الإستعمارية سواء الإقتصادية أو الجغرافية أو الفكريـة . والسعي نحو تحقيق الحرية لجميع البشر . لأن الحرية حق لجميع أفراد الإنسانية ، وهي مقوم أساسي من مقومات الحضارة ، لذا كثرت الأبحاث والكتابات والمؤتمرات عنها بل والثـورات من أجلها ، وربما الحروب الأهلية أو الإقليمية ، فلا بد من أن تستعيد الحرية مفهومها الملـيء إنسانية(٦). كي تسمو روح الإنسان وتبتعد عن الأنانية والوضاعة الفكرية وإلا سيكون جسداً بلا روح ، وذلك لأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يمكنه الجمع بين عالم الطبيعة وعالم الروح ، كما يجمع في ذهنه أيضاً الوعي بالعالمين ، لأن عالم الروح هو محصلة أفعال الإنسان ، وبهذا

---

(1)-Norman Daniel : **Islam and The West** , Op – Cit , P. 167 .

(2) – Ibid : p . 42 .

(3) – Ibid : p .20 .

(4) – Loc – Cit .

(5)- Alexander Kojeve : **Introduction to Reading of Hegel,** trans by Allan Bloom ,London Ithaca and Cornell , univ press, 1980 , p.138.

(٦)- محمد عزيز الحبابي : من الحرية للتحرر ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ ، صـ٢٧ .

فالروح موجودة في الإنسان لأن الإنسان هو المكون النشط في عالم الروح ، وهو المكان الذي تعمل الروح داخله (١).

ويتوجه "دانييل" إلى النصارى طالباً منهم تمثل موقف المسلمين في المعاملة سواء مع الآخر النصراني أو غير النصراني ، حيث يقول: "إن المسلمين الذين ليس لديهم دين للعقل والحياة لا يقتلون بعضهم البعض ، ونحن نشير إلى النصارى الذين لديهم دين للحياة أسمى منهم ، والأوامر بالحب والسلام ، لكنهم يقتلون بعضهم البعض دون رحمة (٢). كما طلب من النصارى أيضاً تمثل موقف القائد "صلاح الدين الأيوبي" حيث قال :"لصلاح الدين خصال عظيمة كثيرة منها العدالة والكرم والشجاعة والبسالة والحماس للجهاد والصبر والعطف واللطف ، وتلك المزايا يحب أن يراها الجميع في الملوك النصارى ، حيث أنهم أحق بها ، ولقد أدرك الجميع هذه الخصال في الشخصية المسلمة التي تدل على السلامة والكمال"(٣). ومن أهم خصال المسلمين عموماً التسامح الذي منحوه للمجتمعات النصرانية والحرية في العقيدة ، الأمر الذي فرح به النصارى لحبهم للعزلة والإختلاف عن المجتمع المسلم (٤).

وبهذا يتضح أن كلا المفكران يؤمن بأن نظرية المركزية الأوربية ليس لها وجود حقيقي على الأرض ، والتي يقول بها الغرب . كما أكدا على فضل الحضارات الأخرى على الغرب وخصوصاً الحضارة الإسلامية في كافة المجالات وخصوصاً العلمية ، لما لعبته صقلية وأسبانيا من دور بارز في نقل العلم الإسلامي إلى الغرب ، بيد أن "جارودي" من شدة إعجابه بالإسلام حسب قوله أعلن اعتناق الإسلام . على عكس "دانييل" الذي ظل على نصرانيته برغم اعترافهما بفضل الإسلام على الغرب في مجالات متعددة ، وهو الأمر الذي أكده "دانييل" حتى في أحلك الفترات ، وهي فترة الحروب الصليبية ، والتي بالرغم من فظاعتها كان المسلمون يتعاملون مع النصارى بإسلوب جيد حتى أعجب النصارى بالمسلمين وأرادوا أن يتمثلوا خصالهم . وقد كان الهدف الأول لـ"دانييل" حسب زعمه من كتابه "الإسلام والغرب" ، هو محاولة تعديل مواقف الأفراد سواء المسلمين أو النصارى الذين لديهم كره وجهل للمواقف الآتية من الجانب الآخر. لذا طالب الأوربيين بإدراك مقدار الأفكار الخاطئة عن الحضارة الإسلامية التي قبلوا بها في

---

(1)-Hegel , Fredrick : **Reason in History** , trans by Robert's . Hartman , U.S.A , p .26 .

(2)-Norman Daniel : **Islam and The West** , Op – Cit , P. 196 .

(3)- Norman Daniel: **The Arabs and Mediaeval Europe** , Op - Cit , P . 188 .

(4)- Normal Daniel: **Islam Europe and Empire** , Op – Cit , p . 3 .

الماضي ، كما طلب من المسلمين القيام بنفس العمل من جانبهم [1]. كما أكد كلا المفكـــران أن خلاص البشرية من المعاناة التي تمر بها هو الحوار بين الغرب والإسلام ، وكذلك مـــع بـــاقي الحضارات ، كي يحدث تنقيح للثقافات المُختلفة ، بيد أن الحوار من وجهة نظر "جارودي" يـــتم باحترام كلا الطرفان للآخر ، وإدراك أن كل منهما لا يملك الحقيقة المطلقة ، فكلاهمـــا علـــى طرف متساو. وبالتالي فأهم أسس الحوار لديه : قبول الآخر ، واعتراف الغرب بأنـــه مـــدين للحضارات الأخرى السابقة عليه. أما "دانييل" فالحوار لديه هو دخول المسلمين إلى النصرانية ، وفي هذا إقرار مسبق بصحة الموقف النصراني لديه وعدم الرغبة في الإعتراف بصحة الموقف الآخر.

---

(1)-Norman Daniel : **Islam and The West** , Op – Cit , P. v .

الخاتمة

و

نتائج البحث

بعدما تقدم من دراسة لموضوع البحث وتحليل المفردات التي طرحها فقد أسفر عن النتائج الآتية :ـ

١- هناك خلاف حول تفسير نشوء الحضارة ، لذا ظهرت العديد من النظريات والتي منها "التعاقب الدوري"، ومن مؤيديها "أفلاطون وابن خلدون وشبنجلر". و نظرية العناية الإلهية ، والتي نادى بها "سان أوغسطين"، ونظرية التحدي والاستجابة والتي نادى بها "أرنولد توينبي" ، والتي تعتبر أقرب هذه النظريات للواقع الفعلي في تفسير نشاءه الحضارة ولذلك لكون الإنسان عادةً لا يظهر ما بداخله من طاقات عبقرية إلا عندما تستحثه الظروف على ذلك ، سواء كانت هذه الظرف اجتماعية أو جغرافية أو مناخية أو غير ذلك ، كما تختلف طريقة المواجهة باختلاف الشخص وقدراته ومؤهلاته وثقافته .

٢- لإبراز النزعة الإنسانية لدى "جارودي" ركز الباحث على مفهوم الوجود لديه ، والذي يقصد به النوع البشري بصفة عامة ، وليس عرق معين أو جنس خاص ، على عكس ما ينادي به الغرب من تعالٍ وخُيلاء ، لذا طالب "جارودي" بدين إنساني جديد يقوم على التعاون والمساواة بين البشر ، والتقليص من سيطرة وسطوة الكنيسة على الغرب ، ووصفها بأنها "النموذج" وهو الأمر الذي يراه متوفر في الإسلام . كما حذر من حرية السوق التي ينادي بها الغرب لأنه نظام تختزل فيه كل القيم إلى قيم "سلعية" ، وهو نمط حياتي غربي يهدف إلى تحويل الإنسان إلى منتج أكثر وأكثر فعالية ومستهلك أكثر وأكثر شراهة في رغباته ، تحركه مصالحة الفردية فقط ، حتى العلوم الإنسانيةُ المزعومة أصبحت خادمة لهذه النظرية للتقدم ، على غرار الإقتصاد الذي خلق منذ القرن الثامن عشر أسطورة "الإنسان الإقتصادي" ، والتي لم تجعل الإنسان سوى منتج ومستهلك متحرك من أجل مصالحه فقط ، وهكذا ولدت الحضارة الكمية .

٣- لم يهتم "دانييل" بالنزعة الإنسانية مثل "جارودي" حيث نجده يزدري الدين الإسلامي ورسوله الأكرم ﷺ ويتهكم عليهم بالآراء التي يوردها في كتاباته ، ولا يقوم بتفنيدها مع تأكيده في بدية كتابه "الإسلام والغرب" أنه لن يغير وجهة نظره تلك ، لأنه مؤمن بها . والحل لديه كي يتلاقى المسلمون والنصارى في حوار وسلام دائم هو تحويل المسلمين إلى نصارى ، فالتمسك بالنصرانية لديه هو الأمل في السلام العالمي . وهذا يخالف تعاليم الإنسانيين مخالفة صريحة ، والذين طالبوا بالبعد عن الدين ونبذه .

٤- يرى "جارودي" أن النهضة الأوربية قامت على ظاهرتي الرأسمالية والإستعمار ، واستغلال الشعوب المستعمرة ونهب خيرها وثقافتها ؛ لذ فلا وجود لما يسمى "بالمركزية الأوربية" أو "المعجزة اليونانية" . وقد أكد كلٍ من "جارودي ودانييل" على استفادة الغرب من العلوم الإسلامية من أكثر من مصدر سواء من أسبانيا أو صقلية أو غيرها . كما أكد "جارودي" على أسبقية الحضارات الشرقية القديمة على الحضارة الغربية وفضلها عليها في كل المجالات ، مما يؤكد أن العلم اليوناني لم يأتي من فراغ ، بل من الحضارات السابقة عليهم .

٥- العلاقة بين الغرب والآخر هي علاقة الكره والبغضاء منذ القدم وحتى اليوم ، والآليات التي يستخدمها الغرب لتفتيت الآخر متعددة ومتنوعة بتنوع الزمان والمكان ، حيث قامت النهضة الأوربية على الرأسمالية والاستعمار، وكان من نتائج ذلك الهيمنة والغطرسة الغربية متمثلة في العولمة وحرية السوق والشركات متعددة الجنسيات ، وتهدف العولمة إلي تحقيق المصالح الغربية والهيمنة الأمريكية حيث يظهر ذلك في أبعادها الثقافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، فهي تهدف إلى تحجيم القيم الثقافية لمختلف الدول والشعوب غير الغربية ، والعمل على ترويج القيم الثقافية الغربية والمفاهيم الإجتماعية الأمريكية بصفة عامه ، وجعل اعتناق هذه القيم الغربية والمفاهيم الأمريكية شرط التعاون الدولي في ظل العولمة ، كما تهدف إلى عقد اتفاقيات اقتصادية تعتمد على دمج العالم الثالث مع الدول المتقدمة تحت شعار حرية التجارة الدولية وهدفها إيجاد أصوات استهلاكية عالمية لذلك لجأت إلى عدة وسائل مثل صندوق النقد الدولي ، البنك الدولي ، واتفاقية الجات ، منظمة التجارة العالمية والشركات متعددة الجنسيات .

٦- الإسلام ليس عدواً للغرب أو غيره ، حيث يعتقد المفكرون الغربيون أن الإسلام هو العدو الأول للغرب وهذا غير صحيح ، لأن عدو الغرب الأول هو الغرب نفسه ــ كما قال "جارودي"ــ فالغرب يختلق دائما وباستمرار الخصوم ويضع أولوياته في الهجوم ، أما الإسلام فهو دين خير يأمر بالمعروف ويُنهي عن المنكر ويدعو للسلام والأمن والاستقرار .

٧- هناك إمكانية للحوار الحضاري ، لكن ذلك مرهون بمدي استعداد كل حضارة لفهم الآخر والإعتراف به نداً حضارياً ، ولهضم البعد الإنساني واستيعاب قيم الخير والإيجابية في

أدبيات كل حضارة بتجرد وموضوعية . وخصوصاً الغرب الذي يجب عليه أن يعترف أولاً بأنه مدين للحضارات الأخرى ، ومن ثم قبوله للآخر . الأمر الذي حثّ عليه الإسلام والتزم به المسلمون الأوائل من خلال الإنفتاح على الآخر وتقديره . وأكد عليه "جارودي ودانييل" لأن الحرب في رأي "جارودي" لم تنجح أبداً في حل المنازعات بين الدول ، بل على العكس تولد حروباً جديدة ؛ فالحوار بين الغرب والإسلام هو الأمل الوحيد لحل الخلافات العالقة بينهما .

٨- ما يؤخذ على منهج "دانييل" عامة ، خوضه في موضوعات كثيرة ، لم يكن ملماً بها ، ولذلك كانت رؤيته في كل هذه الموضوعات عالة على آراء من سبقوه من المستشرقين ، وقد ردد كل أخطائهم وشبهاتهم ، مما جعل كتاباته في هذا المجال بالذات تفتقد الأصالة العلمية ، كما أنه استخدم التعميمات العشوائية والجزافية ، والأحكام المطلقة ، وإسقاط المصطلحات الغربية (الصليبية وغيرها) والتي من شأنها أن ، تنسف آراءه العلمية ، التي تمتدح الإسلام .

٩- عدم التزام "دانييل" بقواعد المنهج العلمي ، من مراعاة الحقائق وفحصها وتحليلها ، وجمع الشواهد التي تؤيد أو تعارض القضية موضوع البحث . مما يفضح نظرته المتعصبة للصليبية العالمية. وهذه النظرة الضيقة لا تقر بوجهة النظر المخالفة ، حيث لا يختار من الحقائق والمعلومات ، والبيانات إلا ما يؤيد وجهة نظره التعصبية ،

١٠ – اشترك كلٍ من المفكران"جارودي ودانييل" في إظهار التعاطف والحوار مع الإسلام في الظاهر بل وتمجيد الحضارة الإسلامية وتقدير فضلها وإسهاماتها على الغرب وأسبقية العلم العربي الإسلامي على العلم الغربي ، بل ودور المسلمين في نشر العلم لدى الغرب وتعليم الغرب وتثقيفه ، وكذا حسن جوار المسلمين وإيمانهم بأهمية التعايش السلمي مع الآخر وبخاصة المسلمين ، ولكنهم يبطنون الكره والبغضاء للإسلام والمسلمين وإن اختلفت أساليبهما .

لذا يوصي الباحث بالآتي :

أولاً : مطالبة المحققين والمهتمين بالفكر الاستشراقي بمراجعة أعمال "جارودي" ليتأكدوا من عدم إيمانه الحقيقي بالدين الإسلامي ، وإظهار ذلك للعالم ، حتى لا تقوم المؤتمرات الإسلامية بتكريمه بلا وعي ؛ وكذا بالنسبة "لدانييل" في دفاعه عن الإسلام ، ومن على شاكلتهما.

ثانياً: ضرورة مواجهة "دانييل" وأمثاله من المستشرقين ، بالدراسات العلمية الجادة والمتصفة بالموضوعية ، وذلك من خلال إنشاء مراكز للبحوث العلمية ، والتوسع في إنشاء أقسام الاستشراق والدراسات العربية الإسلامية ، بالجامعات العربية ، ومدها بأحدث وسائل التقنية المعاصرة ، لتهيئ للباحثين الإطلاع على إنتاج المستشرقين والمتخصصين في الدراسات الإسلامية والإقليمية من الغربيين الصليبيين . وإعداد جيش من الباحثين المتمرسين ، في اللغات الأوربية الحديثة وغيرها ، وتزويدهم بالدراسات التأصيلية ، وتوفير المصادر والمراجع الاستشراقية لهم .

ثالثاً: ضرورة تتبع أعمال المستشرقين الحديثة والتي يدّعون علميتها ، بالرد العلمي عليها وبشكل سريع ، وبذات اللغة الأوربية التي كتبت بها ، والتي تعج بها الدوريات الغربية ، الصادرة عن مراكز البحوث الأوربية والأمريكية ؛ وكذلك المشاركة في الندوات والمؤتمرات الاستشراقية التي تعقدها تلك المراكز، وتكون المشاركة فعالة وإيجابية ، بتقديم البحوث والدراسات الإسلامية الواعية في ضوء الكتاب والسنة .

رابعاً: دراسة كتابات تلاميذ المستشرقين ، في عالمنا العربي الإسلامي ، والذين تشبعوا بالفكر الاستشراقي والنظرة الصليبية للإسلام وحضارته ، وواقعه المعاصر، وضرورة الرد عليهم ، من خلال إعداد المؤلفات المنهجية الشاملة والموسوعية ، في مجالات العلوم الإسلامية المختلفة ، وذلك لبعث جيل جديد ، من أبناء المسلمين ، على درجة من العلم والوعي ، بهذا الطاعون الاستشراقي الخطير الموجه ضد الإسلام وأتباعه ، ورموزه المقدسة .

وأخيراً أختم بكلمة "للعماد الأصفهاني" حين قال:-

"إني رأيت أنه لا يكتب إنسان كتابا في يومه ، إلا وقال في غده : لو غير هذا لكان أحسن ، ولو زيد كذا لكان يستحسن ، ولو قدم هذا لكان أفضل ، وهذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر".

"وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين".

ثبت المصادر والمراجع

ثبت المصادر والمراجع

أولاً:ـــ مؤلفات نورمان دانييل :

(1)-Norman Daniel : **Islam and The West "The Making Of an Image"** , Edinburgh University , Press , 1966

(2)- Norman Daniel : **Islam Europe and Empire** , Edinburgh University Press , 1966 .

(3)- Norman Daniel : **The Arabs and Mediaeval Europe** , Longman, London and New York , 1966 .

ثانيا:ـــ مؤلفات روجيه جارودي :

١- روجيه جارودي : **إسرائيل بين اليهودية والصهيونية** ، ترجمة حسين حيدر ، دار التضامن للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ١٩٩٠ .

٢- ــــــــــــــ: **أصول الأصوليات والتعصبات السلفية** ، بدون مترجم ، مكتبة الشروق ، ١٩٩٦ .

٣- ــــــــــــــ : **الإرهاب الغربي** ، ج١ ، ترجمة ليلى الطوخي ، د. ناهد عبد الحميد ، د. سامي مندور ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٢٤ – ٢٠٠٤ .

٤- ــــــــــــــ : **الإرهاب الغربي** ، ج٢ ، ترجمة عبد المسيح فلي ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ٢٠٠٤ ، ١٤٢٥ .

٥- ــــــــــــــ : **الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية** ، ترجمة محمد هشان ، تقديم محمد حسنين هيكل ، دار الشروق ، ط٥ ، ٢٠٠٢ .

٦- ــــــــــــــ : **الإسلام دين المستقبل** ، ترجمة عبد الحميد بارودي، دار الإيمان للطباعة والنشر ، دمشق ، ١٩٦٨ ،

٧- ــــــــــــــ : **الإسلام في الغرب "قرطبة عاصمة العالم والفكر"** ، ترجمة د.ذوقان قرقوط ، دار دمشق للنشر والتوزيع والطباعة ، ط١ ، ١٩٩٥ .

٨- ــــــــــــــ : **البديل** ، ترجمة جورج طرابيشي ، دار الآداب ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ .

٩- ـــــــــــــــ : **الولايات المتحدة طليعة الانحطاط** ، ترجمة مروان حمــوي ، دار الكتــاب للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، دمشق ، ط١ ، ١٤١٨هـــ ، ١٩٩٨م .

١٠- ـــــــــــــــ : **جارودي يقاضي الصهيونية الإسرائيلية** ، ترجمة رانيا بوناصيف ، وبيار ريشا ، مراجعة هنري زغيب ،عويدات ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٩ .

١١- ـــــــــــــــ : **حفارو القبور، "الحضارة التي تحفر للإنسانية قبرها"** ، ترجمـــة عــزة صبحي ، دار الشروق ، ط٣، ٢٠٠٢، ١٤٢٣ .

١٢- ـــــــــــــــ : **حق الــرد** ، ترجمة د. هدى محمد شامل أباظة ، مراجعة د. محمد شامل أباظة ، بدون تاريخ ، مكتبة مصر ، ١٩٩٦ .

١٣- ـــــــــــــــ : **حوار الحضارات** ، ترجمة عادل العوا ، دار عويدات للطباعة والنــشر ، ط٤ ، ١٩٩٩ .

١٤- ـــــــــــــــ : **فلسطين أرض الرسالات السماوية** ، ترجمة قصي أتاسي ، مشيل واكيم ، دار طلاس للدراسات والترجمة ،١٩٩١ .

١٥- ـــــــــــــــ : **كيف صنعنا القرن العشرين** ، ترجمة ليلى حافظ ، دار الشروق ، ط٢ ، ١٤٢١-٢٠٠١ .

١٦- ـــــــــــــــ : **كيف نصنع المستقبل** ، ترجمة د. منى طلبة ، د. أنور عبد المغيث ، دار الشروق ، ط٣ ، ١٤٢٣- ٢٠٠٢ .

١٧- ـــــــــــــــ : **ماركسية القرن العشرين** ، ترجمة نزيه الحكيم ، دار الآداب ، بيروت ، ط٥ ، ١٩٨٣ .

١٨- ـــــــــــــــ : **ما يعد به الإسلام** ، قصي أتاسي ، محمد البجاوي ، مشيل واكيم ، محمد ياسر شرف ، دار الوثبة ، ط ٢ ، ١٣٨٣ .

١٩- ـــــــــــــــ : **محاكمة الصهيونية الإسرائيلية** ، بدون مترجم ، دار الــشروق ، ط٢ ، ٢٠٠٠.

٢٠- ـــــــــــــــ : **محاكمة جــارودي** ، ترجمـــة عــزة صــبحي ، دار الــشروق ، ط٢ ، ١٤٢٢هـــ- ٢٠٠٢م .

٢١- ـــــــــــــــ : **مشروع الأمل** ، بدون مترجم ، دار الآداب بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٨ .

٢٢- ـــــــــــــــ : **من أجل حوار بين الحضارات** ، ترجمة ذوقان قرقوط ، دار النفــائس ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٠ .

٢٣- ـــــــــــــــ : **نظرات حول الإنسان** ، ترجمة د. يحيي هويدي ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٨٣ .

ثالثاً:ــ المراجع الأجنبية :

1–Alastair Hamilton Beedwell: **The Arabist** .London , 1985 .

2- Alexander Kojeve : **Introduction to Reading of Hegel,** trans by Allan Bloom , London Ithaca and Cornell , univ press 1980 .

3 –Ashele . M.F : **Culture, Man Adaptive Dimension** , Oxford , University ,London , 1968 .

4-Bacby , Philip :**Culture and History** , University of California press , Berkeley and Los Angeles , U.S.A , 1959 .

5- Bakunin Michael , **God and the State with a New Introduction and index of Persons by Paul Avrich Dover** ,publication's, New York , 1970 .

6-B. Dasgupta : **structural Adjustment , Global trade and the new political Economy of Development** , Zed Books, London , 1988 .

7-Beiser ,Fredrick : **Hegel's Historicism** ,Beiser ,The Cambridge ,Companion to Hegel ,London , Cambridge University ,Press ,1993 ,

8- Berdyaev : **the Meaning of History** . Trans by George Beavey , Geoffrey , Press , London ,1945 .

9- Bernard Lewis : **British Contribution to Arabic Studies** , London ,1941.

10- Delecy O'Leary Ingluen : **Arabic Philosophy** , Journal of Indian History ,Vol . 2 , 1922 , 1923.

11- Edward Makarian : **Civilization and the Historical Process** , Progress , Publishers , 1983 .

12- Edward Tivan : **the Loby Jewish Political Power and American Foreign Policy,** New York .Simon and ,Schuster , 1987 .

13- Hegel , Fredrick : **Lecture on the History of Philosophy** : Trans , by Rutledge & Kegan Paul .Shaldane & Frances H .Simsoon , vol.3 . Ltd , Second Impression, London , 1995 .

14- ——————— : **Reason in History** , trans by Robert's . Hartman , U.S.A,1995

15- Johnson , Robert L : **Humanism and beyond.** United chutch press , Philadelphia ,1973 .

16- Kroeber and A.L : **Culture. A Critical Review of Concepts and Definition** , Cambridge ,U.S.A, Massachusetts , 1952 .

17- Kroeber : **Culture , A critical , Review of Concepts and Definitions** , Cambridge , Massachusetts ,1952

18-Lamont Corliss : **Humanism as a Philosophy, Philosophical** , Library, inc , New York , 1949 .

19- Lord Kurson : **Subjects of the Day , Being and Selection of Speeches and Writings** , London , 1915 .

20- Miles , Jack : **the Ology and the Clash Of Civilizations"** Cross Currents ,Vol.51 ,Winte 2002 .

21 –Oswald Spengler : **The Decline The West** , Vol. I, New York , Alfred Munlivi , 1932 .

22-P.M .Hhol t: **"The Origins Of Islam S Studies** "in Al – Kulliya , No , 1, 1952.

23- Richard Barnet and Ronald Muller: **Global Reach** , Simon and Schuster , New York , 1974 .

24- Rousseau, Jan Jack : **the Social Contract and Discourses , Q Discourse on the asts and Sciences,** Everyman's Library , London .

25- S.A.Viaeri, **Hegel's theory of the Modern State`** Cambridge University , Press , Cambridge , 1972 .

26 –Simon Ockley: **History Of Saracens** , London , 1875 .

27- Sorenson , **Theodre ,"Kennedy"** Harpers and Row ,New York , 1969 .

28- Sorikin, P: **Modern Historical and Social Philosophies** , Formerly titled ,Social Philosophies of an age of Crisis .

29- Toynbee, Arnold : **A study of History** , Vol . I ,Oxford University Press ,London , New York ,7th Impression ,1956 .

30- Weiner, Philip: **Editors, Dictionary of the history of ideas,** volume 3, Charles Scribners Sons, New York , 1973 .

31- Whitehead Alfred North : **Adventures of Ideas** , Cambridge University Press , 1947 .

32- William Hayter: "**the Future of Asian Studies after the Hayter Report** "**in Asian Affairs** , Vol .xii ,"old Sevies, Vol . 68 ",Part 11, 1981 .

33- W. Montgomery Watt : **the Influence of Islam on Medieval Europe** **Edinburgh** ,1972 .

رابعاً :ـــ المراجع العامة :

١- د. إبراهيم طلية عبد الخالق: **الجوانية عند عثمان أمين "أصولها وخصائصها"**، دار الثقافة للطباعة والنشر، بدون تاريخ .

٢- د. إبراهيم مدكور : **المشكلة الخلقية**. مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٣- إبن الأثير : **الكامل في التاريخ** ، دار حصاد ، بيروت ، الجلد العاشر ، ١٣٩٩ - ١٩٧٩ .

٤- إبن القوطية أبي بكر محمد بن عمر : **المكتبة الأندلسية "تاريخ افتتاح الأندلس"** ، حققه وقدم له ووضع فهارسه إبراهيم الإبياري ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، ط١ ، ١٤٠٢- هـ -١٩٨٢م .

٥- إميل بوترو : **العلم والدين في الفلسفة المعاصرة** ، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٦- أحمد الشيخ : **حوار الاستشراق** "من نقد الاستشراق إلى نقد الاستغراب" ط١ .

٧- د.أحمد أمين ، د. زكي نجيب محمود : **قصة الفلسفة اليونانية** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٨- أحمد حامد : **لماذا أسلم هؤلاء من قارات العالم إلى الإسلام** ، مطابع وزارة الأوقاف ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م .

٩- د. أحمد طه خلف الله : **الحوار بين الحضارات ، بين الواقع والمأمول** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ .

١٠- د. أحمد عبد الحليم عطية : **دراسات أخلاقية** ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ،٢٠٠١.

١١- د. أحمد محمود صبحي: **في فلسفة التاريخ** ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط ١، ١٩٩٦.

١٢- ــــــــــــــــ: **في فلسفة الحضارة** "١- الحضارة الإغريقية"، مؤسسة الثقافة الجامعية ، بدن تاريخ .

١٣- أحمد محمود صبحي ، د. محمد أحمد عبد القادر : **دور العرب في مجال العلوم** ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨٥ .

١٤- د.أحمد فؤاد رسلان : **نظرية الصراع الدولي** ، دراسة في تطوير الأسرة الدولية المعاصرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٦ .

١٥ - أرنست بلوخ : **فلسفة عصر النهضة** ، ترجمة الياس مرقص ، دار الحقيقة ، بيروت ، بدون تاريخ .

١٦- أرنولد توينبي : **العالم والغرب** ، ترجمة عبد الواحد الإمباني ، مراجعة صالح جودت ، القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، بدون تاريخ .

١٧- ———— : **العالم والغرب** ، ترجمة نجدي هاجر ، سعيد القد ، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١ ، ١٩٦٠ .

١٨- ———— : **الفكر التاريخي عند الإغريق** ، ترجمة لمعي المطيعي ، مراجعة د. محمد صقر خفاجة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٢، ١٩٩٠ .

١٩- ———— : **مختصر دراسة التاريخ** ، ج٢ ، ترجمة د. فؤاد شبل ، لجنة التأليف والترجمة ، ط٢، ١٩٦٦ .

٢٠- أفلاطون : **الجمهورية** .ترجمة د. فؤاد زكريا ، راجعها عن الأصل اليوناني د. محمد سليم سالم ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

٢١- أليرت إشفيتزر: **فلسفة الحضارة** ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، دار الأندلس ، بيروت ، ١٩٨٣، ط٣ .

٢٢- السيد أبو مصطفى : **تاريخ الغرب الإسلامي وحضارته** ، مركز الإسكندرية للكتاب ، ٢٠٠٧ .

٢٣- السيد يسين : **العولمة والطريق الثالث** ، ميريت لنشر المعلومات ، القاهرة ١٩٩٩.

٢٤- ———— : **الحوار الحضاري في عصر العولمة** ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ .

٢٥- ———— : **حوار الحضارات "الغرب الكوني والشرق المتفرد"**، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٢ .

٢٦- د. الكسندر ستيبشفيتش : **تاريخ الكتاب** ، القسم الأول، ترجمة د. محمد الأرناؤط ، عالم المعرفة ، الكويت ، ١٩٩٣ .

٢٧- الإمام . محمد الغزالي : **هموم داعية** ، دار البشير ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٢٨- د. أميرة حلمي مطر: **مقالات فلسفية حول القيم والحضارة** ، مكتبة مدلولي، ١٩٦٧ .

٢٩- الإمام أبو داوود : **السنن** ، كتاب الملاحم ، ج ٤ .

٣٠- الإمام احمد : المسند : **كتاب العلم** ، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع .

٣١- الإمام البخاري : **كتاب المناقب** ، المجلد الثاني ، باب خاتم النبيين ﷺ ، درا المنار .

٣٢ – أسولد شبنجلر: **تدهور الحضارة الغربية** ، ترجمة أحمد الشيباني، منشورات دار مكتبة الحياة ج ١، بيروت ، ١٩٦٤ .

٣٣- العقاد : **أثر العرب في الحضارة الأوربية "الأعمال الكاملة"** ، المجلد العاشر ، "حضارة الإسلام" ، دار الكتاب اللبناني ، ط١ ، ١٩٧٨ .

٣٤- ---- : **حقائق الإسلام وأباطيل خصومه** ، نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٣٥- ---- : **يوميات** ، دار المعارف ، ج٣ ،ط٢ ، ١٩٨٤ .

٣٦- أ.ل.شاتيلييه : **الغارة على العالم الإسلامي** ، ترجمة محب الخطيب ، مساعد الياغي ، مكتبة أسامة ابن زيد ، بيروت ، بدون تاريخ .

٣٧- أمينه الصاوي ، د. عبد العزيز شرف : **رجاء جارودي وحضارة الإسلام** ، مكتبة مصر ، ١٤٠٤هـ ١٩٨٤.

٣٨- أندريه إيمار ، جانيت أربوايه : **تاريخ الحضارات العام** ، رقم (١) ، ترجمة فريد داغر ، فؤاد أبو ريحان ، منشورات عويدلت ، بيروت ، ط٣ ، ١٤١٣هـ ، ١٩٩٣م .

٣٩- أنا ماري شيمل : **الإسلام دين الإنسانية** ، ترجمة د. صلاح عبد العزيز محجوب ، د. محمود فهمي حجازي ، تقديم د. محمود حمدي زقزوق ، مطابع وزارة الأوقاف ، ط٣ ، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م .

٤٠- أنتوني ناتنج : **العرب تاريخ وحضارة** ، ترجمة محمود مسود ، دار الهلال ، مصر ، ١٩٨٠ ، ج١ .

٤١- برهان غليون : **اغتيال العقل "محنة الثقافة العربية بين السلفية والتبعية"** ، مكتبة مدبولي ، ط٣ ، ١٩٩٠ .

٤٢- د.برهان غليون ، د. سمير أمين : **ثقافة العولمة وعولمة الثقافة وعولمة الثقافة** ، دار الفكر العربي المعاصر ، بيروت ، ط ٢ ، ٢٠٠٠ .

٤٣- بولس سلامة : **الصراع في الوجود** ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٤٤- بول كولز : **العثمانيون في أوربا** ، ترجمة عبد الرحمن عبد الله الشيخ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٣ .

٤٥- بيتر جران : **ما بعد المركزية الأوربية** ، ترجمة عاطف أحمد إبراهيم فتحي ، محمود ماجد ، إشراف ومراجعة رؤوف عباس ، المجلس الأعلى للثقافة ، ١٩٩٨ .

٤٦- د. توفيق الطويل : **الفلسفة الخلقية نشأتها وتطورها** ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٦٠.

٤٧- ———— : **الحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية** ، دار الثقافة ، بدون تاريخ .

٤٨- د. توفيق يوسف الواعي ، **مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية** ، السنة السابعة ، العدد السابع عشر ، ذو القعدة ، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م .

٤٩- تيسير شيخ الأرض : **إرادة الحضارة** ، دار الفاضل ، دمشق ، ١٩٩١ .

٥٠- جواهر لال نهرو : **لمحات من تاريخ العالم** ، ترجمة لجنة من الأساتذة الجامعيين ، دار الجيل ، بيروت ، ١٤٠٩هـ- ١٩٨٩م .

٥١- ج . ب . بيوري : **فكرة التقدم** ، ترجمة أحمد حمدي محمود ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ١٩٨٢ .

٥٢- ج.دي.بويس، **مستقبل الحضارة**، ترجمة لمعي المطيعي،تقديم ماهر نسيم. دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع ، ١٦٩١.

٥٣- جراهام .أي . فولر : **الإسلام والغرب بين التعاون والمواجهة** ، ترجمة شوقي جلال ، مركز الأهرام للترجمة والنشر ، ط١ ، ١٩٩٧ .

٥٤- د. جمال حمدان : **إستراتيجية الإستعمار والتحرير** ، دار الهلال ، مصر ، ١٩٦٨ .

٥٥- جود : **فصول في الفلسفة ومذاهبها** ، ترجمة محمود مهنا ، ماهر عطية ، مكتبة الأسرة ، أمهات الكتب ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ٢٠٠٣ .

٥٦- جوزيف كاميلر : **أزمة الحضارة** ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، ١٩٨٣.

٥٧- جوستاف جرونيباوم : **بيضة الإسلام** ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة عبد الحميد العبادي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٤ .

٥٨- جون ف. تولان : **الإسلام في مخيلة الأوروبيين في القرون** ، مطبوعات جامعة كولومبيا، نيويورك ، ٢٠٠٢.

٥٩- د. حازم الببلاوي ، **نحن والغرب** "عصر المواجهة أم التلاقي؟" دار الشروق ، ١٩٩٩ .

٦٠- د. حسن الكحلاني : **فلسفة التقدم** ، دراسة في اتجاهات التقدم والقوى الفعالة في التاريخ ، مكتبة مدبولي، القاهرة ٢٠٠٣ .

٦١- د. حسن حنفي : **دراسات فلسفية** ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، بدون تاريخ .

٦٢- ———— : **مقدمة في علم الإستغراب** ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط١، ١٩٩٢ .

٦٣- د. حسين مؤنس : **الحضارة "دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها"**، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ط٢ ، ١٩٩٨ .

٦٤- د . حمزة النشرتي ، الشيخ عبد الحفيظ فرغلي : **محمد ﷺ أعظم البشر** ، ج٤ ، مطابع الأهرام التجارية ، ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٦٥- زيغريد هونكة : **شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربية في أوربا"** ، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان ، دار الآفاق الجديدة ، ط٩ ، ترجمة فاروق بيضون ، كمال دسوقي، ١٩٩١.

٦٦- د. زغلول النجار : **الإسلام والغرب في كتابات الغربيين** ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ٢٠٠٣ .

٦٧- د. زكريا إبراهيم : **دراسات في الفلسفة المعاصرة** ، مكتبة مصر ، بدون تاريخ .

٦٨- زكي نجيب محمود : **الموسوعة الفلسفية المختصرة** ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٢

٦٩- د. زينب محمود الخضيري : **فلسفة التاريخ عند ابن خلدون** ، دار الثقافة للطباعة ، القاهرة ، ١٩٩١ .

٧٠- د. زينب محمود الخضيري : **لاهوت التاريخ عند القديس أوغسطين** ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٩٢ .

٧١- د. رأفت الشيخ : **تفسير مسار التاريخ** ، عين للدراسات و البحوث الإنسانية و الاجتماعية ، القاهرة ،٢٠٠٠ .

٧٢- راسل جاكوبي : **نهاية اليوتوبيا** ، السياسة والثقافة في زمن اللامبالاة ، ترجمة فاروق عبد القادر ، عالم المعرفة ، مطابع الوطن ، الكويت ، ١٤٢٢هـ -٢٠٠١م .

٧٣- د. راويه عبد المنعم عباس : **الأخلاق عند بليز بسكال "فلسفة الإنسان"** ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٦ .

٧٤- رضا عبد السلام : **نهاية التاريخ أم نهاية العولمة** ، دار الإسراء للطبع والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٥ .

٧٥- رشيد مسعود : **الموسوعة الفلسفية العربية** ، د. معن زيادة ، معهد الإنماء ، حلب ، المجلد الأول ، ط١، ١٩٥٧.

٧٦- سارتر : **الوجودية مذهب إنساني** ، ترجمة عبد المنعم الحفني ، مطبعة الدار المصرية ، ط١ ، ١٩٦٤ .

٧٧- سعاد حرب : **الأنا والآخر والجماعة** "دراسة في فلسفة سارتر ومسرحة" ، دار المنتخب العربي ، ط١ ، ١٩٩٤ .

٧٨- د. سعيد اللاوندي : **أمريكا في مواجهة العالم** ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

٧٩- سلامة موسى : **حرية الفكر** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٣ .

٨٠- سيجموند فرويد : **الحب والحرب والحضارة والموت** ، دراسة وترجمة د. عبد العظيم الحفني، دار الرشاد ، ط١ ، ١٩٩٢ .

٨١- سيريل جود : **الحرية في القرن العشرين** ، ترجمة طه السباعي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٨٢- صمويل هنتنجتون : **صدام الحضارات** "إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة طلعت الشايب ، تقديم د. صلاح قنصوه ، سطور ، ١٩٩٨.

٨٣- عبد الرحمن ابن خلدون : **المقدمة** ، دار القلم ، بيروت ، ١٩٨٠ .

٨٤- د. عبد الرحمن بدوي: **الزمان الوجودي** ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٥.

٨٥- ــــــــــــــــــ : **خلاصة الفكر الأوربي "شبنجلر"** ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٤١.

٨٦- ــــــــــــــــــ : **ربيع الفكر اليوناني** "خلاصة الفكر الأوربي" سلسلة الينابيع ، مكتبة النهضة المصرية ، ط٤ ، ١٩٦٩ .

٨٧- عبد الرحمن يعقوب : **ذاد المحبين من سيرة النبي الأمين ﷺ** ، مكتبة عباد الرحمن ، ط١ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م .

٨٨- د.عبد الرحمن خليفة ، د.فضل الله محمد إسماعيل : **الأيدولوجيا والحضارة والعولمة** ، مكتبة بستان المعرفة ، ط١ ، ٢٠٠١.

٨٩- عبد الرحيم تمام أبو كريشة : **التراث والعولمة** ، مركز المحروسة للبحوث والتدريب والنشر ، ط١ ، ١٩٩٩ .

٩٠- د. عبد العظيم المطعني :**الإسلام في مواجهة الاستشراق العالمي** ، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤١٣-١٩٩٢.

٩١- ــــــــــــــــــ : **أوربا في مواجهة الإسلام** "الوسائل والأهداف"، مكتبة وهبة ، ط١ ، ١٩٩٣ .

٩٢- ــــــــــــــــــ : **مواجهه صريحة بين الإسلام وخصومة** ، دار الأنصار ، القاهرة ،١٩٨٠.

٩٣- عبد العظيم رمضان : **تاريخ أوربا والعالم في العصر الحديث** ، الهيئة العالمة للكتاب ، ج٢ ، ١٩٩٧ .

٩٤- عبد الفتاح عبد المقصود : **صليبية إلى الأبد** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ .

٩٥- د.عبد المنعم الحفني : **الموسوعة الفلسفية** ، مكتبه مدبولي ، القاهرة ، ط١ ، بدون تاريخ .

٩٦- د. عزت قرني : **تأسيس الحرية ، مقدمة إلي أصوليات الإنسان** ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠١ .

٩٧- د. عزيز العظمة: **ابن خلدون وتاريخه** ، ترجمة عبد الكريم ناصف ، دار الطليعة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٩٨٧ .

٩٨- ———— :**ابن خلدون وتاريخه** ، ترجمة عبد الكريم ناصيف ، دار الطليعة ، بيروت ، ط٢ ، ١٩٨٧ .

٩٩- د. عزة على عزت : **صورة العرب في الغرب "ملامحها وأساليب تغييرها"** ، ط١، مصر العربية للنشر والتوزيع ،١٩٩٧ .

١٠٠- د. عصام عبد الله : **الفكر اليوتوبي في عصر النهضة الأوربية** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ .

١٠١- عطية الويشي : **حوار الحضارات (إشكالية التصادم.. وآفاق الحوار "حقائق ومفاهيم لا ينبغي أن تغيب"** ، تقديم د. محمد عمارة ، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، ط١ ، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م .

١٠٢- على زيغو : **أوغسطنيوس** ، دار إقراء ، ط١ ، بيروت ،١٩٨٣ .

١٠٣- د. على جمعة : **الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى ، تكامل لا تنافر** ، مقال منشور بسلسلة قضايا إسلامية ، الصادرة عن المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف ، جمهورية مصر العربية ، مطابع الأهرام التجارية ، عدد ١٤٦ ، ربيع آخر ، ١٤٢٨ ، مايو ٢٠٠٧ .

١٠٤- د. علي حنفي محمود : **جدل العقل والوجود دراسة في فلسفة هيجل وكيركيجارد** ، التركي للطباعة ،٢٠٠٢ .

١٠٥- ———— : **تمهيد للفلسفة ومباحثها** ، التركي للطباعة ، ١٩٩٨ .

١٠٦- د. على محمد عودة الغامدي :**العرب وأوربا عبر عصور التاريخ** : حصاد ٧ ، ندوة عقدها الإتحاد في مقره بالقاهرة ، منشورات إتحاد المؤرخين العرب ، دار روتابرنت للطباعة ، ١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م .

١٠٧- د. فاروق عمر فوزي : **الاستشراق والتاريخ الإسلامي "القرون الإسلامية الأولى" دراسة مقارنة بين وجهات النظر الإسلامية ووجهة النظر الأوربية** ، الأهلية للنشر والتوزيع ، ١٩٩٨ .

١٠٨- فرانسيس فوكوياما : **نهاية التاريخ وخاتم البشر** ، ترجمة حسين أحمد أمين ، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣ .

١٠٩- د. فؤاد زكريا : **الإنسان والحضارة في العصر الصناعي** ، مركز الشرق الأوسط ،ط١ ، ١٩٥٧ .

١١٠- ———— : **الإنسان والحضارة** ، مكتبة مصر ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١١١- ———— : **خطاب إلى العقل العربي** ، الكتاب العربي ، الكتاب السابع عشر ، الكويت ، ١٩٨٧.

١١٢- ------------ : **نيتشه** ، دار المعارف ، القاهرة ، سلسلة نوابغ الفكر ، عدد ١ ، ط٣ ، بدون تاريخ .

١١٣- د. فلاح كاظم المحنة : **العولمة والجدل الدائر حولها** ، الوراق للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٢ .

١١٤- فيليب عطية : **أمراض الفقر "المشكلات الصحية في العالم الثالث"** ،سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، المركز الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٩٤ .

١١٥- قسطنطين زريق : **في معركة الحضارة** ، دار العلم للملايين ، بدون تاريخ ، ط ٢ .

١١٦- كارل بوبر : **بحثاً عن عالم أفضل** ، ترجمة د. احمد مستجير ، الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ٢٠٠١ .

١١٧- كافين رايلي : **الغرب والعالم** ، ترجمة عبد الوهاب المسيري وآخرون ، سلسلة عالم المعرفة ، الكويت ، ١٤٠٥ هـ .

١١٨- كاولن ولسون وجون جرانت: **فكرة الزمان عبر التاريخ**، ترجمة .فؤاد كامل ، مراجعة شوقي جلال ، سلسلة عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٥٩، مارس ١٩٩٢.

١١٩- كاي حافظ : **الإسلام والغرب وإمكانية الحوار** ، ترجمة صلاح محجوب إدريس ، مراجعة وتقديم محمد خليفة حسن ، المجلس الأعلى للثقافة ، بدون تاريخ .

١٢٠- كرم جبر : فؤاد علام **"السادات ، المباحث ، الإخوان"** ، دار الخيال ، ط١ ، ١٩٩٦ .

١٢١- د. كريم جبر الحسن : **عملية النهوض الحضاري** ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ، لبنان ، ١٩٩٣ .

١٢٢- كريم متى : **الفلسفة الحديثة "عرض نقدي"** ، منشورات جماعة قاريونس ، ط٢ ، ١٩٨٨.

١٢٣- د. مازن صلاح مطبقاني : **الاستشراق والاتجاهات الفكرية في التاريخ الإسلامي** ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

١٢٤- ماريا لويزا برنيري : **المدينة الفاضلة عبر التاريخ** ، ترجمة د. عطيات أبو السعود ، مراجعة د.عبد الغفار مكاوي ، مطابع الرسالة ، الكويت ، ١٩٩٧ .

١٢٥- مايكل مور : **رجال بيض أغبياء** ، ترجمة د. فاطمة نصر، دار سطور ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

١٢٦- مايكل هارت : **الخالدون مائه أعظمهم محمد ﷺ** ، ترجمة أنيس منصور ، دار الكتاب المصري اللبناني ، مصر ، ١٤٠٦ هـ .

١٢٧- د. محمد إبراهيم الفيومي : **الاستشراق رسالة استعمار "تطور الصراع الغربي مع الإسلام"** دار الفكر العربي ، ١٤١٣هـ .

١٢٨- د. محمد عبد الرحمن : **من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية** ، منشورات عويدات ، ط١ ، ١٩٧٠ .

١٢٩- محمد عثمان الخشت : **"روجيه جارودي" لماذا أسلمت ؟** مكتبة القرآن ، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م .

١٣٠- محمد عزيز الحبابي : **من الحرية للتحرر** ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

١٣١- د. محمد علي أبو ريان ، د. علي سامي النشار : **هيراقليطس فيلسوف التغيير** ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١، ١٩٦٩ .

١٣٢- د. محمد مجدي الجزيري : **البنيوية والتنوع البشري وكلود ليفي شتراوس** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ط١ ، ٢٠٠٢ .

١٣٣- ــــــــــــــــــ : **شهادة على عصر "من برديائيف إلى جورباتشوف"** ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، ٢٠٠١ .

١٣٤- محمد محمد حسين : **حصوننا مهددة من الداخل** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ط٧.

١٣٥- د. محمد عمارة : **في فقه المواجهة بين الغرب والإسلام** ، مكتبة الشروق الدولية ، ط١ ، ١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٣م .

١٣٦- د. محمد شوقي الفنجري : **المذهب الإقتصادي في الإسلام** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٧.

١٣٧- د. محمد قطب : **جاهلية القرن العشرين** ، دار الشروق ، ط١ ، ١٩٨٠.

١٣٨- د. محمود السعيد الكردي : **ابن خلدون "مقال في المنهج التجريبي"** ، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس ، ط١ ، ١٩٨٤ .

١٣٩- محمد الجوهري ، حمد الجوهري : **العولمة والثقافة الإسلامية** ، دار الأمين للنشر والتوزيع ، ط١ ، ٢٠٠٢ .

١٤٠- د. محمد ثابت الفندي : **مع الفيلسوف** ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٤ .

١٤١- د. محمود حمدي زقزوق : **حقائق الإسلام في مواجهة شبهات المشككين** ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة ،١٤٢٣هـ ، ٢٠٠٢م.

١٤٢- محمود فوزي : **جارودي والإسلام وغضب الصهيونية** ، المركز العربي للنشر والتوزيع ، بدون تاريخ .

١٤٣- د. محيي الدين صابر : **الحوار العربي الأوربي "العلاقات بين الحضارتين العربية والأوربية – وقائع ندوة هامبورج-١٦/٤/١٩٨٣"** ، الدار التونسية للنشر .

١٤٤- د. مختار البسيوني : **القتل بدافع الرحمة بين الأخلاق والدين "أخلاقيات المهنة ١- الطب"** وكالة الشرق الأوسط للطباعة والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٢ .

١٤٥- د. مصطفى النشار : فلسفة التاريخ ، سلسلة الكتاب ، القاهرة ، عدد١٤ ، ط١ ، ٢٠٠٤ .

١٤٦- د. مصطفي عبد الغني: **الجات والتبعية الثقافية** ،الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٩٩.

١٤٧- د. معن زيادة : **الموسوعة الفلسفية العربية** ، المجلد الأول ، معهد الإنماء العربي ، بيروت ، ط١ ،١٩٨٦ .

١٤٨- مكسيم رودنسون: **الإسلام والرأسمالية** ، ترجمة نزيه الحكيم ، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ط٤ ، ١٩٨٢ .

١٤٩- منير شفيق : **قضايا التنمية و الإستقلال في الصراع الحضاري** ، دار الناشر ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ط٢ .

١٥٠- د. ناصر الأنصاري ، محمود ناصر الأنصاري: **العروبة في مقابل العولمة** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٢ .

١٥١- نيفين جمعة علم الدين : **فلسفة التاريخ عند أرنولد توينبي** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩١ .

١٥٢- هانس - بيتر مارتيني ، هار الدشومان : **فخ العولمة "الاعتداء على الديمقراطية والرفاهية"** ، ترجمة ، د.عدنان عباس علي وآخر ، سلسلة عالم المعرفة الكويت ، عدد ٢٣٨ ، أكتوبر ، ١٩٩٨ .

١٥٣- هـ .أ .فيشر : **تاريخ أوربا الحديث** ، ترجمة أحمد نجيب هاشم ، وديع الضبع ، دار المعارف مصر ، ١٩٤٦ .

١٥٤- هـ .س . أرمسترونج : **الذئب الأغبر مصطفى كمال** ، دار الهلال ،مصر ، ١٩٥٢.

١٥٥- هربرت فيشر : **أصول التاريخ الأوربي الحديث** ، ترجمة د. زينب عصمت راشد ، د. احمد عبد الرحيم مصطفي ، مراجعة د. أحمد عزت عبد الكريم ، دار المعارف ، ط٣ ، ١٩٧٠ .

١٥٦- هـ . ب . ريكمان : **منهج جديد للدراسات الإنسانية** .محاولة فلسفية ، ترجمة وتقديم وتعليق د. علي عبد المعطي محمد ، د. محمد علي محمد ، مكتبة مكاوي ، بيروت ، ط١ ، ١٩٧٩ .

١٥٧- هـ .ج . ويلز : **موجز تاريخ العالم** ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، مراجعة محمد مأمون نجا ، مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٨ .

١٥٨- هنتر ميد : **الفلسفة أنواعها ومشكلاتها** ، ترجمة د. فؤاد زكريا ، ط٢ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، ١٩٧٥ .

١٥٩- وايتهد: **مغامرات الأفكار** ، ترجمة أنيس زكي حسين ، مراجعة د. محمد الأمين ، تقديم محمد عبد العزيز الحبابي ، عبد الرحمن القيسي ، دار مكتبة النهضة ، القاهرة ، بدون تاريخ.

١٦٠- ول ديورانت : **قصة الفلسفة** ، ترجمة د. فتح الله محمد المشعشع ، مكتبة المعارف ، ط٥ ، بيروت ، ١٩٨٥ .

١٦١- ــــــــــ : **قصة الحضارة** ، ترجمة زكي نجيب محمود ، لجنة التأليف والترجمة والنشر،مصر،١٩٧٣، ط٤ .

١٦٢- ــــــــــ : **قصة الحضارة** (٢١-٢٢) ، النهضة والإصلاح الديني ، ترجمة ، محمد بدران ، ج٤ ، المجلد الخامس ، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية .

١٦٣- العميد الركن د. ياسين سوير : **مؤامرة الغرب على العرب** ، المركز العربي للأبحاث والتوثيق ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٢ .

١٦٤- د. ياسر قنصوة : **مفهوم الحرية في الليبرالية المعاصرة** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٠ .

١٦٥- يورى بوبوف: **دراسات في الاقتصاد السياسي"الإمبريالية والبلدان النامية"** ، دار القلم الموسكى، ١٩٨٤ .

١٦٦- يوسف كرم : **تاريخ الفلسفة الحديثة** ، دار المعارف ، ط٥ ، بدون تاريخ .

١٦٧- ــــــــــ : **تاريخ الفلسفة اليونانية** ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، بدون تاريخ ، ط٣ .

خامساً :ــ رسائل علمية :

١- د. إبراهيم طلبة عبد الخالق : **الإنسان والحضارة في فلسفة أورتيجا** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، إشراف د. صلاح سليمان قنصوه ، د. محمود سيد احمد ، جامعة طنطا ، ١٩٩٥ .

٢- د.أمان محمد عبد المؤمن : **فلسفة الحضارة عند العقاد** ، رسالة دكتوراه غير منشورة ،إشراف د.حسن حنفي حسين ، د. محمود سيد أحمد ؛ جامعة طنطا ، ١٤١٥- ١٩٩٥ .

٣- فتحي شعبان : **مفهوم الحضارة عند ألبرت إشفيتزر"بين فلسفة التاريخ وفلسفة الأخلاق"** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف أ.د. محمد ثابت الفندي ، أ.د. أحمد محمود صبحي ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٨٨ .

٤- فوزية عبد الله شمسان سعيد : **رؤية روجيه جارودي لمفهوم الإنسان ودوره في بناء الحضارة** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف د. محمد محمد علي قاسم ، جامعة الإسكندرية ، ١٩٩٦.

٥- نعمة محمد فاضل : **العلم والحضارة في فلسفة وايتهد** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف د. محمد مجدي الجزيري ، جامعة طنطا ، ٢٠٠٢ .

٦- يسري فوزي حجاج : **العقل والحضارة في فلسفة "جورج لوكاتش"** ، رسالة ماجستير غير منشورة ، إشراف د. محمود سيد أحمد ، جامعة طنطا ، ١٩٩٥ .

سادساً :ــ مجلات ودوريات :

1-Report of Interdepartmental Commission of Enquiry on Oriental , Slavonic ,East ,European and African , Studies , London , 1947 .

٢- التلفزيون المصري ، القناة الثانية ، **برنامج سؤال** ، بتاريخ ٢٠٠٦/٧/١٩.

٣- مكتب التربية العربي لدول الخليج التابع لجامعة الدول العربية :**مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية** ،ج١ ، طبعة المنظمة العربية للعلوم والتربية ، تونس ،١٩٨٥.

٤- جريدة الأهرام المصرية :عدد الجمعة ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٤ .

٥- قناة الناس الفضائية : **برنامج صفحات من التاريخ** ، قناة الناس الفضائية ، بتاريخ ٢٠٠٧/٦/١٧ .

٦- ———————— : **برنامج أحداث النهاية** ، ١ رمضان ١٤٢٧ .

٧- محمد فريد وجدي : **دائرة معارف القرن العشرين** ، مطبعة دار المعارف ، المجلد الثالث ، الطبعة الثانية ، ١٣٤٢هـ ، ١٩٢٣م .

٨- مجلة التوحيد ، تصدرها جماعة أنصار السنة المحمدية ، عدد ٤٠٦ ، السنة الرابعة والثلاثون ، مطابع الأهرام التجارية ، شوال ، ١٤٢٦ .

٩- مجلة جامعة الإمام بن سعود الإسلامية ، العدد الثامن والأربعون ، شوال ، ١٤٢٥ .

١٠- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، الكويت ، العدد الثاني والثلاثون ، السنة الثانية عشر ، ربيع أول ، ١٤١٨ .

١١- مجلة الإسلام وطن : عدد ٢٢٨ ، السنة ١٩ ، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م .

١٢- مجلة الهدي النبوي ، السنة ٦٢ ، عدد ٤ ، ربيع ثاني ١٤١٧هـ .

سابعاً :ــ المعاجم والقواميس :

١- ابن منظور: **لسان العرب** ، الجزء الثاني ، دار المعارف ، بدون تاريخ .

٢- الفيروز آبادي : **القاموس المحيط** ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٧هـ ، ط٢ .

٣- **المعجم الوجيز** : مجمع اللغة العربية ، تصدير د. إبراهيم مدكور ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ،١٤١٦هـ ، ١٩٩٥م .

٤- **المعجم الوسـيط** : مجمع اللغة العربية ، إخراج د. إبراهيم أنيس ، د. عبد الحليم منتـصر، وآخرون ، إشراف حسن علي عطية، محمد شوقي أمين ، دار المعارف بمـصر ، الجـزء الأول ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ .

٥- جميل صليبا : **المعجم الفلسفي** ، ج١ ، دار الكتاب اللبناني بيروت ، بدون تاريخ .

٦- فريد عبد الحميد الجندي : **معجم البلدان** ، تحقيق ، دار الكتب العلمية بيـروت ، ج١ ، ط١ ، ١٩٩٠م .

ثامناً :ـ الشبكة الدولية الإنترنت :

1- http://www.**al-jazirah**.com.sa/magazine/28102003/imazaaslmna25.htm.

2- http://www.**asharqalawsat**.con/details.asb?section=17&article =137940&issue=8762.

3-http://www.**binbaz**.org.sa/last_resault.asp?hID=522 .

4-http://www.**islamonline**.net/arapic/adam/2001/04/article16.shtml.

5-http://www.**radioislam**.org/arabic/garaudy.htm.

الفهرس

الفهرس

تم بحمد الله